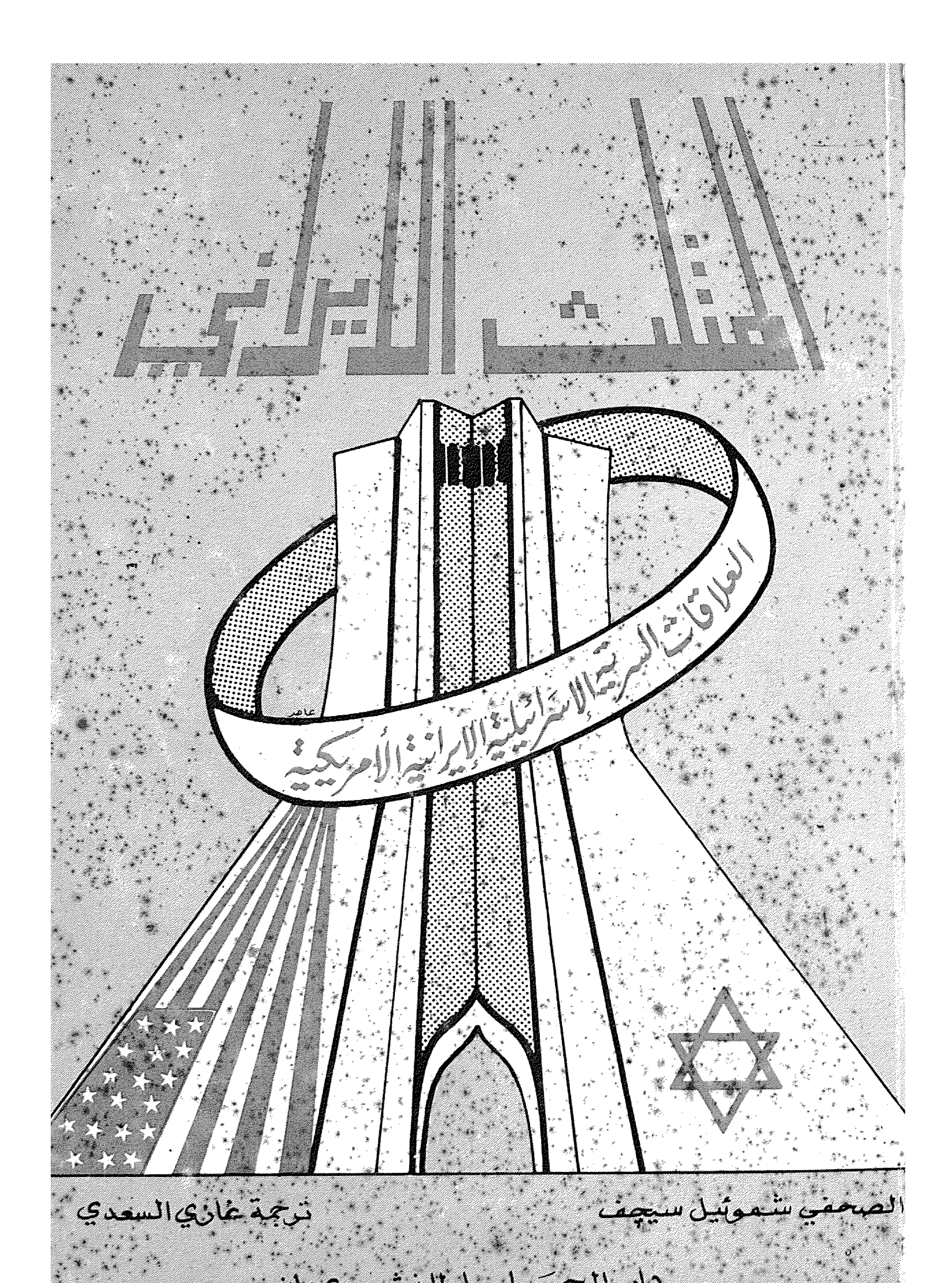



المثلث الإيراني
العلاقات السرية الإسرائيلية الإيرانية الأمريكية
الصحفي شموئيل سيجف
ترجمة غازي السعدي
دار الجليل للنشر - عمان

المثلـــث الايرانـــي

العلاقات السرية بين اسرائيل ـــ ايران والولايات المتحدة

دار الجليل للنشر ــ عمان

ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١

الطبعة الاولى
نيســان ١٩٨٣

المثلث الايراني

العلاقات السرية بين اسرائيل
ايران - والولايات المتحدة

تاليف

شموئيل سيجف

ترجمة

غازي السعدي

الجليل

دار الجليل للنشر - عمان

مقدمة

عندما يكون الأمر متعلقاً بالاعلام الصهيوني ، فان الانتباه يجب أن يكتسب دقة خاصة وان يتجه الى ما بين السطور والكلمات ، اكثر من الاهتمام بالكلام الظاهر . سواء كانت وسيلة هذا الاعلام مقالا أم كتابا أم نشرة اخبارية . وكتاب « المثلث الايراني » لا يخرج عن هذا الاطار العام في تعاملنا معه ، خاصة وانه يصوّر العلاقات الاسرائيلية — الايرانية — الاميركية ، طيلة ربع قرن من الزمن .

ولسنا هنا في معرض تحليل أسباب الاحداث الايرانية ، ولا في معرض اتخاذ موقف من العهدين المتتاليين في ايران ، بالرغم من المواقف العربية المتعددة والمتناقضة بينهما ، وبالرغم من ان الشاه كان ، لفترة تاريخية طويلة ، يدا لليهود علينا .

ولكننا نحصر كلامنا ، بصورة موضوعية ، في الكتاب وعلاقة بعض مواضيعه بقضيتنا .

ويتضح لنا من السياق ، ان العدو الصهيوني قد وجد ، منذ اوائل الخمسينات ، البلاد الفارسية ميدانا خصبا لنفوذه واستغلاله ، وبنى خططا كاملة على هذا الاساس عن طريق التودد الى الشاه ، واستغلال بعض المصالح الآنيه للحكم الايراني . حتى توصل في أواخر الستينات واول سني السبعين الى نفوذ نادر لم ينحصر في الخبراء الاسرائيليين الذين انتشروا في « المزارع النموذجية » الايرانية ، ولم يتوقف عند حدود وجود مدرسة عبرية خاصة في طهران باشراف وزارة الثقافة الاسرائيلية . ولكن هذا النفوذ تعدى ذلك الى حقيقة ان الشاه اصبح يستشير « خبراء السياسة » من اليهود ، بشأن علاقاته مع حليفته الكبرى ، الولايات المتحدة ، ووصل الى حد تسخير ايران للمساعدة في تهريب اليهود من العراق الى المناطق المحتلة ، وكانت ذروة هذا « التعاون » في فتح آبار النفط الايرانية « للدولة » العبرية ، تأخذ ما تشاء ، وتحت كل الظروف . حتى ان « اسرائيل » قامت بتمديدات نفطية من أجل هذا الغرض . وكان « المهرجان الموحد » لهذا اللقاء هو اشراف « خبراء اسرائيليين » على احتفالات ذكرى ٢٥٠٠ سنة على قيام دولة قورش ، هذه الاحتفالات قامت باقتراح اسرائيلي من أجل تنشيط السياحة في ايران .

ولكن جميع خدمات ايران للصهيونية ذهبت سدى . وجميع المواقف التي تورط فيها الشاه من أجل صديقته « اسرائيل » ، وعرض فيها علاقات ايران لازمات فعلية ، جميعها تحولت هباء ، لان التجربة التاريخية دلت بوضوح وبعمق ، ان الصهيونية في تعاملها مع « الغوييم »(١) ، تريد عبيدا لا اصدقاء ، والويل لمن يخالف اوامر « السادة » اليهـود . . .

فعندما رفض الشاه اعطاء الفانتوم الى « اسرائيل » في حرب سنة ١٩٧٣ ، وبدأ يتجه الى مواقف أقل التزاما مع الصهاينة بدعمه لمصر في موضوع « السلام » ، وتوجيه الانتقادات لقيام « اسرائيل » باحتلال الاراضي العربية ودعوته للانسحاب . عندها بدأ الصهاينة يعلمون ان صديقهم قد «يدمن» على مخالفة اوامر «حكماء صهيون» وقد زاد الطين بلة في مشاكل الشاه انه بدأ يحاول اصلاح علاقاته مع الاتحـاد السوفياتي ، وعندها التقت مصلحة الولايات المتحدة مع مصلحة الصهيونية في « تقريص عجين » هذا « الحليف » العنيد . فماذا كانت النتائج ؟

لعل بعض التساؤلات التي استقيناها من الكتاب نفسه تلقي نورا على بعض الحقائق :

— لماذا ارسل سفير اسرائيل في طهران ، اورى لوبراني ، عائلته الى اسرائيل . قبل دعوة الخميني الى الاضراب العام الاول ، بأكثر من سنة ؟؟

— لماذا نصح نفس السفير الاسرائيلي اميركا بالاتصال بالخميني ؟

— لماذا اقترح نفس السفير على الشاه ان يغادر طهران ؟

— لماذا نصح هارولد براون ايضا الشاه بالخروج في اجازة ؟

— لماذا توقفت وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية عن تقديم تقديراتها بشأن ايران منذ سنة ١٩٧٦ ؟

— لماذا امتنع « الموظفون » الاميركيون ، الموجودون في طهران ، عن بذل اي جهد في تحليل الاوضاع المهترئة التي تردى اليها نظام الشاه ؟

— لماذا اشترط عباس كرباجي ، رئيس الاركان الايراني آنذاك ، لتراجعه عن الاستقالة عودة الخميني الى ايران ؟ وكرباجي معروف بارتباطه بالـ سي. آي. ايه.

هل كان اليهود والاميركان يعتبرون انهم يريدون « هز العصا » للشاه ، فافلتت هذه العصا من يدهم ومضى الى ايد اخرى ؟ انه على كل حال درس ، لا نعلم اذا كان سيتعلم منه « اصدقاء » اليهود في العالم اليوم من زعماء ورؤساء دول .

---

(١) غير اليهود .

اما الحقائق التي يكشف عنها الكتاب من اللقاء الاسرائيلي — الايراني — الاميركي على تقديم المساعدات للاكراد في العراق مثلا ، او قيام الشاه بالمساهمة في زحلقة أنور السادات نحو السلم اليهودي منذ حرب سنة ١٩٧٣ ، (بالاضافة الى مساعدة تشاوشيسكو وغيره . اوقيام غولدا مئير وليفي اشكول وابا ايبان ، وغيرهم من زعماء « اسرائيل » ، بزيارات متعددة لايران ، فان قيمة هذه المعلومات تزيد عندما تأتي شهادة من فم يهودي . وهي في نفس الوقت قد تساعدنا في انارة وتحليل ظروف موضوعية ومستقبلية مشابهة .

أما القواعد الدائمة للعقلية اليهودية الواضحة في السلوكية التوراتية المذهبية ، فلم نغب عن الكتاب اطلاقا .

* ان العداء اليهودي للتاريخ والجغرافيا يبلغ حد « الحساسية » العصبية ، خاصة عندما يكون الموضوع متعلقا بشيء من « أرض الميعاد » التي يسعون لامتلاكها . ولا غرابة ان يرد في الكتاب ان اكثر آبار النفط الايرانية موجودة في اقليم خوزستان « الذي اسماه العراقيون » ، بعد اندلاع النزاع مع ايران ، اقليم « عربستان » .

* ان القواعد التوراتية هي في صف اليهود . سواء تعلقت بسلوكهم أم بحقهم على « الغوييم » وخاصة سكان « ارض الميعاد » .

لذلك اعتبر الكاتب ان هرب اليهود من العراق في بداية الخمسينات هو « نهاية السبى البابلي » الواقع قبل ٢٨٠٠ سنة .

لذلك يمجد الكاتب في اكثر من مكان ذكر قورش الفارسي واحتلاله لبابل ومساعدته لليهود في امور كثيرة ... ولكنه لم يذكر لا من قريب ولا من بعيد ان قورش يهودي ، وهو ابن لاحدى يهوديات « السبي الصغير » ، كما ذكرت في حينه بعض الدراسات التي نشرت عن ايران بمناسبة احتفالات ذكرى قورش ...

كما يبدو من الكتاب ، بوضوح ، ان النفوذ اليهودي في ايران هو بالنسبة للصهاينة امر استراتيجي ملحاح وبالغ الاهمية ، لذلك يلمح الكاتب في آخر كتابه الى الخدمات التي كان يمكن « لاسرائيل » ان تقدمها لايران ، في حربها مع العراق ، لو كانت العلاقات معها لا تزال جيدة ...

اننا نترك للقارىء امر الحكم على هذا الكتاب (المثلث الايراني) . ولكننا نقول انه كتاب يجب ان يقرأ بدقة وامعان .

غازي السعدي

منذ الاطاحة بعرش الشاه في كانون ثاني ١٩٧٩ ، يسود ايران وضع من الفوضى السياسية والاقتصادية والانهيار الاجتماعي وعلى الرغم من اقامة نظام حكم جمهوري اسلامي بزعامة آية الله خميني لم تتمكن الزعامة الدينية من فرض الاستقرار الداخلي . ولا تزال الدولة ممزقة بسبب النزاعات الشخصية ، والصراعات المستمرة بين مجموعات متنافسة على السلطة . لقد كشف الصراع الطويل من اجل اطلاق سراح الرهائن الاميركيين الاثنين والخمسين ، الذين احتجزوا على ايدي طلبة متعصبين في طهران ، صراع القوى في قيادة نظام الحكم الجديد . فقد كان الرئيس الايراني أبو الحسن بني صدر مشغولا في ادارة حرب الاستنزاف على الحدود مع العراق ، ولم يشترك ابدا في المفاوضات التي دارت بين رئيس حكومته محمد علي رجائي وبين الولايات المتحدة . لقد انتخب محمد علي رجائي رئيسا لحكومة ايران من قبل المؤسسة الدينية ، خلافا لرغبة الرئيس الايراني ، واصبح الاثنان يمثلان الآن دوائر ذات مصالح متناقضة . وبعد ابعاد المثقفين والاحرار الذين تكتلوا حول مهدي بارزغان - رئيس اول حكومة في الجمهورية الاسلامية ، اصبح الرئيس الايراني يتلقى الدعم الآن من ضباط الجيش وبقايا الجبهة الوطنية ، الامر الذي اثار ضده الشبهات بأنه يسعى الى القيام بانقلاب عسكري لابعاد رجال الدين ومؤيديهم عن السلطة . في حين اتهم الرئيس بني صدر خصومه بأنهم حاولوا اغتياله عدة مرات خلال عام ١٩٨٠ .

لقد استغل جو عدم الاستقرار الداخلي هذا من قبل المهاجرين من السياسيين وعناصر المعارضة ، ودفعهم الى التخطيط لانقلاب عسكري بهدف اعادة الملكية الى ايران وخلال السنتين الماضيتين ، حاولت هذه العناصر سبع مرات القيام بانقلاب عسكري في طهران ، ووقعت محاولة الانقلاب الجدية في شهر تموز ١٩٨٠ ، غير انها احبطت في مهدها . واعتقل مئات الضباط والمدنيين وقدموا للمحاكم ثم اعدموا .

لقد ادى موت الشاه ودفنه في القاهرة في ٢٩ تموز ١٩٨٠ ، الى اضعاف احتمالات المعارضة ، التى تنادي باعادة النظام الملكي الى ايران ، بالعودة الى استلام الحكم .

منذ أن قدم الشاه من بنمـــا الى مصر لتلقي العلاج في آذار ١٩٨٠ ، سكن افراد اسرته في قصر القبة في الجزء الشمالي ــ الشرقي للقاهرة ، وبعد وفاته سجي جثمانه في قصر عابدين ، وهو القصر الذي تزوج فيه قبل ٤١ سنة من الاميرة فوزية شقيقة الملك فاروق . ولم يشارك في تشييع جثمانه سوى رئيس دولة واحد هو الرئيس المصري انور السادات ، الذي سار في مقدمة حوالي الف شخص شيعوا جنازته . وكان من بين المشيعين الرئيس الاميركي السابق ريتشارد نيكسون ، والملك قسطنطين ملك اليونان الذي يعيش في المنفى ، ومبعوث خاص من قبل ملك المغرب ، وسفراء الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا واستراليا و « اسرائيل » في القاهرة ، ودفن الشاه في مسجد الرفاعي في القاهرة الذي بني قبل ١٢٠ سنة في عهد الخديوي اسماعيل . ودفنت جثة الشاه بجانب جثتي الملك فؤاد والملك فاروق ، في المكان الذي دفنت فيه جثة والد الشاه رضى قبل اعادة رفاته الى طهران .

في ٣١ تشرين أول ١٩٨٠ ، ومع اتمامه ٢٠ عاما ، نصب ولي عهد ايران الامير كورش رضا نفسه ملكا على ايران . ولكن بعد حفل تنصيبه مباشرة ، اعلنت الولايات المتحدة ومصر عدم اعترافهما بالنظام الملكي في المنفى ، وانهما لا تنويان التراجع عن اعترافهما بنظام ثورة الخميني .

على الرغم من وفاة الشاه ، وضعف المعارضة وعلى رأسها رئيس الحكومـــة السابق شهبور بختيار وقائد القوات البرية السابق الجنرال علي اويسي ، لا تزال توجد في ايران عناصر كثيرة من عدم الاستقرار ، فالجيش انهار ، والاقتصاد دمر . وبلغ التضخم المالي نسبة ٥٠٪ وزاد عدد العاطلين عن العمل في مطلع عام ١٩٨١ عن اربعة ملايين نسمة ، وفقدت النساء حقوقهن السياسية ، وحلت الاحزاب وحل مكان حكم الشاه نظام حكم ديكتاتوري متعصب بزعامة الخميني . وبسبب محاولة ايران اثارة الشيعة ضد السنيين ، وبسبب المطالب الاقليمية التي سويت في عهد الشاه ، تدهورت العلاقات بين ايران وجاراتها . وهي تخوض الآن حرب استنزاف طويلة مع العراق .

لقد كانت الثورة الايرانية اهم حدث يقع في منطقة الخليج العربي في أواخر العقد الماضي ، وابعادها تتعدى منطقة الخليج نفسه . ومنذ احتلال الاتحاد السوفياتي لافغانستان في كانون أول ١٩٧٩ ، تشعر باكستان بخطر الدب الروسي . ولكن على المدى المنظور ، هنالك خطر يتهدد استقرار السعودية وتركيا . واذا ما تدهور الوضع في احداهما ، من المحتمل ان تكون نتائجه أكثر دمارا من تلك التي احدثتها الثورة الايرانية . فموقع تركيا الجغرافي واهميتها الاستراتيجية يتحدثان عن نفسيهما . وبما ان تركيا تقع على طول الحدود مع الاتحاد السوفياتي وايران والعراق وسوريا ، فهي تشرف على مدخل البحر الاسود وعلى الثغر الشرقي للبحر الابيض المتدسط .

وكون تركيا عضوا في حلف شمال الاطلسي ، فهي تمتلك جيشا يتألف من ٥٠٠ الف جندي ، وتزود حلف شمال الاطلسي بـــ ٢٢ فرقة من مجموع ٦٦ فرقة يتألف منها جيشها النظامي . وقد ارغمت الصراعات الدينية والحركات السرية اليسارية الجيش التركي على الاستيلاء على الحكم من جديد ، في حين تحاول الولايات المتحدة ودول اوروبا الغربية انقاذ تركيا من الازمة الاقتصادية الخطيرة التي سادتها ، منذ ان اقام كمال اتاتورك جمهوريته في عام ١٩٢٣ ، فقد زاد التضخم في تركيا على ١٠٠٪ ، وتشمل البطالة حوالي ٢٠٪ من مجموع الايدي العاملة ، والديون الخارجية تثقل على الدولة كما ان الدخل من العملة الصعبة لا يكاد يكفي قيمة الاستيراد النفطي . واذا لم يستطع الجيش التركي اعادة الاستقرار الداخلي ، فقد ينهار الجناح الجنوبي الشرقي لحلف شمال الاطلسي .

لكن هناك خطرا مماثلا يتهدد السعودية وامارات الخليج العربي ، فانهيار انظمة الحكم من هذه الدول ، من شأنه ان يعرض للخطر اقتصاد الدول الصناعية في الولايات المتحدة واوروبا واليابان ، ومن المحتمل ان تنجح الدول الغربية ، في القرن الحادي والعشرين ، في تطوير مصادر طاقة جديدة لتحريك عجلة الاقتصاد وتطوير قواهـــا العسكرية ، غير انه حتى نهاية القرن الحالي ، اي في العقدين القادمين ، ستظل هذه الدول بحاجة ماسة للنفط ، ولذلك اصبح امر المحافظة على استمرار تدفق النفط بانتظام ، من دول الخليج ، مصلحة قومية لجميع الدول الغربية .

ان القضاء على نظام حكم الشاه في ايران لم يغير ميزان القوى الدولي فقط ، بل غير نسبة القوى بين دول الخليج ذاتها . ففي اعقاب هذا التغير اصبحت العراق الدولة الرئيسية في المنطقة من حيث القوة العسكرية ، واصبحت جميع منابع النفط في ايران واتحاد الامارات العربية والكويت والسعودية تقع تحت مجال عملياتها . وبما ان العراق تمتلك قوة عسكرية مؤلفة من اربع فرق مدرعة وفرقتين آليتين وست فرق مشاة ، أصبحت تشكل تهديدا على كل جيرانها . فقد سبق ان انذرت العراق الكويت مرتين ، كما ان نظرتها لدول النفط الاخرى معروفة . وعلى الرغم من الضعف الذي يبديه الجيش العراقي في حربه مع ايران ، فلا زال يشكل تهديدا بالنسبة لدول الخليج العربي . غير ان العراق لا تريد اقتراب الاتحاد السوفياتي من حدودها ، وهي تخشى تطويق الدب الروسي . لذلك على الرغم من اتفاقية الصداقة الموقعـــة بينها وبين الاتحاد السوفياتي ، فقد نددت العراق بغزو السوفيات لافغانستان ، كما تمت في عام ١٩٧٨ محاولتان قام بهما الشيوعيون في العراق لانشاء خلايا سرية في صفوف الجيش العراقي .

ان الخوف المشترك من حدوث غليان اسلامي شيعي بايحاء من ايران ، والخوف من ابعاد الغزو السوفياتي لافغانستان ، اديا الى خلق تعاون مشترك وثيق بين العراق

وكل من السعودية والاردن، مع تباعد مستمر بين جناحي حزب البعث «دمشق وبغداد» وعلى غرار العلاقات الشخصية الوثيقة التي نشأت في الماضي بين الملك فيصل ملك العربية السعودية وبين الرئيس المصري انور السادات ، نشأت الآن علاقات مماثلة بين «ولي العهد» السعودي الامير فهد وبين الرئيس العراقي صدام حسين . فعندما تعطلت منشآت النفط في العراق نتيجة الحرب مع ايران ، تعهدت السعودية بتزويد الدول التي تشتري النفط من العراق ، وخاصة فرنسا ، باحتياجاتها النفطية . وبذلك ضمنت السعودية في الواقع تزويد العراق بالاسلحة الفرنسية ، وعودة خبراء الذرة الفرنسيين للاستمرار في بناء الفرن النووي بالقرب من بغداد .

لكن الولايات المتحدة وحليفاتها في اوروبا الغربية واليابان لا تستطيع الاعتماد فقط على هذا التعاون السعودي ـــ العراقي . كما ان حلف الاطلسي بتركيبته الحالية غير قادر على حماية مصادر النفط في الخليج العربي .

في أواخر الحرب العالمية الثانية ، وصف وزير خارجية الاتحاد السوفياتي آنذاك فياتستلاف مولوتوف ، سياسة بلاده في الشرق الاوسط بالكلمات التالية : «تتركز مطامع الاتحاد السوفياتي في المنطقة الواقعة جنوب باطوم وباكو ، ومنطقة الخليج العربي بشكل عام » .

ان حقيقة سيطرة دول الحلفاء على ٨٦٪ من مجموع مصادر النفط في العالم . مكنتها في نهاية الحرب العالمية الاولى من السير نحو النصر على امواج النفط .

في ضوء هذا الوضع ، سعى الاتحاد السوفياتي دائما لتأمين جزء من نفط الشرق الاوسط لنفسه ، او على الاقل ابعاد الولايات المتحدة وحليفاتها عنه . لقد ادت سياسة الاتحاد السوفياتي العدوانية ، في ايران واليونان وتركيا في حينه ، الى بلورة نظرية ترومان التي تمخض عنها اقامة الاسطول الاميركي السادس في البحر المتوسط ، واستخدام سلاح الجو الاميركي للقواعد الجوية في السعودية وليبيا وتركيا . غير انه في العقد الاخير ، بدأ الاتحاد السوفياتي بحركة الكماشة على نطاق واسع باتجاه الخليج العربي . وقد امتدت احدى اذرع الكماشة باتجاه افريقيا بمساعدة ١٥ الف جندي من كوبا ، كما ان نظام الحكم في انغولا موال للاتحاد السوفياتي وقد تم انزال ٢٠ الف جندي كوبي في اثيوبيا ، ساعدوا نظام الحكم الماركسي هناك بزعامة الكولونيل مجنسيتو هاليا مريم ، في صراعه المزدوج ضد جبهة التحرير العربية في اقليم اريتريا والصومال في اقليم اوغادين . وفي عام ١٩٧٨ انتقل النشاط السوفياتي من القرن الافريقي الى شبه الجزيرة العربية نفسها ، حيث استطاعت كتلة موالية للسوفيات في اليمن الجنوبية القضاء على خصومها في عدن ، وبدأت تشن هجوما على اليمن الشمالية على الحدود الجنوبية ـــ الغربية للعربية السعودية . وفي عام ١٩٧٩ ضربت

اليمن الجنوبية السعودية نفسها ، حيث احتل حوالي ٥٠٠ من الشباب ، الذين دربوا في عدن ، المسجد الحرام في مكة وسيطروا عليه مدة اسبوعين . وبعد اسبوعين من القتال المرير ، تم تطهير المسجد على ايدي ١٠٠٠ من جنود الحرس الوطني السعودي، مما ادى الى مقتل مئات من الجنود .

في ربيع عام ١٩٧٨ ، فتح الاتحاد السوفياتي الذراع الثانية للكماشة باتجاه افغانستان ، وافغانستان ظلت طيلة تاريخها نقطة انطلاق للغزاة ، اذ عبر عن طريقها الاسكندر المكدوني وجنكيز خان ليشكلا امبراطوريتيهما العظميين ، في العصور القديمة والوسطى ، وفي القرن التاسع عشر لعبت بريطانيا وروسيا القيصرية ما عرف « باللعبة الكبرى » في افغانستان .

في نيسان ١٩٧٨ ، قاد نور محمد تركي ، انقلابا عسكريا في كابول ، وقتل الرئيس الافغاني محمد داود ، وغير نظام الحكم الجديد اسم دولة افغانستان حيث اطلق عليها اسم الجمهورية الديموقراطية الافغانية ، ومنحها علما يشبه لون العلم السوفياتي . وفي ايلول ١٩٧٩ ، اطيح بالرئيس نور محمد تركي ، وقتل على يدي نائبه حفيظ الله امين ، لكن ذلك لم يرض الاتحاد السوفياتي ففي ٢٥ كانون اول ١٩٧٩ ، بينما كان العالم المسيحي يحتفل بعيد الميلاد ، غزا الاتحاد السوفياتي افغانستان ، وسلم السلطة للشخص الموالي له بابراك كارمل بعد القضاء على الرئيس امين .

لقد غير الغزو السوفياتي لافغانستان ، بين عشية وضحاها ، ميزان القوى بين الدولتين الاعظم وزاد من التهديد الشيوعي للخليج العربي . لانه خلافا للماضي ، يستطيع السوفيات الآن ضرب منابع النفط العربية ، كما يستطيعون من قواعدهم في بالوشستان الافغانية اغلاق الطريق عبر مضيق هرمز ، التي يمر عبرها حوالي ٨٠٠ برميل من النفط كل ساعة الى الدول الغربية . وبمساعدة قاذفات بعيدة المدى من طراز توبولوف/٢٢ ، وصواريخ عابرة القارات من نوع « س.س/٢ » واساطيلهم في المحيط الهندي والبحر المتوسط ، وقوة الانتشار السريع المرابطة في القوقاز ، وقواعدهم الجوية الجديدة في افغانستان ، والخدمات التي تقدم لهم في موانيء عدن واريتيريا ، يستطيع السوفيات الآن ضرب اي هدف في منطقة الخليج العربي .

منذ أن اخلى الجيش البريطاني في عام ١٩٧١ قواعده في شرق السويس ، اتضح للولايات المتحدة والدول الصناعية في اوروبا واليابان وجود ثلاثة اخطار تتهدد السعودية وامارات الخليج العربي ، وهي حركات سرية داخلية ، والنزاع العربي ـــ الاسرائيلي، والمغامرات السوفياتيـــة .

خلال السنوات الخمس عشرة الماضية ، اندلعت في الشرق الاوسط ١٢ حربا ونزاعات حدود بين الدول العربية ، واستبدل ١٣ حاكما في هذه الدول وقتل قسم منهم.

وكانت الحروب والنزاعات الحدودية بين الدول العربية « اكبر بكثير » من الحروب الاربع التي نشبت بين « اسرائيل » وجاراتها العربية خلال السنوات الثلاثين الماضية. لذلك وبدون التقليل من حدة النزاع العربي — الاسرائيلي ، فانه حتى لو وجد حل لهذا النزاع ، فان النزاعات بين الدول العربية ستستمر ، والقلاقل الداخلية ستظل تهدد رؤساء انظمة الحكم في دول عربية مختلفة .

كلما زاد ثراء دول الخليج العربي ، كلما انكشف ضعفها عسكريا واصبح الدفاع عنها مصلحة قومية للدول الغربية . وخلافا للخمسينات ، حيث اخذت الولايات المتحدة، حسب نظرية ترومان ، مهمة الدفاع عن المنطقة من بريطانيا ، عملت الولايات المتحدة في السبعينات حسب نظرية نيكسون ، التي سلمت امر الدفاع عن الخليج العربي لدول المنطقة ذاتها . فقد قرر نيكسون ، بناء على تجربة حرب فيتنام ، ان تعتمد الولايات المتحدة على السعودية وايران في حماية الخليج ، بينما يكون دور الولايات المتحدة مقتصرا على تزويدهما بالاسلحة والمشورة العسكرية . وتبنى ثلاثة رؤساء اميركيين هم : نيكسون وفورد وكارتر هذه النظرية ، واعتبروا السعودية وايران دولتين تتمتعان بالاستقرار .

لقد ادى انهيار حكم الشاه في ايران ، واستلام الخميني للسلطة ، الى انهيار نظرية نيكسون تماما . ومع ان السعودية ترغب ، حتى الآن ، بقيادة منطقة الخليج العربي والدول العربية المعتدلة والموالية للغرب ، فلا توجد لديها القدرة العسكرية لتحقيق هذه الرغبة . لكن العراق في المنطقة تمتلك القدرة العسكرية المطلوبة غير انه من الصعب على الدول الغربية الاعتماد على نواياها . ومن هذه الظروف ، حتى لو عادت ايران الى احضان الغرب ، فلن يكون لدى الولايات المتحدة خيار سوى قيامها هي نفسها بملء الفراغ الذي نشأ في منطقة الخليج العربي .

هنالك خطران رئيسيان يهددان الآن امن السعودية وامارات الخليج العربي ؛ هما تأثير الفلسطينيين المثير والنشاط السري الشيوعي في القرن الافريقي وشبه الجزيرة العربية . فقد دعم الفلسطينيون بصورة فعالة الثورة الايرانية ، كما يشكلون تهديدا على الاستقرار الداخلي في معظم دول الخليج العربي .

لقد زاد هذا التهديد في ضوء النشاط السوفياتي في القرن الافريقي وشبه الجزيرة العربية . وبمساعدة الخبراء الكوبيين والسوفيات في اثيوبيا ، ان تشكيل القواعد البحرية السوفياتية في ارتيريا تشكل تهديدا على « الخليج العربي » . وبمساعدة بضع مئات من الخبراء السوفيات والكوبيين والالمان الشرقيين ، نجح نظام الحكم الشيوعي في عدن من فرض سيطرته على مليوني نسمة ، وتهديد انظمة الحكم الشرعية في اليمن الشمالي وسلطنة عمان .

في عام ١٩٧٦ ، استطاع سلطان عمان قابوس قمع التمرد الشيوعي في اقليم ظفار بمساعدة ايران . وعلى الرغم من ذلك . يواصل السوفيات حشد دبابات ثقيلة من نوع تي ٧٢ ، واسلحة حديثة ومعدات عسكرية كثيرة في اليمن الجنوبية . وتقول مصادر غربية مختلفة ان اللواء السوفياتي الموجود في كوبا ، والذي عمل في تدريب الكوبيين على قتال الدروع ، لم يكن مخصصا الا للتمهيد لاستئناف التمرد في عمان . وفي مثل هذه الحالة يستطيع الكوبيون استخدام الدروع الموجودة في عدن ضد عمان ؛ لترجيح كفة الميزان في هذه الامارة كما فعلوا في انغولا واثيوبيا .

ان انتخاب رونالد ريغان ، لمنصب الرئيس الاربعين للولايات المتحدة ، يبشر بتحول في الاستراتيجية الاميركية في منطقة الخليج العربي . فبدلا من نظرية نيكسون التي انهارت الآن ، تتبلور الآن نظرية ريغان التي تسعى الى تواجد اميركي فعال في الشرق الاوسط . وكجزء من هذه النظرية اقامت الولايات المتحدة حتى في أواخر أيام حكم الرئيس جيمي كارتر قوة الانتشار السريع الاميركية . وخلقت تواجدا دائما في سلطنة عمان ، ويستشف من اقوال وزير الخارجية الاميركي الكسندر هيج ، ان الولايات المتحدة ترغب ايضا في خلق تواجد لها في العربية السعودية . غير ان السعودية لا تسمح للولايات المتحدة باستخدام قواعد دائمة في اراضيها ، وذلك لاسباب عربية مختلفة . وفي هذه الظروف لم يبق امام الولايات المتحدة سوى الاعتماد على مصر ، كمحطة استعداد متقدمة ، في الطريق الى الخليج العربي .

غداة الاطاحة بنظام شاه ايران ، اقترح السادات على الولايات المتحدة ان يقدم لها خدمات عسكرية في مصر . ومنذ ذلك الوقت حصلت الولايا تالمتحدة على خدمات كثيرة في مصر العليا . حيث قامت قواتها باجراء مناورات مشتركة مع وحدات برية وجوية — مصرية ، وبدعم من المدفعية المصرية في نيسان ١٩٨٠ ، خلال محاولة انقاذ الرهائن الاميركيين الاثنين والخمسين الذين كانوا محتجزين في طهران . والآن يميل الرئيس الاميركي الجمهوري رونالد ريغان الى الاعتماد على القواعد المصرية ، في جهوده للدفاع عن مصادر النفط في منطقة الخليج العربي . على كل حال ، ان الاختيار الحقيقي للاستراتيجية الاميركية هذه ، ليس بالتصريحات ، بل في مدى تنفيذها بالذات . ان «اسرائيل» ودولا اخرى موالية للغرب في منطقة الشرق الاوسط ، يجب ان تكون مقتنعة بأن الولايات المتحدة ستقف الى جانبها في حالة تعرضها لعدوان خارجي كما يجب ان يحصل زعماء السعودية والكويت وعمان ، وباقي امارات الخليج العربي ، على تعهدات واضحة بأنه في حالة تعرضهم لاعمال مناوئة داخلية او اعمال تحريض خارجية ، ستهب الولايات المتحدة لنجدتهم حتى لا يكون مصيرهم كمصير شـــاه ايـــران .

ثـورة الخمينـــي

في النصف الثاني من عام ١٩٧٨ ، بدأت الاضطرابات في ايران تتحول الى عامل مهدد واصبح الشاه الايراني غير قادر على السيطرة على زمام الامور . فقد عملت تشكيلة من قوى المعارضة الشاملة ضمت المؤسسات الدينية والاوساط اليسارية ، وزعماء الجبهة الوطنية ومؤيديهم من رجال الاعمال والمثقفين والطلبة ، على الاطاحة بعرش الشاه وانشاء نظام حكم جمهوري في ايران .

في النصف الاول من نفس العام ، لم تكن مجموعات المعارضة بهذا الشكل من التكتل ، وكان باستطاعة الشاه المناورة بين مختلف الاجنحة المعارضة لنظام حكمه . لكنه في النصف الثاني من نفس العام اظهر الشاه علامات ضعف ، مما شجع الاوساط المعارضة على التكتل بزعامة الزعيم الديني آية الله خميني . وبهذا يكون قد تقرر مصير اسرة بهلوي التي حكمت ايران اكثر من ٥٠ عاما .

لقد حاول الشاه ، في اعقاب اضطرابات استمرت عدة اشهر ، تليين موقف المعارضة لنظام حكمه ، عن طريق قطع الوعود المختلفة بشأن العمل على ديمقراطية الحكم . ولكي يعزز الثقة بوعوده ، عزل الشاه في حزيران ١٩٧٨ رئيس مؤسسة « السفاك » الجنرال نعمة الله نصيري ، وعينه سفيرا في باكستان ، وعين بدلا منه الجنرال ناصر مقدم رئيسا لمؤسسة المخابرات والامن ، حيث لم يكن متورطا حتى ذلك الوقت في نشاطات « السفاك » ، كما لم يتهم بتعذيب السجناء السياسيين . وكانت اوساط القصر تأمل في ان يؤدي التغيير في رئاسة مؤسسة السفاك الى تهدئة الوضع . غير ان النتيجة كانت عكسية فقد رات المعارضة بعزل نصيري علامة ضعف واصرت على الاستمرار في الضغط على الاسرة المالكة ، ومما زاد خطورة الامر ؛ ان مؤسسة السفاك لم تستطع التغلغل في صفوف الحركات السرية . كما انه كان معروفا بأن « البازارا » يمول المؤسسة الدينية ، ولم يستطع اي عنصر امني وضع يده على التجار الذين يفعلون ذلك .

على الرغم من كل ذلك ، ادت اشهر الصيف الحارة الى هدوء معين في نشاطات الثورة في ايران ، حتى ان سفير الولايات المتحدة في ايران ، وليان سوليفان ، اعتقد بأن الشاه تغلب على الازمة ، وذهب باجازة طويلة الى بلاده التي عاد منها الى ايران في نهاية الصيف . لكن « اسرائيل » اعتقدت غير ذلك . في ١٣ حزيران ١٩٧٨ ، وخلال زيارة قصيرة لاسرائيل ، اجتمع السفير الاسرائيلي في طهران آنذاك « اوري لوفرني » مع وزير الخارجية موشه دايان ، وقدم له تقريرا بأن الشاه يفقد السيطرة على بلاده . وطلب دايان من لوفرني ان يقدم تقريره هذا خطيا ، وقبل عودته الى طهران قدم لوفرني الى موشه دايان مذكرة بالخط اليدوي ، ارسلت فيما بعد لرئيس الحكومة

مناحيم بيغن وعدد من وزراء الحكومة . وجاء في المذكرة ، التي اعتمد فيها لوفرني على محادثاته مع عناصر كثيرة في طهران ، ان الشاه لا يرى الصورة الحقيقية للوضع في بلاده ، وان ايران تقف على حافة تغير في نظام الحكم ، وان هذا سيحدث خلال فترة اقصاها ثلاث سنوات . ولهذا اقترح لوفرني ان تعيد « اسرائيل » النظر في سياستها الايرانية في جميع المجالات بما فيها تزويد النفط .

كما تم نقل مضمون المذكرة لواشنطن . ولكن بعد وقت قصير ، ابلغت «اسرائيل» بأن الادارة الاميركية لا تشارك السفير الاسرائيلي في آرائه . فقد توقع خبراء وزارة الخارجية والاستخبارات الاميركية حدوث تغيير في نظام الحكم في ايران ، خلال ١٠ــ١٥ سنة القادمة . واعتقدوا ان قوة المعارضة الايرانية لا تزال محدودة . وبناء على ذلك ، قررت الولايات المتحدة في ٥ تموز الاستمرار في تزويد ايران بالاسلحة . وكجزء من رغبة الشاه في تليين المقاومة لنظام حكمه، وعد في الرابع من آب بمناسبة يوم «الدستور» باجراء انتخابات حرة ١٠٠٪ ، يستطيع كل شخص باستثناء الشيوعيين ، ترشيح نفسه للمشاركة في البرلمان ، حتى لو لم يكن من اعضاء الحزب الحاكم « رستا حيز » . لكنه يتضح الآن ان الشاه والولايات المتحدة قد خدعا نفسيهما بشكل خطير جدا ، فقد استغلت اشهر الصيف من قبل المعارضة لتشكيل تنظيمات سرية داخل الدولة وخارجها . كما ان عزل النصيري عن رئاسة السفاك ، ساعد على اضعاف المراقبة على معارضي النظام . فبمبادرة من الدكتور ابراهيم يازدى اقيمت في الولايات المتحدة خلايا معارضة في اوساط الطلبة الايرانيين ، بينما اقام صادق قطب زاده ، وهو عضو في مجلس الثورة ومن ثم وزير خارجية ، علاقات مع منظمة التحرير الفلسطينية في دمشق ، واشرف على تدريب « مخربين » في معسكرات التدريب الفلسطينية في لبنان وليبيا . وقد اختار قطب زاده طريقة العمل في مدن الميدان ، بهدف بعثرة جهود النظام ، وفي مرحلة متأخرة فقط ، الدخول الى طهران نفسها .

لقد اعطيت الاشارة للانتفاضة الجديدة في ١١ آب المصادف اول يوم من شهر رمضان ، حيث خرج آلاف المصلين من المساجد في مدينة اصفهان واشعلوا النار في البنوك ودور السينما وسيارات الشرطة . وقمع الجيش بقوة الاضطرابات وقتل اكثر من ١٠٠ شخص . في اعقاب ذلك ، انتشرت لاول مرة دعاية بأن جنودا اسرائيليين هم الذين قتلوا المتظاهرين وادت القسوة التى عمل بها الجيش لقمع الاضطرابات الى اثارة المظاهرات في مدن تبريز وشيراز وقم . وهنا ايضا قمعت المظاهرات . لكنه في ١٦ آب وقع عمل أثار الخواطر اكثر من اي عمل آخر ، فقد اشعلت النار في سينما ركس في مدينة عبدان النفطية عاصمة «خوزستان» في جنوب غرب ايران ، وقتل نتيجة لذلك ٣٧٧ شخصا ، ولم يعرف حتى الآن من كان يقف وراء هذا العمل المفجع . وادعت المعارضة ان ذلك العمل هو من تدبير مؤسسة « السفاك » والصقت التهمة بالجنرال رضى رزمى كمسؤول عن العملية . ويقيم الجنرال رزمى حاليا في لوس انجلوس

وقد رفضت الحكومة الاميركية طلب تسليمه لحكومة الخميني . لكن الشاه رفض ادعاء المعارضة في حينه ، وقال ان المعارضة هي التي أحرقت دار السينما بهدف اثارة المشاعر ضد نظام حكمه . وعلى كل حال سادت البلاد موجة من اعمال الشغب شملت معظم المدن الايرانية . ومن مكان منفاه في النجف في العراق ، دعا الخميني جنود الجيش الايراني الى عدم اطاعة اوامر قادتهم ، وان لا يطلقوا النار على المتظاهرين . كما دعا الخميني الى الاطاحة بعرش الشاه ، واعلن لاول مرة ان هدفه هو انشاء جمهورية اسلامية . لقد وضعت اعمال الشغب والاضطرابات الشاه امام خيار صعب هو هل يقوم بقمع الاضطرابات بقوة ، كما يطالب الجيش ، او اخراج الريح من شراع المعارضة عن طريق عزل رئيس الحكومة جامشيد اموزجار وتشكيل حكومة اكثر استقلالا ، واختار الشاه طريق المصالحة وتقديم تنازلات لمعارضيه . ففي السابع والعشرين من آب عين جعفر شريف امامي ، رئيس مجلس الشيوخ ورئيس « صندوق بهلوي » ، رئيسا للحكومة مع تعهد علني باعطائه حرية عمل كاملة ، في جهوده لاعادة النظام الى وضعه الطبيعي في البلاد ، وكانت تلك غلطة قاتلة من جانب الشاه . اذ انها كشفت من جديد ضعف النظام . وبرر الشاه تصرفه هذا بقوله : « ان الملك لا يستطيع قتل شعبه » . لكن المقربين منه يقولون ان الشاه فقد الثقة بنفسه ، وخشي ان لا يستطيع الحيلولة دون تدهور الوضع في البلاد .

لقد عين الشريف امامي ، امير خوسار افشار ، في منصب وزير خارجية وبذلك أمن الاستمرار في سياسة بلاده الشرق الاوسطية والدولية . لكن امامي ذهب بعيدا في اعطاء الحريات في الداخل اكثر مما كان يخطط الشاه ، وكسياسي محافظ ، كان معروفا بعلاقاته مع رجال الدين ، قدم امامي تنازلات هامة للمؤسسة الدينية . فقد اعاد العمل بالتقويم الاسلامي بدلا من التقديم الفارسي ، الذي اتبعه الشاه في عام ١٩٧٦ والغى وزارة شؤون النساء واغلق بيوت الرفاهية والقمار . وكشخص مقبول من قبل الاوساط الوطنية ، منح حرية كاملة للصحافة ووعد بالانتقال التدريجي الى نظام حكم متعدد الاحزاب ، وفجأة اعلن عن قيام ١٨ حزبا ، كما بدات الصحافة بشن حملة من التهجم العشوائي على نظام الحكم ، وكانت تنشر صور الخميني على نطاق واسع . لقد كان ذلك تغيرا بارزا ، حيث ان ذكر اسم الخميني ونشر صوره في الصحف كان ممنوعــا .

ان كون الشريف امامي رجلا خطابيا وسياسيا بارعا ، اراد استغلال هذه الصفات عن طريق ظهوره باستمرار امام البرلمان ، ولكي يخفف من مقاومة المعارضة ، صرح في البرلمان انه بناء على الدستور ، يشغل الملك دورا صوريا فقط ، بينما ستكون الحكومة من الآن فصاعدا المسؤولة امام ممثلي الشعب . ولكي يرضي الجماهير ، الغى امامي ضريبة السفر ومنح تسهيلات للمجندين في الخدمة الالزامية . غير ان هذه الوسائل جميعها لم تكن كافية لتهدئة الارواح . ورأت المعارضة بهذا علامات جديدة

للضعف وضاعفت ضغطها على النظام . وخلافا لموزجار ، لم يكن امامي يتمتع بشهرة السياسي الشريف . كما استغلت حقيقة ترؤسه « صندوق بهلوي » من قبل المعارضة ، لوصفه بأنه يتستر على اعمال الفساد التي يمارسها الشاه والاسرة المالكة . ان حقيقة نجاح الشاه بايجاد رجل سياسي ذي مكانة مرموقة ، يوافق على تشكيل حكومة مدنية جديدة ، اقنعت الادارة الامريكية بأن موقف الشاه لا يزال قويا .

لقد كتبت صحيفة نيويورك تايمز في ٢١ كانون اول ١٩٧٨ ، في سياق استعراضها لاحداث ايران ، تقول : « ان وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية توصلت الى تقدير ـ في نهاية شهر آب ، بأن الشاه يمسك بزمام الامور بقوة ، وان باستطاعته الاستمرار في الحكم فترة اخرى تتراوح ما بين ١٠ ــ ١٥ سنة » .

لكنه منذ مطلع شهر أيلول زادت خطورة الوضع . وبدا ان الشاه لم يكن مقدرا لقوة المعارضة لنظام حكمه . واتخذت ديناميكية الاضرابات والمظاهرات العنيفة شكلا متسارعا وخطيرا . فقد خرج آلاف المتدينين في يوم الاثنين الرابع من أيلول في مظاهرة في شوارع طهران بمناسبة انتهاء شهر رمضان ، وقذف المتظاهرون الازهار على الجنود الواقفين على جوانب الشوارع ودعوهم الى عدم اطلاق النار . وانفجر عدد كبير من الجنود بالبكاء وقالوا انهم هم ايضا جزء من الشعب وليسوا اعداء ، وفي يوم الخميس السابع من ايلول جرت في طهران مظاهرة اخرى اكثر اثارة ، فقد خرج حوالي مليون شخص في مسيرة مثيرة في شارع بهلوي ، وهو احد الشوارع الطويلة في العاصمة الايرانية ، وهم يهتفون « الموت للشاه ، يحيى الخميني » . ان مثل هذه الهتافات لم يسبق ان سمعت في طهران . ودل ذلك على مدى ضعف النظام . وبنفس الوقت ابرز ذلك مدى انتظام المعارضة بزعامة الخميني ، وبدأت رياح الثورة تهب في كل مكان في الدولة . وشعر قادة الجيش بالخطر ، واقترحوا على الشاه وقف موجة التنازلات التي يقدمها رئيس الحكومة المعارضة ، وان يتصرف النظام بيد قوية لاعادة النظام والامن الى حالتهما الطبيعية .

ولهذا عندما تجددت في اليوم التالي الاضطرابات في طهران واحدى عشرة مدينة اخرى فرق الجيش المتظاهرين مستخدما ضدهم قسوة وحشية . وادعى رجال المعارضة انه قتل في المظاهرات التي جرت في طهران اكثر من ٣٠٠٠ شخص . وفي محاولة لمنع تجدد المظاهرات اعلن الحكم العسكري في اثنتي عشرة مدينة ، وعين الجنرال علي عبيسي قائد القوات البرية مشرفا على تنفيذ الحكم العسكري .

لقد ادت المذبحة في طهران الى تجدد الاشاعات بأن حوالي ٣٠٠ جندي اسرائيلي وصلوا طهران ، على متن ثلاث طائرات نقل ، لقمع الاضطرابات ، وقال رجال الدين في المساجد انه من غير المعقول ان يفتح الجنود الايرانيون النار على ابناء شعبهم .

لذلك من الواضح ان الذين اطلقوا النار على المتظاهرين هم جنود اسرائيليون . وقالت صحيفة كيهان الايرانية ، في عددها الصادر يوم ١٢ حزيران ١٩٧٩ ، ان حكومة «اسرائيل» أرسلت الى طهران كتيبة كوماندو مختارة لديها الخبرة في قتال المدن ، ونقلت الكتيبة بطائرات العال ، تلك الشركة المرتبطة بالاستخبارات الاسرائيلية . وكان قائد الكتيبة رحبعام زئيفي ، الذي عمل قائدا للمنطقة الوسطى في الستينات ومن ثم عين مستشارا لرئيس حكومة «اسرائيل» لمحاربة الارهاب . وارتدى جميع الجنود الاسرائيليين ومعهم يهود من ايران لباس الجيش الايراني . ولكي تغطي السلطات قدوم الجنود الاسرائيليين ، روجت اشاعة بأن هذه الكتيبة « احضرت من اقليم بلوخستان » . وانضم خبراء عسكريون اسرائيليون ، واعضاء منظمة الدفاع اليهودية السرية من اليهود الايرانيين ، الى الكتيبة في طهران . لكن «اسرائيل» لم تكتف بذلك، فقد استخدمت عددا من اليهود الايرانيين ضد المتظاهرين . واستخدمت القاعدة العسكرية الصغيرة بالقرب من عبدان وقاعدة بندر عباس ، التي كانت تدار من قبل الاسرائيليين لتدريب المقاتلين ضد الثورة . كما استغلت «اسرائيل» وسائل الاعلام وبدأت بشن حملة من الحرب النفسية ضد الشعب الايراني . وتجدر الاشارة هنا الى ان هذا الادعاء عار عن الصحة . وعلاوة على الاشاعات التي راجت حول دور «اسرائيل» في قمع المظاهرات ، ظهرت في عدة مدن ايرانية شعارات معادية لليهود و«لاسرائيل» وأرسلت رسائل تهديد لزعماء اليهود في ايران . وكرد على ذلك اصدر نائب رئيس الحكومة الاسرائيلية يجئال يدين بيانا رسميا نفى فيه هذه الاتهامات وقال انها مجرد اختلاق .

على الرغم من كل ذلك ، لم تقدر الادارة الاميركية حتى ذلك الوقت خطورة الوضع في ايران ، لقد كانت الادارة الامريكية في الواقع مشغولة منذ الخامس من ايلول بكامب ديفيد ، وبالمفاوضات مع الرئيس المصري انور السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن ، للتوقيع على معاهدة « سلام » بين الدولتين . وتركت الشؤون الايرانية لمعالجتها من قبل عدد من موظفي وكالة الاستخبارات الاميركية ووزارة الخارجية الاميركية . لكن هؤلاء لم تكن لديهم الصلة المباشرة بالمسؤولين عن اتخاذ القرارات في كامب ديفيد . في ضوء تفاقم الاضطرابات في طهران ، حث اردشير زاهدي سفير ايران في واشنطن والصهر السابق للشاه ووزير خارجية سابق ، الدكتور زبيجنيو بجنسكي لكي يدفع الرئيس الاميركي جيمي كارتر الى اصدار تأييد اميركي علني للشاه . وفي يوم الاحد العاشر من ايلول اتصل كارتر هاتفيا مع الشاه في طهران . ولكن خلال ابداء تأييده له طلب منه الاستمرار في اسلوب منح الحريات . كما ان الرئيس المصري انور السادات اتصل هاتفيا مع الشاه في حين ان رئيس حكومة «اسرائيل» لم يشأ احراج الشاه بتأييد علني ، واتبع الطرق الدبلوماسية لابلاغ الشاه تضامن «اسرائيل» معه .

في هذا الوقت بدأت تظهر في واشنطن سياسة متناقضة . فقد ابدى بعض المسؤولين في الادارة الاميركية مخاوف مبالغا فيها من المعارضة . وشككوا في قدرة الجيش على فرض حكومة مدنية معتدلة على الشعب . وتملك هؤلاء المسؤولين الخوف من التنازلات التي تقدمها حكومة امامي . فقد ادى منح الحرية الكاملة للصحافة الى اظهار مدى الكراهية للشاه والولايات المتحدة . لذلك أبدت واشنطن مخاوفها من ان تؤدي الديمقراطية هذه الى سيطرة السوفيات على الدولة . ولهذا وافقت الولايات المتحدة على تزويد ايران بمعدات لتفريق المتظاهرين ، التي كانت ترفض في السابق تزويدها لايران ، حتى انها أعربت عن استعدادها لتدريب وحدات ايرانية على استخدام هذه المعدات بأقصى سرعة ممكنة .

كانت تلك أياما صعبة بالنسبة لاسرة بهلوي ، كما ان « التحريض الاسلامي » ضد «اسرائيل» والولايات المتحدة آخذ في ازدياد . وكان الاقتصاد مدمرا والبنوك مشلولة ، وتعرقلت صناعة النفط وتكدست البضائع المستوردة في الموانيء والمطارات. وكان الجهاز الحكومي مشلولا . وبلغ تهريب رؤوس الاموال ما بين ٢٠ و ٥٠ مليون دولار في اليوم . ووزعت في شوارع طهران منشورات تتهم ١٤٤ شخصا ، من بينهم حكومة سابق واقرباء الشاه وسفير كبير وعدد من نواب الوزراء . بتهريب مبلغ يزيد على ملياري دولار لبنوك في اوروبا والولايات المتحدة . وراجت اشاعات كثيرة حول مكانة الشاه ، واستخلص منها جميعها استنتاج واحد هو ان الشاه اصبح لا يسيطر على الوضع ، وان ايامه في الحكم معدودة . في تلك الايام ، انهى السفير الاسرائيلي في ايران اورى لوفرني مهام منصبه وعين بدلا منه يوسف هرملين ، وهو رجل شجاع وخبير ، اشغل عدة مناصب في السلك الحكومي الاسرائيلي ، ولدى عودة لوفرني من طهران ، قال انه منذ اندلاع المظاهرات الكبيرة في الثامن من ايلول ، تشوشت العلاقات اليومية للسفارة الاسرائيلية مع المؤسسات الحكومية الايرانية والقصر الملكي في طهـــران .

لقد كان يتوجب علي وداع الاصدقاء الذين كونت معهم علاقات جيدة ، طيلة خمس سنوات من خدمتي في ايران . ومن بين اولئك الذين نجحت في وداعهم رئيس الحكومة السابق امير عباس هويدا والجنرال غولام رضى ازهري رئيس هيئة الاركان الذي اصبح رئيسا للحكومة ، وعلي خلعتبري وزير خارجية ايران وهو الوحيد الذي زار «اسرائيل» (هويدا وخلعتبري اعدما فيما بعد بأمر الخميني) ولم اطلب وداع الشاه كما تتطلبه الاصول الدبلوماسية ، اولا لانني كنت اعتقد بأنه كان مشغولا بشؤون الازمة التي كانت تهدد عرشه ، وثانيا لم يكن هناك اي موضوع ذي اهمية بالنسبة «لاسرائيل» . لذلك قررت عدم سلب جزء من وقت الشاه ، الذي هو بحاجة اليه لحل مشاكله . لكنه في ١٦ ايلول ١٩٧٨ اتصل بي شخص قدم نفسه لي باسم اميني ، وأبلغني انه حددت لي مقابلة مع الشاه في اليوم التالي . وكان بديلي يوسف هرملين

موجودا في طهران . لذلك سألت اميني ما اذا كان بالامكان احضاره معي لتعريف الشاه عليه . وكان جوابه رفضا تاما . وكان اتصال اميني بي « امرا شاذا » ، اذ انه كان من المعتاد ان يتم الاتصال بالسفراء الاجانب عن طريق وزارة الخارجية ، او الديوان الملكي ، او « بطرق اخرى » . غير ان اميني قال بأنه يعمل في مكتب الشاه الخاص . وكان ذلك يعتبر امرا جديدا . ومعنى ذلك ان الشاه لم يعد يثق بأولئك الذين خدموا معه مدة طويلة . واخبرني اميني انه سيحضر ليأخذني بسيارته وان يبقى أمر الاجتماع سرا . ولم افاجأ من الطلب . في تلك الايام راجت «اشاعات» في طهران حول وجود جنود اسرائيلين لقمع الاضطرابات . وعلى الرغم من كون هذه الاشاعات «خيالية» الا ان بعض الجماهير صدقها . من هنا كان سبب حساسية القصر الملكي ، من اي اتصال مع «اسرائيل» ، مفهوما .

في اليوم التالي ، وفي الوقت المحدد ، حضر اميني الى منزلي . وجاء بسيارة عادية لا تحمل اية اشارات رسمية . وفي الطريق اجرينا محادثة هامة تمهيدا لمقابلة الشاه . وروى لي اميني الضغوط التي يواجهها الشاه ووضعه النفساني . وقال ان الشاه معزول الآن اكثر من اي وقت مضى . وكان يريد من وراء ذلك ان اكون مستعدا من الناحية النفسية لمواجهة اي نوع من المقابلة ،لانها ربما تكون غير لطيفة .

لم تجر « مقابلة الوداع » في قصر الشاه الدائم قصر نيوران ، بل جرت في قصر سعد اباد ، وهو قصر قديم . ولم يكن من الصعب تفسير سبب اجراء المقابلة في هذا المكان . فقد اعطى الشاه حديقة قصر نيوران الواسعة الى الشعب الايراني كهدية . ولهذا كانت الحديقة مفتوحة للمتنزهين ولم يكن قصر سعد اباد كذلك . فقد كان القصر محاطا بسور عال والدخول اليه ممنوعا . وكان الشاه يستطيع ان يركب حصانا ويتجول على رجليه في حديقة القصر الواسعة ، دون ان يخش تعرض حياته للخطر .

في تلك الايام كانت اعتبارات الامن هي التي تحدد سلوك الشاه وكان يتصرف بموجبها بدقة وعلى طول الطريق الى القصر ، كانت تقف سيارات السفاك وعملاء الخدمات السرية الايرانية بالملابس المدنية ، وكانوا يراقبون اية حركة مشبوهة . وكلما اقتربنا الى القصر كانت الحراسة اشد ، وكان يشترك فيها جنود من الجيش النظــامي .

في بوابة القصر ، وقف جنود الحرس الملكي بملابسهم الرسمية . ودخلنا البوابة دون توقف ، ودون ان يعرف الحراس من بداخل السيارة . وكانت تلك المرة الاولى التي أزور فيها القصر . وكانت حديقة القصر مليئة بالازهار غير انها كانت خالية من الناس . وكان الهدوء يسود الحديقة . وتوقفت السيارة على باب القصر . وكانت

هنالك حوالي ٤٠ درجة من الرخام تؤدي الى المدخل ، واعمدة عاليه من الرخام كانت تليق بمكانة جلالته . وفتح الباب حارس يرتدي ملابس خضراء ، وكان يغطي الممر سجادة حرير لم يشاهد مثلها حتى في ايران بلد السجاد ، ووصلنا الى غرفة الانتظار هناك ودعني اميني ، وجاء موظف آخر يتكلم الانجليزية الضعيفة . وقدم لي الناول عصير الرمان . وحاولت اجراء محادثة قصيرة مع الموظف الجديد غير انه تهرب من الاجابة . ثم جاء كلب الشاه الشهير المدعو «بلوديان» وكنت اعرفه من زياراتي السابقة للشاه ، واشتم رائحتي . وكان واضحا ان سيده موجود بقربنا ، وبعد دقائق دعيت الى مكتب الشاه . ولدى دخولي لم يكن الشاه ذلك الرجل الذي اعرفه ، لان ملامح وجهه لم تكن تخفى ما يدور في خلده نتيجة ما يجري حوله .

لقد كان مكتب الشاه مثيرا جدا ، وكان مؤثثا على طريقة لويس الرابع عشر . في آخر الغرفة ، بجانب الشباك الواسع المطل على الحديقة ، كانت توجد طاولة عمل كبيرة ، وقبالتها قاعة جلوس واسعة . وكانت هنالك اعداد كبيرة من الهدايا التي كانت تقدم للملوك فارس في الماضي . وكان الدليل الوحيد على التوتر الذي يعيشه الشاه منفضة سجائر مليئة بأعقاب السجاير .

توجه الشاه الي بالانجليزية وقال : بلغني انك على وشك انهاء خدمتك في طهران ، ورأيت انه من الواجب رؤيتك قبل عودتك الى «اسرائيل» .

شكرته على هذه اللفتة ، واشرت الى انني امتنعت عن طلب مقابلته لانني كنت اعلم بمدى انشغاله في مشاكل اخرى . وقلت له ان بديلي وصل طهران . لقد جرت مقابلتي الوداعية مع الشاه بعد التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد ببضعة ايام ، لذلك انتقلت الى الحديث عن النزاع العربي ــ الاسرائيلي وبعد ان ابلغت الشاه بتحيات مناحيم بيغن رئيس وزراء «اسرائيل» ، الذي التقى به في شهر شباط قلت انه فتحت الطريق في كامب ديفيد لتحسين العلاقات بين مصر و«اسرائيل» . ولم يرد الشاه . وبدا لي انه في عالم آخر يعيش جوا من الفوضى ولا يدري ما يدور حوله .

على الرغم من ذلك ، تجرأت وسألت الشاه كيف يرى التطورات في بلاده خلال الاسابيع القادمــــة .

أفاق الشاه فجأة واجاب بمرارة ، لا اعرف ما يريدونه مني ، وما الذي يدفعهم الى عملهم الانتحاري هذا . والمصيبة ان الاميركيين ايضا لا يدركون الوضع . وهم يدفعوننا الى الكارثة . فالاميركيون يتحدثون عن حقوق الانسان وحرية الكلمة . ولكن انظر ماذا فعلوا بايران . لم يسبق ان فهم الاميركيون الشعب الايراني كما لم يفهموه أبدا . وبدا ان الشاه يريد الخلاص مما يجول في خاطره . وكرر علي قوله الذي كان يردده دائما ، وهو انه من الصعب الانتقال بدولة كايران من عصر التخلف والضعف

الى المدنية والتكنولوجيا الحديثة دفعة واحدة . وكان هدفه تقصير هذه النقلة بقدر الامكان . لقد حصلت اخطاء بالفعل ، ولكن كان لا بد من حصولها . وخلاصة القول انه كان ينقص الشاه الوقت . ولو حصل عليه ، لقامت في ايران دولة جديدة يمكن ان تكون قدوة في العالم كدولة تعرف كيف تستغل ثرواتها ومواردها القومية . وكان ذلك سيرفع مكانة ايران بين دول العالم ويجعلها من اهم واقوى الدول في الشرق الاوسط. وقال الشاه انني لا اعرف ما يريدونه مني بالضبط ولا اعرف الى ماذا يسعون . انك لا تعرف رجال الدين ومؤيدي الخميني . انهم يريدون العودة بايران الى ظلام العصور الوسطى هذا يجب ان لا يحدث سواء لمصلحة ايران او لمصلحة العالم كله .

لقد ساد الغرفة سكوت حمل ، وقلت للشاه ، لقد امضيت في ايران خمس سنوات وكانت تلك فترة جميلة في حياتي ليس فقط كدبلوماسي عاش في بلد كبير ذي شأن ، بل كممثل دولة لها تاريخ مشترك مع ايران ، وبفضل الشاه تكوّنت بين الدولتين علاقات ليس لها مثيل في العالم . ورد الشاه على ذلك بقوله ان التعاون الاسرائيلي الايراني ، « الذي مكنه من التطور » ، لا يقاس بالكمية او بالنجاح والفشل الفوريين، بل ذلك كان تعاونا بعيد المدى وبعد فترة فقط سيمكننا لمس فوائده .

ولكي اضحك الشاه قلت ان زميلي في «اسرائيل» الدكتور مرتضاي قال مرة انه لا يشعر بوجوده في «اسرائيل» بسبب الطبيعة السرية للعلاقات « الاسرائيلية — الايرانية » ولم يعلق الشاه على ذلك وهنا دخلت المحادثة الى الشؤون الشخصية ، وفوجئت من معرفة الشاه بتفاصيل وثيقة عني ، حيث ابلغني ان زوجتي وبناتي يقمن في «اسرائيل» منذ سنة . ثم سألني عن المنصب الذي سأتولاه بعد عودتي الى «اسرائيل» وابلغته بأنني انوي ترك الخدمة الحكومية بعد ٣٠ سنة من الوظيفة .

اغتنمت فرصة هدوء الجو لاقول بعض الكلمات امدح فيها بديلي . وقلت للشاه ان السفير الاسرائيلي الجديد يوسف هارملين اختير بدقة ، ولدى الثقة فيه يمكنه اقامة علاقة مباشرة مع القيادة السياسية في «اسرائيل» . واعربت عن املي في ان ينال السفير الجديد ثقة الشاه ويجد لديه الاذن الصاغية ، كما كان الامر بالنسبة لي واختتمت اقوالي بأن سألت الشاه : كيف يمكن هارملين ان يتصل به ، هل عن طريق مكتب الديوان الملكي ام بطريقة اخرى . واغرق الشاه في التفكير ثم قال على اي حال ليس بالطرق السابقة ، وخاصة ليس عن طريق مكتب الديوان الملكي . واذا كان هارملين يريد ابلاغي بشيء ما فعن طريق رئيس التشريفات خوسرو اخشار ، لانني اثق به ثقة مطلقة ، وهنا انتهى الحديث والوداع . وقام الشاه وصافحني قائلا : لا تنسانا ...

في بداية شهر تشرين أول طرا تطوّر مثير عجّل سير الاحداث . فبعد تدخل دبلوماسي في بغداد امرت حكومة العراق في الثالث من اكتوبر ١٩٧٨ آية الله الخميني بمغادرة

اراضيها . وحاول الخميني في البداية الاستقرار في الكويت ، وعندما لم يتمكن من ذلك طلب اللجوء الى فرنسا وحصل على ملجأ هناك . وكان ذلك خطأ جسيما بنظر الشاه، اذ انه خلافا للعراق الذي حدد نشاط الخميني ومنعه من التحريض السياسي ، منحت فرنسا الخميني حرية كاملة . وعقد الخميني في منفاه الجديد مؤتمرا صحفيا واجتمع الى زعماء المعارضة ، واصبح مكانه في « نوفل لاشاطو » مقرا لقيادة الثورة . واذيعت خطابات الخميني المسجلة باللغة الفارسية من الاذاعة الليبية ، وانتشرت بسرعة في جميع انحاء ايران .

خلال شهر تشرين أول ، تحولت حركة الاحتجاج ، في ايران الى حركة ثورية تماما. وعلى الرغم من ذلك لم يفعل الشاه شيئا ليحد من نشاط الخميني في فرنسا . وحاولت فرنسا في احدى المرات طرد الخميني من اراضيها ، لكن الشاه لم يشجعها على فعل ذلك . وكانت السفارة الاميركية حتى ذلك الوقت تدعي بأن موقف الشاه قوي .

قبيل نهاية تشرين أول ، توسع نطاق الاضرابات والمظاهرات ليشمل جميع أنحاء ايران . وتقلص انتاج النفط ، واصبح يغطي بصعوبة احتياجات الدولة . وشل الجهاز الحكومي ، وتوقفت المؤسسات البنكية عن العمل . ونقصت المواد الغذائية من الاسواق . وظهرت الميليشيات الدينية ، التي تدربت في معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية في لبـــنان وليبيا ، لاول مرة في شوارع المدن وتولت المحافظة على النظام في الاحياء الشعبية ، واشرفت على حركة السير ، حتى انها اقامت في بعض الاحيان الحواجز في اجزاء مختلفة من العاصمة الايرانية .

ان الذي زاد من خطورة الازمة هو عدم قدرة الشاه على القيادة . فالشاه الذي كان يعتبر حاكما قويا ، حكم بلاده وشعبه بيد فوقية ، ظهر الآن كزعيم ضعيف وعصبي المزاج غير قادر على اتخاذ القرارات وفي اعقاب المقابلة التي اجراها الشاه في ٢٤ تشرين أول مع سفيري الولايات المتحدة وبريطانيا ، وليامس سوليفان ، وانتوني بارسونس، تأكدت الاشاعات بشأن مرض الشاه . وبعد ان شرح الشاه للسفيرين عن مرض السرطان الذي يعاني منه ، كرر قوله امامهما بأن الملك لا يستطيع قتل شعبه . وكان كئيبا من عمليات القتل التي حدثتت في الشوارع . وقال الشاه انه حتى لو استطاع قمع حركة الثورة ، سيبقى حكمه مستندا على حراب الجيش ، وبما انه ادرك بأن ايام حياته أصبحت قليلة ، اي انه لن يستطيع تسليم العرش لابنه فقد فضل التصالح مع المعارضة لانقاذ اسرة بهلوي ، ولكي يضمن انتقال العرش لابنه بصورة منتظمة ، وقرر تقديم تنازلات للمعارضة . ففي ذكرى يوم ميلاده ، في السادس والعشرين من تشرين أول ، امر باطلاق سراح حوالي ١٤٠٠ معتقل سياسي ، وعزل ٣٤ ضابطا من ضباط السفاك بتهمة تعذيب السجناء ، ووعد بعدم القيام بحملات اعتقال سياسية في بلاده ، لكن المعارضة لم تكتف بذلك ، وبسبب ضعف الحكم عززت ضغطها عليه ،

ولمس بوضوح ان حكومة شريف امامي اصبحت لا تسيطر على الوضع . في هذا الجو المتوتر ، عاد السفير الايراني زاهدي من واشنطن لكي يقف الى يمين الشاه ، ويقدم له المشورة بشأن التغلب على الازمة ، وقيل ان زاهدي احضر معه مباركة واشنطن لفكرة حكومة جديدة برئاسة علي الاميني ، شريطة ان يغادر الشاه ايران في اجازة ، وان يترك زوجته وابنه في ايران . في تلك الفترة راجت اشاعات بأن الولايات المتحدة و«اسرائيل» تراجعتا عن دعمهما للشاه . لقد قال زاهدي بنفسه انه قبل مغادرته ابلغه الرئيس الاميركي جيمي كارتر بأن يبلغ الشاه بأن لا يقلق ، فاذا اضطر الشاه الى استخدام القوة ، لاعادة النظام الى حالته الطبيعية ، فان الولايات المتحدة لن تتأثر بذلك ، وتأكد تماما بأنني سأقوم مكانك هنا كسفير لايران في الولايات المتحدة ، وبناء على نصيحة زاهدي ، عزل الشاه رئيس الحكومة السابق امير عباس هويدا من منصبه كوزير بلاط ، وفرض عليه الاقامة الجبرية . وكان الهدف من ذلك صرف الانظار عن الشاه ، وتحويل نقمة الجماهير على هويدا والبهائيين الذين ينتمي هويدا اليهم .

لقد كان زاهدي يجتمع مع الشاه يوميا ، ثم يقدم تقريرا حول محادثاته مع البيت الابيض ، وطريقة الاتصال تلك خلقت بلبلة في واشنطن ومنعتها من بلورة تقدير صحيح للوضع . ذلك لان تقارير زاهدي وسوليفان كانت متناقضة بشكل عام .

في الخامس من تشرين ثاني ، أصبح خطر الاطاحة بنظام الشاه اكثر وضوحا . ففي طهران ومدن اخرى اندلعت اضرابات عنف لم تعرف لها ايران من قبل مثيلا : فقد اشعلت النار بالبنوك ، ونهبت المتاجر ، وهوجمت السفارة البريطانية ومكاتب شركة الطيران الاسرائيلية العال . وكان الهجوم على مكاتب شركة العال الاسرائيلية أول « اثبات على وجود عناصر فلسطينية في ايران تساهم في اثارة الاضطرابات ، رضخ الشاه لضغط الجيش وعزل شريف امامي من منصبه كرئيس للحكومة ، وعين بدلاً منه رئيس هيئة الاركان الجنرال جولام رضا ازهري . وكان ذلك اختيارا سيئا . حيث كان ازهري شخصا اعمى ومسنا وعلى وشك الخروج من الخدمة في الجيش ، ولم تستطع حكومة الضباط التي شكلها ادارة دفة الحكم ، وزجت البلاد في الفوضى . وبدأت سفارات اجنبية باخلاء تدريجي لمواطنيها . كما ان السفارة الاسرائيلية ، بدأت في ٦ تشرين ثاني بترحيل عائلات الاسرائيليين وبذل كل الجهود للاستعجال في اخراج اليهود من ايران . وكان واضحا ان الشاه قام بالمحاولة الاخيرة لاعادة النظام الى حاله ، واذا فشلت هذه المحاولة فلن يستطيع شيء آخر انقاذ النظام الملكي .

من مكان منفاه ، دعا الخميني الى اضراب عام في ايران ، ولم تستجب الجماهير للدعوة في البداية ، حتى انه كانت هنالك معارضة في بعض الاماكن لهذه الدعوة . ولكن ظهر بسرعة ان الثورة اقوى من نظام حكم الشاه ، فقد توقف تدفق النفط ،

وقطع التيار الكهربائي ، واغلقت البنوك ابوابها وتوقفت الخدمات وسادت الفوضى البلاد . ومن أجل مصالحة المعارضة ، امر الجزار ازهري ، في السابع من تشرين ثاني باعتقال ١٢ شخصا ومن ضمنهم رئيس الحكومة السابق امير عابس هويدا ، الذي كان حتى ذلك الوقت تحت الاقامة الجبرية . وكانت تلك ايضا نصيحة السفير الايراني في واشنطن اردشير زاهدي . لقد اعتقد زاهدي بأن هذه الاعتقالات ستركز اهتمام الراي العام في البلاد على محاكمات الفساد التي يجري اعدادها وليذهب عدد من المسؤولين الذين اخطأوا الى الكلاب ، وحاول الشاه الابقاء على حياة هويدا وتعيينه سفيرا في بروكسل، غير ان رئيس الحكومة السابق قال انه بريء، وانه لا يخجل بأعماله لانها كانت بأوامر من الشاه ، ورفض مغادرة ايران فكانت نهايته الاعدام .

بنفس الوقت الذي اعتقل فيه زعماء ايران ، صدرت اوامر بمنع مئات الاشخاص من اولئك الذين اثيرت ضدهم الشبهات بأنهم ارتكبوا اعمالا فاسدة وهربوا اموالا خارج ايران ، من مغادرة ايران ، وكان من بين اولئك عدد قليل من اليهود ، منهم حبيب الكنيان الذي كان يعمل رئيسا للجماعة اليهودية في ايران وهو شخص ثري جدا.

لقد قوبلت هذه الاجراءات من قبل الشعب بالارتياح ، وبدا ان زاهدي سينجح في ما فشل به غيره . وفي التاسع عشر من تشرين ثاني ، منح الشاه العفو العام لجميع المعتقلين السياسيين في الدولة ، في حين امر ازهري باعتقال حوالي ٣٠ من رؤساء مؤسسة السفاك السابقين ومن ضمنهم الخبيران الاحسن فكروان ، ونعمة الله نصيري ، بسبب دورهما في تعذيب السجناء السياسيين ، ووعد ازهري بتقديم هؤلاء المعتقلين الى المحاكمة في نهاية التحقيق معهم .

ان كل هذه الاجراءات لم تؤثر على رغبة المعارضة . وحاول ازهري الضغط على المعارضة بأن اعتقل كريم سنجابي، بأمر من الشاه . وفور اطلاق سراح سنجابي، اعلن الاضراب العام في منشآت النفط في الدولة . ومن اجل مهادنة الاوساط الدينية ، توجهت الملكة فرح ديبا ، في السادس عشر من تشرين ثاني لزيارة الاماكن المقدسة للطائفة الشيعية في النجف وكربلاء في العراق . غير ان المناورة كانت واضحة جدا ولم تحقق هدفها . واثبت استمرار الاضطرابات بأن المعارضة تهدف الى الاطاحة بالنظام الملكي . وكان الشاه مذهولا من مدى الكراهية له ، ولم يعد قادرا على القيادة وفي مثل هذه الظروف عملت الملكة باسمه . وبمساعدة رضا قطبي ، ابن عمها الذي كان يعمل مديرا لمحطة التلفزيون الايراني ، أجرت الملكة اتصالات مع زعماء الجبهة الوطنية واوساط المثقفين والطلاب ، بهدف التوصل الى تشكيل حكومة تشمل عناصر معارضة معتدلـــة .

لكن الازمة في البلاد زادت حدة . ففي العاشر من كانون اول قام حوالي مليون شخص بمسيرة في شوارع طهران . وحمل المتظاهرون صور الخميني ومصدق ،

وهتفوا : « الموت للشاه » ومن اجل حقن الدماء ، امر الشاه الجنرال ازهري بالسماح بلجراء المظاهرة والامتناع عن استخدام القوة لتفريقها . وهنا بدا ان الشاه ايضا بدأ يشك في اخلاص الجيش ، ولم يرد وضع هذا الاخلاص موضع الاختبار . كما ظهر رئيس الحكومة ايضا كشخص غير قادر على القيادة . ونتيجة لضغط الاحداث اصيب الجنرال ازهري بنوبة قلبية ، ومن على سرير المستشفى قدم للشاه ، في العشرين من كانون اول استقالته واصبح تشكيل حكومة جديدة امرا ملحا جدا . وتردد اسم مهدي بازرغان كشخصية صاحبة الاحتمالات الكثيرة لنيل ثقة المعارضة .

ان المحزن في كل هذه التطورات ، هو ان المسؤولين في واشنطن لم يدركوا حتى تلك الساعة خطورة الازمة ، ولم « يريدوا التصديق » بامكانية سقوط الشاه .

وعلى الرغم من ان الازمة الايرانية كانت اولُ ازمة دولية تواجه الرئيس الاميركي، لم ينظر اليها الرئيس كارتر بأهمية ، وفضل مواصلة معالجة قضية النزاع العربي — الاسرائيلي .

في الثاني من تشرين ثاني ، اجتمعت في البيت الابيض « لجنة الوضع » التي شكلت لمتابعة الازمة في ايران . وترأس اللجنة المستشار لشؤون الامن القومي زبجنيف بجنسكي . وكان من اعضائها كل من وزيري الخارجية والدفاع ، سايروس فانس ، وهارولد براون ، ورئيس وكالة الاستخبارات المركزية الادميرال ستانسفيد ترنر . وبناء على التقارير التي تلقتها اللجنة من طهران ، قررت ان النظام الملكي في ايران يستطيع الصمود .

غداة الاضرابات في الخامس من تشرين ثاني ، وفي اعقاب تعيين حكومة عسكرية برئاسة رئيس هيئة الاركان ، توصل السفير الاميركي في طهران وليام سوليفان الى استنتاج بأن نظام الشاه قد ضاع ، وانه اذا كانت الولايات المتحدة تريد الحفاظ على مصالحها الحيوية في ايران يجب عليها خلق اتصال مع المعارضة الايرانية من رجال الدين . واوصى سوليفان بأن يجري مثل هذا الاتصال عن طريق مهدي بازرغان. واشار ان يعمل خلال الفترة الانتقالية كل ما بوسعه للمحافظة على وحدة الجيش ، لكي يؤمن بذلك انتقال ولاء الجيش من الشاه الى نظام الحكم الجديد عندما يقوم في الدولة . كما أوصى سوليفان بأن يبقى امر الاتصال مع المعارضة سرا ، حتى لا يعلم الشاه وليقوم بالتنازل عن العرش دون نقل السلطة بصورة منتظمة الى النظـام الجديـد .

لقد حمل وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس برقية سوليفان مباشرة الى الرئيس كارتر . وثار غضب الرئيس الاميركي الذي كان يتلقى المعلومات عن ايران

بصورة دائمة ويومية من المستشار بجحنسكي ، فاذا كان الوضع في ايران خطيرا الى هذه الدرجة ، فلماذا لم يبلغ بذلك ؟ وفي الحادي عشر من تشرين ثاني ، كتب الرئيس كارتر بخط يده مذكرة ، الى كل من سايروس فانس وبجحنسكي ، وستان ، قال فيها ان المعلومات المتوفرة لديه تنقصها الدقة ، وان تقديرات الاستخبارات التي بلغته عن التطورات الاخيرة في ايران كانت مغلوطة . وفي اعقاب هذه المذكرة جرى تعزيز جهاز الاستخبارات الاميركي في ايران بصورة ملموسة ، لكن التقدير الاساسي لم يتغير ، وخلافا لرأي السفير الاميركي في طهران ، الذي بدا له ان نظام الشاه آخذ في الانهيار ، وان نظاما جمهوريا على وشك القيام ، فضل بجحنسكي دعم جهود الملكة فرح ديبا لاقامة حكومة مدنية جديدة بمشاركة عناصر معتدلة من المعارضة ، دون تحديد موقف بالنسبة لاحتمالات استلام ابنها رضا العرش من ابيه في المستقبل . كما ايدت عقيلة الرئيس كارتر روزلين هذه الفكرة . وردا على رسالة الملكة فرح اجابتها عقيلة الرئيس الاميركي ، بأن الولايات المتحدة تقف صلبة وراء الشاه .

لقد استغلت فترة الهدوء النسبي الذي طرأ على الوضع في ايران ، من قبل جميع العناصر لاعادة تقييم الازمة الايرانية . وبعد دراسة عناصر الازمة ، بدا انه من الضروري الآن بلورة سياسة جديدة تتناسب وطابع التطورات المتوقعة . وفي النصف الثاني من تشرين ثاني ، قام وزير المالية الاميركي مايكل بولمنتال بجولة في منطقة الخليج العربي . وتوقف بلومنتال في طهران ، بناء على تعليمات كارتر وتناول الطعام على مائدة الشاه في ٢١ تشرين ثاني . وخرج الوزير الاميركي من هذه المقابلة مذهولا . فقد وجد الشاه بعيدا جدا عن الواقع ، واوصى كارتر بأن يعين فورا شخصية « غير مرتبطة » لتقدير الوضع بدقة . وعلى الرغم من ذلك ، وبضغط من بجحنسكي، أعلن الرئيس كارتر في ٣٠ تشرين ثاني ،ان نظام الشاه بالغ القيمة بالنسبة للعالم اجمع . وقال : ان لنا ثقة كاملة بالشاه ،ونؤيده ونؤيد جهوده للسير ببلاده بالطرق القانونية في طريق التقدم نحو الديموقراطية والتقدم الاجتماعي .

منذ بداية الازمة في ايران اعتمدت السياسة الاميركية تجاه ايران على ثلاثة مبادىء :

١ ـ القرارات المتعلقة بالسياسة الداخلية الايرانية يجب ان تتخذ من قبل الايرانيين أنفسهم .

٢ ـ يجب ان تقام العلاقات الاميركية ـ الايرانية بالوسائل القانونية وليس خارجها.

٣ ـ من أجل اعادة النظام الى حالته الطبيعية ، يجب تشجيع جميع الاطراف في الازمة على تحقيق اهدافها بالطرق السلمية .

لقد كان مغزى هذه السياسة مزدوجا : الامتناع عن خلق اتصالات حقيقية مع المعارضة الدينية ، لانها كانت خارج المؤسسات القانونية مع عدم تشجيع الجيش على القيام بانقلاب عسكري ، عندما يتضح ان الشاه لم يعد قادرا على السيطرة على الامور . ولكن في بداية كانون اول طرح امام الرئيس سؤال : الا يجب على الولايات المتحدة ارشاد الشاه الى طريقة تخلصه من الازمة ؟ ام يجب ان تبقى تابعة له ؟ وللرد على هذا السؤال ، عين الرئيس كارتر في الخامس من كانون اول ، جورج بول ، وهو رجل مصرفي صاحب شهرة وكان نائبا لوزير الخارجية في عهد الرئيس كندي وجنسون ، لمعالجة الوضع . وفي تلك الايام كان يمكث في ايران السفير الاسرائيلي السابق اوري لوفرني ، في نطاق جولة لاعطاء المحاضرات من قبل صندوق الاستقلال الاسرائيلي «بوندس» ، وبناء على طلب البيت الابيض ، طلب حنان براون ، العضو في السفارة الاسرائيلية في واشنطن ، من اوري لوفرني الاجتماع بجورج بول وتبادل الآراء معه حول الوضع في ايران . في السابع من كانون اول ، اجتمع بول ولوفرني في نادي لينكس ، وهو أحد النوادي الراقية في نيويورك . واشترك في الاجتماع قبطان الاسطول جاري سيك وهو عضو في مجلس الامن القومي في البيت الابيض . وبدأ بول الحديث حيث قال : ان الولايات المتحدة تواجه الآن ثلاث امكانيات :

١ — التخلي عن الشاه ، بعد ان اصبح عبئا على الولايات المتحدة وعلى شعبه .

٢ — العمل من أجل اقامة حكومة مدنية لا تكون خاضعة للشاه وتضم زعماء معتدلين من المعارضة ، شريطة ان تعتمد هذه الحكومة على الجيش في حين يكون الجيش خاضعا للشاه مباشرة .

٣ — تشكيل هيئة تتألف من ٥٠ زعيما يتم اختيارهم بدقة ليشكلوا مجلسا يمنح الصلاحيات للحكومة ويمكن ان تشكل الحكومة من بين اعضاء هذا المجلس .

قال لوفرني ، في رده على جورج ، انه منذ اعتزاله الخدمة في سلك الحكومة اصبح يتحدث كمواطن عادي وليس كممثل رسمي لدولة «اسرائيل» . واكد انه توجد «لاسرائيل» والولايات المتحدة مصلحة قومية في محاولة انقاذ الشاه ، ليس لان الدولتين تسلمان بأعماله ، بل لان تصرفاته ساهمت في خلق الاستقرار في منطقة الشرق الاوسط . واضاف ان الازمة التي يعاني الشاه منها الآن لم تنجم عن تصرفاته ، بل عن تصرفات عناصر اخرى . وبالنسبة للغرب يعتبر الشاه ، « اهون الشرين » . واذا كان قد اخطأ هنا او هناك يجب مساعدته على الخلاص من ازمته ، وسأل لوفرني بول ما اذا كانت الولايات المتحدة قد اجرت اتصالات مع الخميني ، ونظر بول الى كابتن سيك وكأنه ينتظر منه الجواب ، واسرع لوفرني بالقول ان دراسة بسيطة للوضع تظهر ان الخميني يمسك بأهم المفاتيح لحل الازمة ، وبما ان عامل الوقت هام جدا . لذا يجب محاولة حل الازمة ، حتى بواسطته . وقال الكابتين سيك ان الولايات

المتحدة لم تجر اتصالا حتى الآن مع الخميني « لأسباب مفهومة » وبما ان رجل الدين العجوز هذا يظهر مقاومة عنيفة لهذا الحد ، فسيكون اجراء اي اتصال معه مثيرا لغضب الشاه . واعرب لوفرني عن دهشته لهذا الاسلوب ، كما ان جورج بول نوجيء به ايضا . وتساءل كيف ان دولة عظمى كالولايات المتحدة لا تستطيع اجراء اتصال مع الخميني بطريقة سرية . ان الوضع حرج ويجب البحث عن طرق لحل الازمة ، سواء علم الشاه بذلك ام لا . واعترف بول بأن من السخرية ان تكون الولايات المتحدة لم تجر اتصالا مع الخميني حتى الآن ، وتساءل عن مدى نجاح مثل هذا الاتصال في الوقت الحاضر ، فالخميني يبلغ الثمانين من العمر ، ومعروف انه رجل متعصب ومتصلب ويدعو دائما الى معاداة الولايات المتحدة والغرب . وقال لوفرني انني لا اعرف الخميني لذلك لا استطيع التعليق على ذلك بدقة . ولكن من خلال المقابلة التي اذيعت من محطات التلفزيون الاميركية ، ظهر ان الخميني رجل متعصب جدا لافكاره ، لكنه يحتمل ان يكون مفتوحا لمحاولات التحدث معه . وسأل بول ما اذا كان من المناسب ان يتوجه رئيس الحكومة الايرانية الجنرال ازهري للخميني . ورفض لوفرني هذه الفكرة تماما واوضح بأن رئيس الحكومة الحالي رجل عسكري ، وبهذه الصفة امر بفتح النار على المتظاهرين . لذلك اذا حاول اقامة علاقة مع الخميني سيخطيء الهدف . فيجب البحث عن شخصية اخرى ، وربما تكون شخصية دينية ذات مكانة مرموقة . وخلال ذلك اورد لوفرني اسم شيخ الازهر ، الذي يتمتع بمكانة عالية في مصر ، وله شهرة في جميع انحاء العالم الاسلامي . وعلى الرغم من ان شيخ الازهر مسلم سني فلا بد ان يجد عند الخميني اذنا صاغية والمهم انه لا يقدم نفسه كمبعوث مصري ، بل كناطق بلسان الطائفة الاسلامية السنية ، واذا استخدم الذكاء ، فقد ينجح .

تأثر بول من ان اسرائيليا هو الذي يقترح على الولايات المتحدة الاستفادة من رجل دين مصري لحل الازمة في ايران . واظهر حماسا بالغا للفكرة . وقال انه منذ ان بدأ بمعالجة الموضوع . قبل ثلاثة ايام ، هذه اول فكرة عملية تطرح امامه .

بعد ان طلب بول اسماء اشخاص آخرين يمكنهم خلق اتصال مع الخميني ، انتقل لوفرني الى بحث البدائل المختلفة لحل الازمة . وكانت نقطة الانطلاق لديه عدم خيانة الشاه والبحث في ابعاده عن السلطة . ولكن بما ان وجوده بالذات يشكل « خرقة حمراء » تثير جماهير الشعب ضده ، فربما من الافضل الاقتراح على الشاه بأن يغادر — طهران ، سواء بصورة مؤقتة او الى الابد .

لم يكن المقصود ان يستقيل ويهرب خارج البلاد ، بل ببساطة مغادرة طهران والاستقرار في مشهد او زهران اونوشهار . وبذلك يشعر الشعب ان الشاه لم يعد المسؤول الاول في البلاد وان الحكومة هي السلطة . وبهذه الحالة يأخذ الجيش

السلطة ، ليس بحجة المحافظة على عرش الشاه ، بل لاعادة النظام الى حالته الطبيعية . وكان هذا الاقتراح يعتمد على الافتراض بأنه في المستقبل ايضا ستكون ايران بحاجة الى نظام قوي ، ولا يوجد غير الخميني من يكون قادرا على حماية القانون والنظام في الدولة . ولكي تطمئن المعارضة ، يجب ان يشارك الجيش في الحكم اشخاص مدنيون ايضا . ومع ذلك يجب ان يتحرك الجيش وفقا للمبدأين التاليين :

١ — منع اشتراك الشيوعيين في السلطة . ذلك لان الشيوعيين يحاولون ، في هذه غلفلة رجالهم في صفوف المعارضة . ولهذا يجب وقف نشاطهم هذا وهو في مهده .

٢ — من ناحية ثانية ، حتى لو كان الحل يتطلب مشاركة رجال الدين يجب الحيلولة دون خلق وضع ترجع فيه ايران خمسين سنة الى الوراء ، وتتنازل عن جميع منجزات الحضارة التي حققتها واذا ما نجح المتدينون بفرض سيطرتهم ، قد تنشب في المستقبل في ايران حرب أهلية .

سأل بول ، كيف سيكون رد الجيش على هذه الخطة ، وخاصة ان كبار الضباط من رتبة كولونيل فما فوق تم تعيينهم من قبل الشاه شخصيا ؟ كما ان الجنرال ازهري ، المعروف كشخصية ضعيفة ، هل يستطيع القيام بمهام السلطة ؟ ورد لوفرني على ذلك بقوله انه يجب عدم المس بالكادر العسكري . لانه اذا ما عزل ، ازهري من منصبه وحل محله ضابط آخر ، سينهار الضبط في الجيش وتظهر كل يوم مجموعة جديدة من الضباط ، الذين يريدون قيادة الدولة بصورة افضل . ولكن للقضاء على معارضة رجال الدين عاد لوفرني الى البديل الثالث ، الذي سبق ان طرحه بول في بداية الحديث وقال انه يمكن تشكيل هيئة تتألف من حوالي خمسين شخصية شعبية مسؤولة، يتولون وضع قاعدة للعمل السياسي في المستقبل . ومثل هذه الهيئة يمكن ان تقوم باعداد دستور جديد للدولة . وبما ان اعداد الدستور الجديد يتطلب وقتا طويلا ، فان ذلك يوفر للحكومة هدنة ما تستطيع استغلالها لتعزيز موقفها . فالدستور الذي وضع في عام ١٩٠٦ لم يعد يلبي المشاكل التي برزت الآن ، ويمكن ان يشكل أساسا للدستور الجديد . وربما لن يكتفي رجال الدين بذلك ، فهم يريدون مشاهدة جثة الشاه معلقة على شجرة في وسط طهران . كما ان الشيوعيين لن يرضوا بأقل من ذلك . لكنه يوجد في المعارضة جناح معتدل يمكن ان يقبل بحل وسط ، ويوقف سفك الدماء والفوضى في الدولة . خلال الحديث أعرب لوفرني عن قلقه من تأثير الاحداث الاخيرة في ايران على الاستقرار الداخلي في السعودية . وقال بول ان الولايات المتحدة ايضا تشاركه هذا القلق . وسأل ما اذا كانت «اسرائيل» قلقة بالنسبة لتزويدها بالنفط . ورد لوفرني على ذلك بقوله ان قلق « اسرائيل » بالنسبة لهذا الموضوع « مفهوم » لكن المشكلة ليست النفط ، بل مسألة الدفاع عن المصالح الغربية في الخليج العربي .

لم يكن مدهشا ان يظهر لوبراني تأكيدا واضحا الى هذا الحد للجهود من اجل «انقاذ» عرش الشاه . فبدون التطرق الى الجوانب الداخلية لنظام حكم الشاه شكلت ايران ثروة مهمة بالنسبة «لاسرائيل» . وكان واضحا انه اذا اطيح بعرش الشاه في ايران وتولى الخميني السلطة . ستقطع العلاقات بين ايران و «اسرائيل» ويتوقف تزويدها بالنفـــط .

كان هذا الاعتقاد يرتكز على مقالات وكتب الخميني خلال خمس عشرة سنة في منفاه . فعلى سبيل المثال قال الخميني قبل مغادرته الى المنفى في تركيا في تشرين أول ١٩٦٤ : « انني اقول لكم بأن «اسرائيل» هي التي وضعت صيغة الاصلاح الزراعي . وانتم أيها المؤيدون للشاه تمدون أيديكم دائما «لاسرائيل» تطلبون منها النصائح ، وتحضرون الى هنا خبراء عسكريين اسرائيليين . لا أريد أن يعتقد اخواننا من المسلمين السنيين بأننا عمال لدى اليهود . وهؤلاء الذين يؤيدون «اسرائيل» في ايران ليسوا من الشعب الايراني . فمذهبنا الشيعي لا يسمح لنا بتأييد عدو الاسلام . ويمنعنا القرآن من مصادقة اعداء الاسلام ، ما هي هذه الدولة الايرانية ، التي ترسل الى «اسرائيل» اشخاصا التعلم واكمال الدراسة في مواضيع مختلفة ، وتحضـــر الاسرائيليين الى هنا ؟ ما الذي يقدر الاسرائيليون ان يعلمونا اياه ، الغش ، ام السرقة ؟ هل نحن بحاجة لان نتعلم من اليهود الخداع والمؤامرات ؟ ماذا يوجد لديهم ونحن بحاجة اليه لنتعلمه منهم ؟ » .

لقد ادلى بتصريحات لا تقل شدة عن هذه الاقوال ضد الولايات المتحدة ايضا . لذلك ، لم يشك رجل في «اسرائيل» والادارة الاميركية ، طيلة اشهر الازمة في ايران ، بأنه من مصلحة الدولتين المحافظة على علاقة وثيقة مع الشاه ، وان معارضي الشاه يطمحون الى قطع هذه العلاقة . وكانت التطورات القادمة ستؤكد بالطبع صدق هذا الاعتقـــاد .

في ١٣ كانون اول ١٩٧٨ ، قدم جورج بول توصياته للرئيس كارتر ، واستخلص منها ان الشاه لن يستطيع الصمود ، ويجب السعي الى تشكيل حكومة مدنية يشارك فيها زعماء المعارضة وزعماء الجبهة الوطنية . لقد ابدى جورج بول «تحفظه» من الخط المتصلب الذي ينتهجه بججنسكي . وقال انه في حالة وقوع اصطدامات عنيفة سيرفض جنود الجيش اطلاق النار على المتظاهرين ، وهذا قد يؤدي الى انهيار الجيش . لذلك اذا كانت الولايات المتحدة ترغب في عدم عودة الخميني الى طهران ، عليها ان تنصح الشاه بالتحول الى ملك دستوي بأسرع ما يمكن ، وان يقوم مجلس اعيان محايد بتشكيل حكومة مدنية جديدة تحل مكان الحكومة الحالية . ومن اجل تشكيل مثل هذه الحكومة بدون ضغوط ، يتوجب على الشاه الخروج في اجازة ، شريطة ان يبقى الجيش خاضعا له مباشرة .

غير ان كارتر رفض توصيات بول ، وقال انه ليس من الحكمة نصح الشاه كيف يتصرف لمعالجة ازمة في بلاده . وكان الرئيس كارتر قد اتخذ هذا القرار بتأثير من بججنسكي ، الذي ادعى بأن مجلس الاعيان المقترح ليس عمليا ، وان الجبهة الوطنية لن توافق على الاشتراك فيه . واعرب بججنسكي عن مخاوفه من انه اذا غادر الشاه حدود بلاده ، قد يستولي الشيوعيون على الحكم ، ويستدعون الجيش السوفياتي على الفور للدخول الى ايران وتعزيز سلطتهم فيها . لذلك فالجيش الايراني فقط يمكنه ايقاف مثل هذا التطور ؛ وبما ان الجيش لا يزال على ولائه للشاه . فاشارة بسيطة من جانب الرئيس كارتر ، بأن الولايات المتحدة تقف الى جانب الشاه ستشجع الجيش على الحفاظ على وحدته .

هنا قرر كارتر عدم اتخاذ قرار ، وتركت ايران في محنتها الصعبة وحدها بأيدي ملك محطم فقد القدرة على اتخاذ القرارات .

وفي تلك الايام ؛ كان وزير الخارجية الاميركي سايروس فانس في زيارة للشرق الاوسط ، في محاولة لايجاد فحوى حقيقية لاتفاقيات كامب ديفيد والتمهيد لتوقيع اتفاقية «السلام» بين مصر و«اسرائيل» . ومنذ استلامه منصب وزير خارجية ، اهتم سايروس فانس ببلورة طابع العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . وفي عام ١٩٧٨ ، كان متدخلا جدا في الجهود لحل النزاع الاسرائيلي ـــ العربي . لذلك عندما تفجرت الازمة الايرانية ؛ لم يكن فانس مطلعا على تفاصيل الخلاف الدائر بين البيت الابيض ووزارة الخارجية ، التي كانت تميل الى تأييد توصيات السفير سوليفان ، لكن في ١٥ كانون أول بينما كان فانس في طريقه من القاهرة الى واشنطن . اندلعت موجة جديدة من العنف في طهران . وبناء على نصيحة السناتور ادوارد كندي ، اوصى فانس ، في ١٧ كانون أول امام الرئيس كارتر بتبني توصيات جورج بول التي رفضها بتأثير من بججنسـكي .

ان استقالة الجنرال ازهري من رئاسة الحكومة ؛ في اعقاب اصابته بنوبة قلبية في ٢٠ كانون اول زادت من خطورة الازمة الداخلية في ايران وزادت الحاجة الى ايجاد حل للازمة . وتوسل قادة الجيش الى الشاه ليعين الجنرال علي عبيسي رئيسـا للحكومة . لكن الشاه تردد خشية ان يزيد التعيين هذا حدة التوتر . في الخامس والعشرين من كانون اول ، هوجمت السفارة الاميركية في طهران ، وكان ذلك رمزا واضحا بأن الشاه بدأ يفقد السيطرة حتى على الجيش ، وفي المقابل بدأت تروج أنباء عن ان رجال الخميني استطاعوا التغلغل في صفوف مؤسسة السفاك ، وانه يجب منذ الآن الشك في اخلاص جهاز خدمات الامن الايراني للشاه .

في هذه الاثناء ، اوصى السفير سوليفان بارسال مبعوث خاص الى الخميني في باريس . وكانت السفارة الاميركية في باريس تجري منذ مطلع شهر كانون اتصالات

مع الدكتور ابراهيم يازدي وهو من مساعدي الخميني المقربين ، وكان اليازدي قد عمل بضع سنوات في معهد ابحاث السرطان في تكساس . وقد عمل يازدي بمساعدة عدد آخر من الشخصيات الايرانية ، امثال ابو الحسن بني صدر وصادق قطب زاده . لتليين مواقف الخميني . ولكن سوليفان يقترح الآن اجراء اتصالات مع الخميني بالذات. وكان فانس يميل الى تأييد توصيات سفيره . لكن الرئيس كارتر رفضها رفضا قاطعا. وادعى كارتر انه حتى لو انهار النظام الملكي . ستظل الولايات المتحدة ملزمة بأن تثبت للعالم بأنها لا تزال وفية لحليفاتها . وقال الرئيس ان الولايات المتحدة شجعت «اسرائيل» ومصر على توقيع اتفاقية سلام بينهما . وهي على استعداد للالتزام بالمحافظة على هذا «السلام» واذا خانت الولايات المتحدة الشاه وادارت له ظهرها . فكيف ستثق مصر و«اسرائيل» بها ؟ وكيف سترد السعودية على التخلي عن الشاه ؟ ولكن في ضوء ادعاءات فانس بأن الولايات المتحدة قد تجد نفسها خارج دائرة النفوذ في ايران . تحت حكم الخميني ، وافق كارتر على ارسال مبعوث الى الخميني لكن شريطة اخذ موافقة الشاه نفسه .

في نهاية شهر كانون اول ، ابلغ السفير سوليفان واشنطن بأن الشاه موافق على اجراء اتصال اميركي مع الخميني . واضاف ان وزير الخارجية البريطاني هارولد براون وصل الى طهران سرا ، وافهم الشاه بالخروج من ايران في اجازة .

وقبل الشاه بهذه النصيحة ، وكلف شهبور بختيار بتشكيل حكومة جديدة ، واعرب سوليفان عن شكه في قدرة بختيار على تخليص البلاد من الازمة السائدة فيها . وشجع الجيش على تأييد ترشيح مهدي بازرغان لرئاسة الحكومة . وبهذه الطريقة كان يمكن اخذ موافقة الخميني على هذه الحكومة ولكن دون اشتراك الخميني في السلطة .

بناء على هذه التوصية ، اقترح فانس على كارتر ارسال السفير تيودور اليوت للاجتماع بالخميني في باريس . وكان اليوت قد عمل في السابق مستشارا اقتصاديا في طهران ، وكان من بين الدبلوماسيين القلائل الذين يتحدثون الفارسية . ووافق الرئيس كارتر على هذا التعيين . وابلغ الشاه بارسال اليوت الى باريس . لكن جيمي شيلزنغر وزير الطاقة الاميركي هاجم هذه النظرية ، اذ انه منذ بداية الازمة، أوصى شيلزنغر بزيادة التواجد العسكري الاميركي في منطقة الخليج العربي . واعتقد ان تعميق الازمة الداخلية في ايران . هذا يمكن عمله بواسطة الشاه فقط وليس غيره . لذلك طلب شيلزنغر من الرئيس كارتر ان يرسل مبعوثا خاصا من طرفه الى الشاه ، يبلغه ان الولايات المتحدة تقف الى يمينه وان الرئيس يؤيد اية عملية يقرر الشاه القيام بها . ووافق بجحنسكي على توصية شيلزنغر هذه ، واقترح ان يكون المبعوث الاميركي الى طهران هو وزير الطاقة نفسه . ولكن بعد التشاور مع

فانس ، رفض كارتر اقتراح بجنسكي ارسال وزير الطاقة الى طهران ، على الرغم من تأييده فكرة اظهار تأييد الولايات المتحدة للشاه . وقرر كارتر تكليف الجنرال روبرت هويزر ، نائب قائد قوات حلف الاطلسي في اوروبا بالتوجه الى طهران في مهمة خاصة لكي يعرب عن تأييد الولايات المتحدة للنظام الملكي ، وتأمين استمرار وحدة الجيش .

عندما أبلغ السفير سوليفان الشاه بالغاء مهمة اليوت في باريس ، وبالنية لارسال الجنرال هويزر الى طهران ، تساءل الملك ، كيف تريد الولايات المتحدة التأثير على هؤلاء الناس دون الاستعداد للتحدث معهم ؟

لم يكن اختيار الجنرال هويزر ناجحا بشكل خاص . اذ ان قائد قوات الاطلسي في اوروبا ، الجنرال الكسندر هيج ، ابلغ بجنسكي بأن نائبه لا يصلح لمثل هذه المهمة . فاذا كان الجنرال هويزر ، الذي لا يتكلم الفارسية ، لا يعرف جذور الازمة الداخلية في ايران ، على الرغم من قيامه بعدة زيارات الى طهران والبحث مع قادة الجيش الايراني في مواضيع معينة لحالات الطوارىء ، فهو لا يتمتع بالمزايا المطلوبة للقيام بمهمة دبلوماسية حساسة كهذه وهدد هيج بالاستقالة اذا ما توجه هويزر الى طهران لكن الرئيس كارتر رفض تهديداته . وفي الثالث من كانون ثاني ١٩٧٩ ، توجه هويزر الى طهران دون ان يتمكن قائد قوات الاطلسي من قراءة التعليمات التي زود بها ؛ وردا على ذلك قدم الجنرال هيج استقالته الى الرئيس كارتر .

عشية قدوم الجنرال هويزر الى طهران ، حاول الشاه التغلب على الازمة ، بواسطة تشكيل حكومة جديدة برئاسة الجنرال فريدون جام رئيس الاركان السابق ، الذي كان متزوجا من الاميرة شمس الشقيقة الصغرى للشاه ، وبعد ان طلقها نفي الى بريطانيا . وكان الجنرال جام يتمتع بشعبية كبيرة في الجيش ، وخاصة بين الضباط من ذوي الرتب المتوسطة والصغيرة . كما كان يتمتع بتأييد كبير في الدول الغربية . لكن الجنرال جام رفض هذه المحاولات ؛ لانه لم يكن واثقا بأن بمقدور الشاه الصمود ، وخاصة لان الشاه كان يريد الاستمرار في اشغال منصب القائد الاعلى للجيش ، لذلك توجه الشاه مرغما الى كريم سنجابي ، وهو من زعماء الجبهة الوطنية، الذي لم يلتق به منذ ٢٦ عاما ، واشترط سنجابي موافقته على تشكيل حكومة مدنية جديدة السماح له بالتشاور مع الخميني . ولكن بعد اجتماع سنجابي بالزعيم الديني في منفاه في باريس ، اعلن سنجابي انه لن يؤيد تشكيل حكومة جديدة في طهران ، طالما لم يتنازل الشاه عن عرشه ويغادر حدود الدولة . وبعد هذا الفشل توجه الشاه الى الدكتور جولام حسين صادقي ، وهو ايضا من زعماء الجبهة الوطنية وكان يظهر دائما معارضة للاسرة المالكة .

لقد اراد صادقي ان يأخذ على عاتقه مهمة تشكيل حكومة جديدة ، شريطة ان يقيم الشاه « مجلس وصاية » ، وان يذهب في اجازة داخل حدود بلاده ، لكن الشاه رفض هذا الطلب ، لان تشكيل مجلس وصاية يعني اعترافا منه بأنه اصبح غير قادر على قيادة الدولـــة .

لقد خلق سفر سنجابي الى باريس خلافا بينه وبين زعيم آخر من زعماء الجبهة الوطنية هو شهبوربختيار ، وهذا الزعيم ، الذي سبق ان اشغل منصبا بسيطا في حكومة مصدق ، في مطلع الخمسينات كان يعتبر من بين المعارضين الاشداء للشاه ، حتى انه ادخل السجن في بعض المرات . لكنه خشي الآن لئلا تكون الحكومة الجديدة مرتبطة برحمة الخميني . وكان ذلك يخالف آراءه واستقلاليته ونقاشه العلمانية . وكان يؤمن ان حكومة تكون تحت سيطرة رجال الدين ستسلب ايران جميع مكاسبها الحضارية ، وتعيدها الى العصور الوسطى . وعن طريق قائد السفاك الجنرال ناصر مقدم طلب بختيار مقابلة الشاه . وجرت المقابلة في ٢٨ كانون اول في قصر نيوران ، وفي ختام المقابلة كلفه الشاه بمحاولة تشكيل حكومة جديدة . وكان شرط بختيار الوحيد هو انه في حال تشكيل حكومة جديدة ، يخرج الشاه وعقيلته من ايران فورا في اجازة طويلة . وكان بختيار يؤمن بأنه بهذه الطريقة فقط يمكن تهدئة النفوس واعادة النظام الى طبيعته . لقد كان بختيار الرجل الثاني في الجبهة الوطنية بعد سنجابي ولكن بعد ان قبل بتشكيل الحكومة ، استنكر من قبل الخميني وطرد من صفوف حزبه . وزاد هذا من صعوبة قيامه بالمهمة . وحاول بختيار ان يضم الجنرال جام في حكومته بمنصب وزير الدفاع ، لكن جام رفض ان يشارك في حكومة طالما بقي الشاه على رأس الدولة . على الرغم من ذلك ، واعتمادا على اتصالات الجنرال هويزر مع قادة الجيش الايراني ، كان بختيار مقتنعا بأن الجيش سيقف وراءه .

في ذروة الازمة ، خرج الرئيس كارتر الى جوادلوت للاشتراك في مؤتمر قمة اقتصادي مع الرئيس الفرنسي وكل من رئيسي حكومتي بريطانيا والمانيا الغربية . وخلال محادثات القمة ، قدم الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان تقدير المخابرات الفرنسية الذي قال بأن الخميني سيتسلم السلطة في ايران ، بعد مغادرة الشاه في اجازة . لكنه بعد فترة قصيرة سيختفي من الحلبة . لذلك اشار ديستان بارسال مبعوث الى الشاه ينصحه بمغادرة ايران ، وذلك لتمهيد الطريق من أجل التحدث مع المعارضة . ورفض كارتر هذه الفكرة بشدة ، وايد موقفه هذا كل من المستشـــار هيلموت شميدت ورئيس حكومة بريطانيا جيمس كلاهان . وطلب كارتر من ديستان تأييد بختيار . ولهذا حذر الرئيس كارتر في ٨ كانون ثاني الخميني ، بأنه اذا لم يؤيد جهود بختيار لتشكيل حكومة مدنية جديدة ، ستغرق ايران بالدماء .

أدت هذه التطورات الى حمل عواصم مختلفة في العالم الى اعادة تقدير الوضع في ايران وهكذا بعد عودة السفير لوبراني من جولة القاء المحاضرات ببضعة اسابيع ، في الخامس من كانون ثاني ١٩٧٩ ، ارسل في مهمة خاصة الى طهران .

كانت تلك الايام حاسمة بالنسبة «لاسرائيل» والولايات المتحدة . ففي غداة اتفاقيات كامب ديفيد بدأت في فندق مديسون في واشنطن المفاوضات بين «اسرائيل» ومصر على التوقيع على معاهدة « سلام » بينهما . وصرفت هذه المفاوضات الانظار عن التطورات الدراماتيكية في طهران ولكن كل يوم كان يأتي بتطورات جديدة تنذر بتدهور مكانة «اسرائيل» والولايات المتحدة ، في هذه الدولة النفطية الهامة . ومع ذلك كان واضحا لجميع العناصر بأن «اسرائيل» يجب ان تصمد ، وان لا تتنازل بارادتها عن موطيء قدمها في هذه الدولة . وكان لذلك اعتبار مزدوج .

١ ــ اذا اغلقت «اسرائيل» بارادتها سفارتها في طهران . من غير المؤكد ان يعود السفير الاسرائيلي الى طهران مرة ثانية ، لممارسة مهام منصبه في حالة تحسن الوضع .

٢ ــ توجد في ايران جالية يهودية كبيرة تبلغ حوالي ٥٠ الفا . لذلك يعتبر وجود السفارة الاسرائيلية بالذات عنصر امن بالنسبة لهؤلاء اليهود . ولهذا السبب ايضا واصلت شركة الطيران الاسرائيلية «العال» رحلاتها الى طهران ، على الرغم من الاخطار الكامنة في ذلك على امل اخلاء عدد كبير من اليهود من ايـــران .

في مقابلة تلفزيونية مع التلفزيون الاسرائيلي . قال مردخاي تسيبوري نائب وزير الدفاع الاسرائيلي ان اسرائيل باعت ايران اسلحة ومعدات عسكرية ، وتعاونت معها في مجال التطوير التكنولوجي .

في نهاية مهمة لوبراني ، طلبه صديقه نائب وزير الدفاع ، الجنرال حسن طوفنيان ، لزيارته في منزله . وكان طوفنيان في تلك الفترة يعيش في ضائقة .

وكان يعرف ان المرشح لرئاسة الحكومة شهبور بختيار لن يشركه في الحكومة الجديدة . وكانت هنالك مواضيع كثيرة من تلك التي كان يعالجها ، تتطلب استمرار المساعدة الاميركية لبلاده . لذلك كان مهما بالنسبة له معرفة مزاج واشنطن وتقديرات الولايات المتحدة بالنسبة لمستقبل الشاه .

كان اللقاء مع طوفنيان مثيرا جدا ، وجرى في منزله في حي شميدان الراقي في شمال المدينة .

لقد كان حسن طوفنيان رجلا فريدا من نوعه ، وحياته ضمت بداخلها انتقال ايران من تقاليد العصور الوسطى الى التكنولوجيا الغربية ، في القرن العشرين . فقد ولد في قرية صغيرة بالقرب من اصفهان لاسرة متدينة متوسطة الحال . وبعد اكماله دراسته الثانوية ، احتار طوفنيان بين التحاقه في الجيش او التدريس او العمل في التجارة . وفي نهاية الامر اصبح من اوائل الضباط في سلاح الجو الايراني . وخلال الحرب العالمية الثانية اشترك في دورة طيارين في بريطانيا . ولدى عودته الى طهران عين مدربا للشاه على قيادة الطائرات ، وبهذا نال ثقة الاسرة المالكة بصورة مطلقـــة .

مع مرور الايام ؛ انتقلت ايران من التسليح بأسلحة بريطانية الى الاسلحة الاميركية ، وعين طوفنيان مسؤولا عن شؤون المشتريات العسكرية والاهتمام بتطوير الصناعة العسكرية . وهذا التعيين بالذات حدد طريقه وترفيعه التدريجي في السلك الحكومي . وعلى الرغم من انه كان في ايران نواة لصناعة عسكرية ، اشتملت على صناعة اسلحة خفيفة وانتاج انواع مختلفة من الذخائر فقد بقيت الرغبة في انشاء صناعة عسكرية حديثة في ايران حلما حتى اوائل السبعينات . لكن في اعقاب ازمة النفط في عام ١٩٧٤ ؛ اصبحت هذه الرغبة في متناول اليد . ووصل طوفنيان في تلك الفترة الى ذروة القوى . ووضعت تحت تصرفه مبالغ طائلة ؛ وأجرى مفاوضات مع شركات بريطانية واميركية لشراء تكنولوجيا حديثة ، واستيعاب معدات حديثة في الجيش الايراني .

كان طوفنيان كئيبا جدا من الوضع في ايران . وكان معظم افراد اسرته خارج ايران . وبقي هو وابنه فقط في طهران ؛ لان اسميهما ادرجا ضمن القائمة السوداء التي اشتملت على الاشخاص الذين يمنع مغادرتهم الدولة . وكان يتحدث بصورة مستمرة ، وبدا وكأنه يريد التخلص من التوتر الذي يعاني منه ، وفور بدء المحادثة سأل : ماذا يريد الاميركيون ؟ وكان يعرف ان الاميركيين يتحدثون بصوتين ولا يستطيع اي انسان معرفة الصوت الحقيقي . هل هو صوت السفير سوليفان ام صوت الجنرال هويزر ، وسأل طوفنيان : كما يتحفظ الاميركيون من فكرة استيلاء الجيش على السلطة ، فالوضع الآن يائس والانهيار متوقع في اي لحظة . وتحدث عن معارضة الذين نجح قسم منهم بالفرار ، بينما عفَّن الباقي في السجون . وبدا انه مذهول من حقيقة اتهامه بأنه في حرب مع رجال الدين بأوامر من الشاه . ولكي يشجع نفسه ، بدأ طوفنيان يتحدث عن علاقات اسرة زوجته مع رجال الدين . وكان يستشف من كلامه بأن عودة الخميني الى طهران امر غير مستبعد ، ولو انه لم يذكر ذلك بوضوح . والشيء الوحيد الذي بمقدوره الحيلولة دون ذلك ، هو التعاون بين الجيش وحكومة بختيـــار .

ان الذي اثار دهشة لوبراني في تلك المحادثة ، هو الانتقاد الشديد الذي وجهه طوفنيان للشاه . وقال ان الشاه انزل الكارثة على نفسه وعلى كل اولئك الذين ربطوا مصيرهم به . وقال ان الشاه لم يقرأ جيدا صورة الوضع ، ولم يتشاور مع اي عنصر جدي ، بل احاط نفسه بنماذج غير مخلصة كانت تخاف قول الحقيقة له . ففي الوقت الذي كانت قراراته تستطيع تغيير الوضع ، تردد الشاه في استخدام الجيش ، وفي الاسابيع الاخيرة ، تصرفت الملكة فرح ديبا افضل من زوجها بكثير ، وهي التي مهدت الطريق لتعيين شهبور بختيار لرئاسة الحكومة . لكن طوفنيان لم يكن واثقا من قدرة بختيار على الصمود ، وبدا له ان تسلم الخميني للسلطة غير مستبعد .

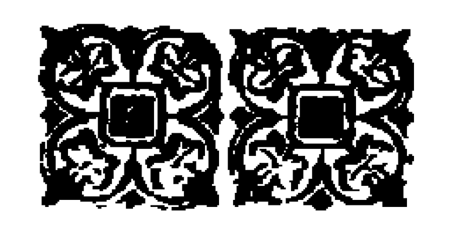
في نهاية الحديث ، قال نائب وزير الدفاع الايراني انه لا يوجد له اي طلب خاص من «اسرائيل» ولكن من خلال الحديث برز انطباع بأن طوفنيان يأمل بأن تستخدم «اسرائيل» نفوذها لدى الولايات المتحدة ، لكي يؤيد الرئيس كارتر فكرة انقلاب عسكري في ايران . لكن الاحداث في تلك الاثناء كانت قد خلقت واقعا جديدا ، لم يكن بمقدور اي شخص تفسيره . لم تمض أيام كثيرة حتى تحققت توقعات طوفنيان . واستطاع هو نفسه بمساعدة اصدقائه الهرب من ايران ، وهو يعيش الآن في الخـــارج .

في نهاية المهمة ، عاد لوفرني الى «اسرائيل» يحمل معه تقديرا سيئا عن الوضع في ايران ، وعن مستقبل علاقات النظام الجديد مع «اسرائيل» . وكانت هنالك تهديدات توجه ضد الايرانيين الذين سبق ان تعاونوا مع «اسرائيل» ، او الذين مثلوا شركات اسرائيلية . كما ان تصريحات الناطقين بلسان الحكومة الجديدة ، بشأن النية لقطع العلاقات الدبلوماسية مع «اسرائيل» ووقف تدفق النفط في انبوب ايلات ـــ عسقلان، لم تبق مكانا للتفاؤل .

في تلك الايام ، كان اهتمام الشاه منصبا على تشكيل حكومة جديدة برئاسة بختيار ، وهنا برزت خلافات شديدة بين السفير سوليفان والجنرال هويزر ، حول مدى قدرة رئيس الحكومة الجديد على الصمود . وكان سوليفان واثقا بأن تشكيل حكومة بختيار قصد به تمكين الشاه من الخروج من الازمة بشكل مشرف ؛ وتمهيد الطريق لمغادرته الدولة الى الابد . بينما كان الجنرال هويزر اكثر تفاؤلا . وكان الجنرال الاميركي قد اجتمع عدة مرات مع رئيس الاركان الجنرال عباس كرباجي وقادة الجيش ، ووجد على الاقل سبعة ضباط على استعداد للقيام بانقلاب عسكري والاستيلاء على السلطة . لكن المبعوث الاميركي طلب منهم الحفاظ على الولاء للحكومة الجديدة ، وكان يميل الى الاعتقاد بأنه في حالة حدوث اصطدامات عنيفة مع مؤيدي الخميني ، ستكون يد الجيش هي الاعلى ، لكن سوليفان خشي ان ينهار الجيش اذا ما اعطيت له الاوامر باطلاق النار على المتظاهرين .

بسبب هذه التقديرات المتناقضة . لم تستطع واشنطن التوصل الى قرار . هل تشجع الجيش على انقلاب عسكري واستلام السلطة قبل مغادرة الشاه البلاد ، ام بعد مغادرته فورا ؟

في ١٣ كانون ثاني نجح بختيار في تشكيل حكومة جديدة ، وفي ١٦ كانون ثاني منحه البرلمان الثقة . ولدى تقديمه الحكومة امام البرلمان ، تعهد بختيار بأنه ما دامت «اسرائيل» لم تعترف بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني لن تزود ايران «اسرائيل» بالنفط ، ولن تقيم معها علاقات دبلوماسية عادية . وكان معروفا ان « الفقرة الاسرائيلية » في خطاب بختيار كان يقصد من ورائها ارضاء المؤسسة الدينية في الدولة . وبعد بضع ساعات وقع الشاه على امر يقضي بتشكيل « مجلس وصاية » يتألف من تسعة اعضاء ، من بينهم رئيس الحكومة الجديد ، ورئيس مجلس الشيوخ ، ورئيس مجلس النواب ، ورئيس الاركان ، ورئيس المحكمة العليا ، وعدد من الاشخاص الذين كانوا معروفين بولائهم للنظام الملكي . وفور التوقيع على الامر غادر الشاه وعقيلته طهران ، وكانت محطتهما الاولى اسوان في مصر العليا . وكانت مغادرة الشاه الى المنفى في اعقاب ٣٧ سنة من الحكم ، قد جرت سرا وبدون مراسيم رسمية ولاسباب امنية لم يعلن عن مغادرة الشاه الا بعد أن كانت طائرته في الجو . وفي مقابلته الاخيرة التي منحها للاذاعة والتلفزيون الايرانيين ، في مطار طهران ، دعا الشاه الشعب الايراني الى الحفاظ على ولائه للاسرة المالكة ، واظهار شعور بالوطنية لبناء ايران جديدة . واعرب الشاه عن امله في ان تنجح حكومة بختيار في اصلاح « اخطاء الماضي وان تضع اسسا صلبة لبناء مستقبل افضل في الدولة لكنه على الرغم من دعوته الى الحفاظ على الملكية ، كان واضحا للجميع بأن حوالي ٥٤ سنة من الحكم لاسرة بهلوي قد انتهـــت » .



الخميني يشهر سيفه
على الولايات المتحـــدة

لقد بذرت بذور الثورة الايرانية في عهد ريتشـارد نيكسون ، وجرالد فورد ، كرئيسين للولايات المتحدة لكنها نمت ونضجت في عهد الرئيس جيمي كارتر . لقد كانت تلك ثورة شـاذة من جميع النواحي ، ونجاحها انزل على رأس الولايات المتحدة و «اسرائيل» اخطر هزيمة استراتيجية ، خلال اكثر من ٣٠ سنة مضت .

منذ الحرب العالمية الثانية ، جرت في الشرق الاوسط انقلابات عسكرية كثيرة ، كانت تحصل على تأييد الجماهير بعد قيامها . لكن ثورة الخميني كانت اول ثورة تقوم على اسـاس ديني وتحمل على اكتاف الجماهير ، ومن خلال انهيار المؤسســـة العسكرية ، وشـلل اجهزة الامن الداخلي .

بعد قيام الجمهورية الاسلامية ، كان من الضروري محاولة معرفة كيف تستطيع دول كثيرة في العالم ، ومن ضمنها الولايات المتحدة و«اسرائيل» ، الايمان بأن الشـاه يتمتع بثقة شـعبه فعلا . وان عرشـه صلب . وكانت هذه المحاولة ضرورية في ضوء المكانة الاسـتراتيجية الخاصـة لايران ، ووزنها في الحلبة الدولية وفي منطقة الخليج العربي .

منذ مطلع السبعينات ، تحولت ايران الى مصدرة النفط الثانية في اهميتها في العالم بعد السـعودية . وكانت ايضا المزود الرئيسي «لاسرائيل» بالنفط . وتشـير المعطيات الى ان الولايات المتحدة استوردت ، من دول الخليج ، في عام ١٩٧٧ حوالي ٣٤٪ من مجموع استهلاكها السنوي من النفط الخام والمكرر ، بينما استوردت اوروبا من نفس المنطقة حوالي ٦٢٪ من مجموع استهلاكها السنوي ، واليابان ٧٢٪ في حين صدرت ايران لوحدها الى الدول الغربية حوالي ٥ر٥ مليون برميل يوميا ، من

مجموع انتاجها البالغ ٧ ملايين برميل يوميا وقد زودت الولايات المتحدة بحوالي ٩٪ من استهلاكها السنوي . فمنطقة الخليج العربي تشكل حتى الآن مصدرا لتزويد نصف استهلاك العالم الغربي من النفط .

لكن اهمية ايران الاستراتيجية تجاوزت كونها مصدرة للنفط . اذ ان ايران كانت تشكل بحدودها البالغة اكثر من ٢٠٠٠ كيلومتر مع الاتحاد السوفياتي ، حاجزا في وجه رغبات التوسع السوفياتية باتجاه المحيط الهندي والخليج العربي .

قبل اعلان بريطانيا عن نيتها باخلاء قواتها في المناطق الواقعة شرق السويس في عام ١٩٧١ ، كانت علاقات الولايات المتحدة مع ايران جيدة ، لكنها كانت بتحفظ . فعلى الرغم من مساعدة الولايات المتحدة للشاه في التغلب على محمد مصدق في آب ١٩٥٣ ، اظهرت الادارة الاميركية تحفظا تجاه الطابع الاوتوقراطي لنظام الشاه . وكانت تشعر بالخطر الكامن له من جانب مجموعات المعارضة المختلفة في بلاده . لكنه في أواخر ايام رئاسة جونسون ، بدأت الادارة الاميركية تلغي بالتدريج تحفظاتها تجاه ايران . وترك الشاه انطباعا قويا لدى الرئيس جونسون ، وكرد على استعداد الشاه لارسال طاقم طبي ايراني الى فيتنام ، امر الرئيس الاميركي بالاسراع في ارسال الاسلحة الاميركية الى ايران . وقرر الرئيس نيكسون الاستمرار في هذه السياسة . وعشية حرب الايام الستة ، وكجزء من استعداداته لحمى الانتخابات ، قام نيكسون بزيارة لايران في حزيران ١٩٦٧ ، وتأثر كثيرا من قدرة الشاه لان يكون شرطيا في منطقة الخليج العربي .

بعد دخول نيكسون الى البيت الابيض بوقت قصير في كانون ثاني ١٩٦٩ ، امر مستشاره لشؤون الامن القومي ، هنري كيسنجر ، باعداد ورقة عمل بحيث تتضمن توصيات حول كيفية ملء الفراغ في الخليج العربي . بعد انسحاب بريطانيا منه ، ففي اعقاب مأساة حرب فيتنام ، رفض نيكسون امكانية قيام الولايات المتحدة بدور فعال في حماية الخليج . لذلك ، وبما ان نظام الشاه كان يبدو قويا ، وليس هنالك احتمالات لزعزعته ، اوصى كيسنجر بخلق تعاون اقليمي ، تقوم ايران في اطاره بدور رئيسي . في آذار ١٩٦٩ صادق مجلس الامن القومي في واشنطن على توصيات كيسنجر وبدأت الولايات المتحدة بتزويد الجيش الايراني بشكل مستمر بالاسلحة والمعدات العسكرية . وبفضل هذا التزويد بدأ شاه ايران يسيطر بالفعل على مضائق هرمز ، التي كان يمر عن طريقها يوميا اكثر من ٢٠ مليون برميل من النفط الى اوروبا واليابان .

في منتصف عام ١٩٧٢ ، طرأ تحول هام على علاقة الادارة الاميركية برئاسة نيكسون تجاه الشاه فلدى عودة نيكسون وكيسنجر من مؤتمر القمة في موسكو في أيار ١٩٧٢ ، توقفا في طهران وتوصلا مع الشاه الى تفاهم بعيد المدى في مواضيع

استراتيجية مختلفة . وادت زيارة نيكسون تلك الى تعاظم مكانة الشاه في نظر واشنطن . وكان نيكسون قد زار طهران قبل سنة في منتصف عام ١٩٧١ ، وهو في طريقه الى بكين . وبعد تلك الزيارة اعترفت ايران بالصين الشعبية . ولكي يحافظ على توازن مع موسكو ، اعترف الشاه بالمانيا الشرقية وكوبا . وكانت ايران تحتفل في تلك الايام بذكرى تولي الملك كورش عرش فارس . وارسل نيكسون نائبه سبيرو اجنيو لتمثيل الولايات المتحدة في تلك الاحتفالات ، وتأثر الشاه من ذلك ، وها هو نيكسون يأتي اليوم لمصالحته شخصيا .

وكجزء من الرغبة في اضعاف العراق الموالي للسوفيات ، ايدت الولايات المتحدة المساعدات التي قدمتها ايران للمتمردين الاكراد في الشمال ، حتى انها الحقت بقيادة زعيم المتمردين ، الملا مصطفى البرزاني ، عددا من ضباط الاتصال التابعين لوكالة الاستخبارات المركزية . وبالاضافة الى ذلك قررت الولايات المتحدة البدء بتزويد الجيش الايراني بالاسلحة بشكل مكثف ، بعد ان بدت ايران المخلصة الحقيقية « لنصرة نيكسون » .

في تموز ١٩٧٢ ، اصدر كيسنجر « التوجيهات » المطلوبة لوزارة الدفاع الاميركية ووزارة الخارجية الاميركية . وقبيل نهاية نفس العام ، بدأت تصل ايران كميات كبيرة من الاسلحة . وبلغت قيمة الاسلحة الاميركية لايران في عام ١٩٧٣ ، (٢٤٠) مليون دولار ، وفي عام ١٩٧٤ (٥١٠) ملايين دولار ، وفي عام ١٩٧٥ (٩١٠) ملايين ، و ١٩٧٦ (٦ر١٤) مليار دولار ، وفي ١٩٧٧ (٢٤ر٢) مليار ، وفي ١٩٧٨ (٥ر٢) مليار دولار .

كانت تلك المشتريات تتطلب المزيد من الاموال . وهذا ما دفع الشاه في اواخر عام ١٩٧١ الى الانضمام الى مطالب الدول النفطية بزيادة اسعار النفط . وفي اعقاب حرب يوم الغفران ، في اكتوبر ١٩٧٣ ، زادت اسعار النفط اربعة اضعاف ، وكدست مبالغ كبيرة من الاموال بأيدي الشاه . واستغلت هذه الاموال في شراء الاسلحة الحديثة ، وتنفيذ مشاريع تطويرية استعراضية . فعلى سبيل المثال ، كلفت خطة لاقامة ثماني محطات قوة نووية ٦٠ مليار دولار . وتحول الشاه فجأة الى « دجاجة تبيض ذهبا » ، واعتقد مزودوه بالاسلحة والمعدات بأن وضعه ربما لا يكون طبيعيا . اضف الى ذلك ، ان خطط مشتريات الاسلحة لم تكن تدرس في الواقع ، على ضوء احتياجات ايران الحقيقية . فعندما اطيح بالشاه كان يملك ٧٨ طائرة ف١٤ ، لكنه لم يكن لديه معدات لتفريق المظاهرات . ومشتريات الاسلحة الضخمة وفرت اعمالا لاعداد كبيرة من العمال الاميركيين ، وادت الى تقلبص نفقات التطوير وانتاج التكنولوجيا الحديثة كما قلصت الفجوة في الميزان التجاري الاميركي .

على الرغم من تحذير سري قدمه الكونغرس في تموز ١٩٧٦ ، بشأن تحديد ارساليات الاسلحة الى ايران ، واصلت الادارة الاميركية سياستها ، وتحولت في الواقع الى اسيرة بأيدي منتجي الاسلحة الكبار .

وعندما اظهر الكونغرس الامريكي معارضته الدائمة لزيادة عدد رجال الجيش الاميركي المتواجدين في ايران ، كانت الادارة الاميركية تتجاوز هذه المعارضة بارسال مستشارين مدنيين الى معسكرات الجيش والقواعد الجوية الايرانية . فقد بلغ عدد البعثة العسكرية الاميركية في ايران في عام ١٩٧٨ ، حوالي ١١٠٠ ضابط ، كانوا يستعينون بأكثر من ٨٠٠٠ مستشار مدني . واذا اضفنا الى ذلك المستشارين الاميركيين في مجالات التطوير المختلفة ، وفي الصناعة العسكرية ، نصل الى استنتاج بأنه عشية الاطاحة بالشاه ، كان عدد الاميركيين في ايران يزيد على ٤٥ الف نسمة . وكان من شأن ذلك المس بكرامة ايران القومية وكانت كراهية الاجانب تغذى دائما بواسطة الرواتب الضخمة التي كانت تدفع للخبراء الاميركيين من خزينة الشاه . لكن الاهمية الاستراتيجية لايران كانت تبدو كبيرة لدرجة جعلت وكالة الاستخبارات المركزية تتوقف عن تقديم التقديرات الاستخبارية حول ما يجري في ايران ، وحول مكانة الشاه داخلها .

لقد أعلن الشاه ، في تصريحاته العلنية ، انه ينوي تحويل بلاده الى دولة عظمى خامسة في العالم ، من الناحية الاقتصادية والعسكرية . وركز في خططه التطويرية على الجيش ، والصناعات الثقيلة ، والصناعات البتروكيماوية ، والتكنولوجيا الحديثة . لكن الشاه لم يدرك انه كان ينقصه القاعدة العلمية والتكنولوجية لتنفيذ ذلك .

وبما ان وزن السعودية في الاستراتيجية الاميركية كان قد بدأ يرتفع في عام ١٩٧٦ فقط ، استمرت ادارة الرئيس فورد ايضا في تزويد ايران بالاسلحة متجاهلة وزن السعودية . وقد نفذت السياسة الاميركية في المنطقة بفعالية من قبل السفير ريتشارد هليموس ، رئيس وكالة الاستخبارات المركزية سابقا ، والشريك في قرارات نيكسون وكيسنجر في تحويل الشاه الى شرطي الخليج . وبناء على تعليمات هليموس ، ركزت الولايات المتحدة على التصنت على الاتحاد السوفياتي ، وتتبع النشاطات السرية السوفياتية في ايران والخليج العربي . واذا ما برزت مشاكل كانت تحتاج الى معالجة بالطرق السرية ، كانت تحل في محادثة شخصية بين الشاه والسفير هليموس ، او بين هنري كيسنجر والسفير الايراني في واشنطن اردشير زاهدي .

ان الشعور المتزايد بقيمته الاستراتيجية ، جعل الشاه يسخر من نصائح الولايات المتحدة بشأن التصرف باعتدال في سياسته الداخلية . وكلما نجحت مشاريع الشاه التطويرية اكثر ، كلما قسا قلب الشاه تجاه اية فكرة لتحديد صلاحيات نظامه ، واشراك اوساط اخرى في زعامة الدولة .

بعد أن تلقت وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية تقديرات عن الوضع الداخلي في ايران عن طريق السفاك ، لم يكن اي شخص في واشنطن يعتقد بأن الشاه يجلس

على برميل من البارود ، وانه يصنع دمار نفسه بيديه . وكان الشاه يستقبل اثناء زياراته الخارجية بمظاهرات معادية من الطلبة الايرانيين . وهذا الامر جعله يعتقد خاطئا بأن معارضة نظامه كبيرة بشكل خاص في اوساط الاحرار والمثقفين ، لذلك سخر من الحلف الذي بدأ يتكون بين المؤسسة الدينية وتجار البازار واوساط الطبقة الوسطى . وجاء في تقرير مجلس النواب الامريكي في ٢٤ كانون ثاني ١٩٧٩ : « ان واشنطن لم تتلق اي تقرير استخباري عن قوة المعارضة الدينية من مصادر دينية طيلة اكثر من عامين » .

ان دخول الرئيس الاميركي جيمي كارتر الى البيت الابيض في كانون ثاني ١٩٧٧ ، لم يغير الوضع بشكل ملموس . وجاء في تقدير الوضع الاستخباري الذي اعد للادارة الجديدة ، ان ايران تواجه مشاكل اقتصادية واجتماعية صعبة ، لكن النظام الحاكم يستطيع التغلب عليها . وفي ضوء التأكيد القوي الذي اولاه كارتر لحقوق الانسان ، كان على ادارته ان تختار بين خيارين متناقضين :

١ — الاستمرار بالسياسة التى اعتبرت الشاه « شرطي الخليج » ، والتي دعا اليها المستشار الجديد لشؤون الامن القومي زبيجنيو بجحنسكي .

٢ — تغيير هذه السياسة تماما واظهار الاخلاص التام لمبادىء حقوق الانسان . وقد ايد هذه السياسة عدد من مساعدي كارتر الشباب وبعض موظفي وزارة الخارجية . وادعى هؤلاء ان الطابع الدكتاتوري لنظام الشاه يضر بحقوق المواطن ، وسيكون في نهاية الامر حجر عثرة في طريق النظام نفسه .

في نهاية الامر ، انتصر بجحنسكي ، وقرر الرئيس كارتر الاستمرار في سياسة سابقية ، من خلال دفع ضريبة كلامية للمبادىء التي كان ينادي بها قبل انتخابه . كما ان ثراء ايران واهميتها الاستراتيجية ، وتأثيرها الكبير في أوساط الدول المنتجة للنفط ، واهميتها التجارية ؛ كل ذلك ، فرض على كارتر تنسيق سياسته حسب رغبة الشاه .

لقد عبر عن هذه السياسة بوضوح خلال زيارة الشاه لواشنطن في تشرين ثاني ١٩٧٧ ، وكان كارتر قد أولى مشاكل الشرق الاوسط اهمية كبيرة خلال اول سنة من تسلمه رئاسة الولايات المتحدة .

بعد زيارة رئيس الحكومة الاسرائيلية في تلك الفترة ، اسحق رابين لواشنطن في آذار ١٩٧٧ ، صرح كارتر علانية بأنه من الضروري منح الفلسطينيين وطنا لهم في الضفة الغربية ، في اطار تسوية شاملة في الشرق الاوسط . وادى هذا التصريح الى زعزعة في اسرائيل ، وفسر على انه تنكر للوعود التي قطعها كارتر على نفسه قبل انتخابه ، وكتخل عن صديق مخلص وموثوق .

على الرغم من ذلك ، واصل الرئيس كارتر خلال اشهر الصيف سياسته ، التي كانت ترمي الى التقارب مع سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية والعسكريين المتطرفين في الشرق الاوسط ، واشراك الاتحاد السوفياتي في الجهود لايجاد حل للنزاع في الشرق الاوسط ، وفي الاول من تشرين اول ، في نهاية المشاورات التي اجراها وزير الخارجية الاميركي ، سايروس فانس ، مع زميله السوفياتي ، اندريه غروميكو اصدرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بيانا مشتركا حددتا فيه اطار التسوية في الشرق الاوسط لم يذكر البيان المشترك منظمة التحرير الفلسطينية ، لكنه دعا الى اقامة « وطن للفلسطينيين » ، كما دعا الى انسحاب «اسرائيل» الكامل الى حدود عام ١٩٦٧ .

لقد فسر البيان المشترك الاميركي — السوفياتي في «اسرائيل» ، والعالم العربي بأن الدولتين الاعظم تريدان فرض تسوية في الشرق الاوسط . وقرر الرئيس المصري انور السادات احباط هذا المسعى . ففي اعقاب زيارات قام بها السادات لكل من رومانيا وايران القى السادات قنبلة سياسية لا زالت اصداؤها تسمع في الشرق الاوسط حتى يومنا هذا ، ففي التاسع من تشرين ثاني اعلن السادات في خطاب له امام البرلمان المصري ، انه ينوي التوجه الى «اسرائيل» واجراء مفاوضات مباشرة معها حول «السلام» . واعلن الشاه تأييده الفوري لخطوة السادات تلك .

في هذا الجو العاصف والكثير التقلبات ، وصل الشاه في منتصف تشرين ثاني الى واشنطن ، في زيارة تعارف مع الرئيس كارتر ، وقبيل قدوم الشاه لواشنطن كان قد قدم طلبا للحصول على كميات كبيرة من الاسلحة والمعدات العسكرية الاميركية . وكان مساعدو كارتر قد اعدوا ورقة عمل اوردوا فيها اهمية ايران في الدفاع عن الخليج العربي ، واشاروا فيها الى اخلاص الشاه « الاعمى » لامريكا . وبما ان زيارة الشاه تمت عشية انعقاد مؤتمر دول اوبك ، التي كان من المقرر ان تبحث فيه دول النفط مسالة النفط في السوق العالمي ، واستجاب الشاه لهذا الطلب ، كما ارضى الرئيس الاميركي بأن وعد باتباع سياسة اكثر حرية في بلاده . وادعى الشاه ان مطاردة عناصر الحزب الشيوعي الايراني ، بعد اخراجه خارج القانون ، كانت تستقبل في العالم الغربي على انها قمع حريات الفرد . وكان الشاه يفاخر بأنه منح حق التصويت للنساء ووفر لهن امكانية العمل والتعليم . وتعهد للرئيس كارتر بالاستمرار في هذه السياســة .

استجاب كارتر لطلبات الاسلحة الجديدة التي قدمها الشاه ، وتبادل معه الآراء حول مشاكل دولية مختلفة ، من خلال التركيز على الوضع في الشرق الاوسط . وبعد ستة اسابيع ، زار كارتر طهران . وفي ليلة ٣١ كانون اول ، امتدح كارتر خلال حفلة فخمة الشاه ، وقال انه بفضل قيادته تحولت ايران الى جزيرة استقرار في احدى المناطق العاصفة في العالم . وبدا ان العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة وايران ستستمر بصورة عادية .

لكن الثورة الايرانية لم تحدث لاسباب خارجية ، بل لاسباب داخلية . فمنذ اكثر من ١٠ سنوات كانت ايران تشكل مجتمعا يعيش ضغطا داخليا وصدمة ثقافية . فقد ادى التسارع الحضاري الى خلق فجوة عميقة بين التطوير الاقتصادي وبين تقـدم المؤسسات السياسية . ان فقدان وسائل مناسبة للتعبير السياسي الحر ، ادى الى التفاف كل عناصر المعارضة حول المؤسسة الدينية . وهو الذي ادى في نهايـة المطاف الى الاطاحة بعرش الشاه .

لا يمكننا ادراك الغليان الداخلي في ايران - دون الوقوف على البدائل التي طرات على البنية الاقتصادية والاجتماعية في ايران ، خلال السنوات الاخيرة . فقد زاد عدد سكان ايران ، على سبيل المثال من ١٣ مليونا في عام ١٩٤٥ الى ٣٤ مليونا في عام ١٩٧٨ . نصفهم في سن يزيد عن ١٦ سنة . وحوالي ثلثي السكان لا تزيد أعمارهم عن ٣٠ عاما .

ان هذه النسبة الفتية من السكان خلقت مشاكل ثقافية صعبة ، وفرضت على النظام ايجاد مصادر عمل مناسبة في اسرع ما يمكن . وادى الاسراع في التطويـر الاقتصادي الى اهمال القرى . وفي اعقاب ذلك ، زاد عدد سكان المدن من ٥ ملايين نسمة في عام ١٩٥٦ الى ١٠ ملايين في عام١٩٧٦ وتجمع القسم الاكبر من هذا العدد في طهران ، التي زاد عدد سكانها من نصف مليون عام ١٩٤٠ الى ٥ ملايين نسمة في عام ١٩٧٨ . وادى الانفجار السكاني في المدن الى خلق مشاكل اسكان صعبة وبقيت الاحياء الفقيرة بدون كهرباء ولا ماء ولا مشاريع مجاري .

بما ان حوالي ٧٠٪ من الدخل القومي كان يأتي من الصناعة النفطية ، منعت السلطات الايرانية الدوافع لاقامة صناعات اخرى كان باستطاعتها استيعاب الطبقة العمالية في المدن . وكانت النتيجة خلق طبقة سكانية غير مهنية في المدن ، كان يتوقف بقاؤها على تطوير صناعة البناء ومدى الطلب على الاعمال اليدوية . ولكن في عام ١٩٧٧ بدأت تظهر البطالة بين عمال البناء وخرج العمال الى الشوارع . لقد حولت هذه الظاهرة ايران الى قنبلة موقوتة ، حيث اوجدت طبقة عمالية تعيش تحت ضغط نفساني ، مقابل مجموعة من الاثرياء كان يزيد ثراؤهم يوما بعد يوم ، بسبب الفساد والرشوة التي كانت تتوسع بالتدريج حتى شملت « المستوى العالي » في السلطة . من الناحية التاريخية عاشت طهران في ظل المدينة الكبيرة «رى» ، ومنذ ان دمرت مدينة «رى» في عام ١١٩٧ انتقل الناجون منها الى طهران ، تلك المدينة التي بنيت على هضبة ترتفع ١١٠٠م وتمتد حتى سلسلة الجبال المنخفضة ، جبال البورز بارتفاع ١٧٠٠م . ومنذ ان تحولت عاصمة لملوك كجار ، في عام ١٧٨٣ كانت طهران مهجورة معظم السنين . لكنه في السنوات الثلاثين الاخيرة وتحت حكم ملوك بهلوي زادت مساحة المدينة خمسة اضعاف ، وزاد عدد سكانها من ٢٠٠ الف نسمة الى ٥ ملايين

نسمة كما ان موقع ايران الجغرافي واهميتها الاستراتيجية ، جعل من طهران مثلثا جويا هاما لكل دول الخليج العربي ، ومركزا ديناميكيا لشركات تجارية عالمية ، وادى ذلك بالطبع الى حركة بناء لم يسبق لها مثيل ، في مجال بناء الفنادق الحديثة والمساكن المتعددة الطوابق والشوارع العريضة . وكان من ابرز مظاهر العمران في طهران « بوابة شاه يد » في المدخل الغربي للمدينة وبالقرب من مطار طهران الدولي ، والتي شيدت في ١٦ تشرين أول ١٩٧١ بمناسبة احتفالات «كورش» ويشبه المبنى بوابة النصر في باريس . وكانت ترتفع الى علو ٤٥ مترا ، واستخدم في بناء البوابة ٨٠٠٠ حجر من الرخام الابيض احضرت من اصفهان . وتحتوي البوابة في طابقها الارضي على متحف وقاعة لعرض الافلام الوثائقية عن تاريخ ايران ومشاكلها . وعلى رأس البرج بنيت شرفة واسعة تسمح بالنظر الى المدينة وضواحيها . لم تكن طهران مركزا فنيا وثقافيا كبيرا . وعلى الرغم من ذلك صدرت فيها صحيفتان باللغة الانكليزية وواحدة باللغة الفرنسية ؛ وكان من بين دور السينما الكثيرة فيها ؛ ثلاث دور سينما تعرض افلاما باللغة الانكليزية . وبتشجيع من الملكة فرح ديبا بنى في المدينة مسرح كبير ، اضف الى كل ذلك ، مجموعة كبيرة ؛ تضم حوالي ١٥٠ ألف طالب جامعي وحوالي ٥٠٠ الف طالب ثانوي ؛ جاء معظمهم من طبقات غير مثقفة . وادى وجود هؤلاء الى خلق صعوبات في اسواق العمل وزادت خطورة هذه الظاهرة على ايدي مجموعة تتألف من حوالي ٧٠ الف طالب جامعي كانوا يدرسون في الخارج . (نصفهم في الولايات المتحدة) وتشبعوا من الحريات الغربية . واكتشف هؤلاء الطلبة . لدى عودتهم الى ايران انهم لا يستطيعون المشاركة في الخطط التطويرية في بلادهم . بسبب خطط النعاظم العسكري المبالغ فيها ؛ وتحولوا هم ايضا الى قنبلة موقوتة . ولكي يجد حلا لهذه المشكلة . حاول الشاه استيعاب الكثير من هؤلاء الطلبة في وظائف حكومية عديمة الفائدة . وادى ذلك الى خلق بطالة مخفية في الجهاز الحكومي . وادى ارتفاع نسبة التضخم الى الحاق الضرر بمستوى الدخل الحقيقي لموظفي الحكومة وموظفي شركة الطيران وعمال النفط . وادى ذلك الى زيادة النقمة على نظام الحكم . وكان اكثر من نصف موظفي الحكومة ؛ الذين كان يبلغ عددهم في عام ١٩٧٨ ؛ زائدين عن حاجة الحكومة الوظائفية . واجتذب هؤلاء الموظفون بالاضافة الى الطلبة الجامعيين الذين لم يوفر لهم عمل اصلا ، الى الدعاية اليسارية السرية . وعلى الرغم من جهود السفاك ؛ لم يستطيع الشاه قمع حركة التمرد في بلاده .

في اعقاب اتفاقية آذار ١٩٧٥ مع العراق ، بشأن تسوية الخلاف حول شط العرب وتوقف ايران عن مساعدة الاكراد في شمال العراق ، لم يعد الشاه يخشى من تزويد العراق للمعارضة اليسارية في بلاده بالمال والاسلحة . وتحول السفاك من مطاردة العملاء السريين العراقيين ؛ الى زيادة وسائل القمع ضد الطلبة اليساريين . وانضم عملاء السفاك الى الضباط الذين ارسلوا لاكمال دراساتهم او في دراسات خارجية ؛ بينما تتبع آخرون الطلبة الذين يدرسون في الولايات المتحدة والمانيا الغربية وفرنسا

وكانت النتيجة الحتمية قمعا وحشيا لحرية الفرد . وكان في الواقع كلما تعززت قوة النظام ، تقلصت حرية الفرد . وحكم الشاه بواسطة الجيش وقوى الامن . وتدخل الشاه بصفته القائد الاعلى في تعيينات قادة الجيش والنزاعات فيما بينهم . كما اعتقل اعداد كبيرة من زعماء المعارضة وعذبوا واعدموا . ومنعت التنظيمات السياسية . ووضعت الصحف تحت الرقابة ، وقضي على المعارضة في مجلس النواب ، وتحول المجلس الى خاتم مطاطي للسلطة . كما فرض الشاه سيطرته على القضاء . واصبح الشاه حاكما مطلقا في بلاده . وكان مصدر الصلاحية لكل قرار حتى الصغير منها . وادى تركيز السلطة بيده الى عزله في الواقع عن الشعب . كما ان عزلته زادت في اعقاب وفاة المخلص له ، اسد الله غلام ، في عام ١٩٧٦ حيث كان الوحيد من بين مساعديه الذي يتجرا ليقول له الحقيقة ، وليس أقوال التملق فقط . وكتعبير عن اضطهاد حرية الفرد ، جاء تشكيل حزب « رتساجز » ، في الثاني من أيار ١٩٧٥ ؛ الذي حوّل ايران الى دولة الحزب الواحد ، وارغم المواطنين « المخلصين للدستور والشاه والثورة البيضاء » على الانضمام اليه .

لقد كانت اقامة الحزب الوحيد متناقضة مع تصريحات الشاه العلنية ووعده بالسماح بتعدد الاحزاب في ايران . وضمن ما كتبه الشاه في كتابه بعنوان : « من اجل شعبي » ، الذي صدر في لندن في عام ١٩٦١ ، ما يلي : « انني أرى من واجبي كملك تشجيع اقامة الاحزاب ، ولو انني كنت دكتاتوريا وليس ملكا دستوريا ، لفضلت ان أحكم بالحزب الواحد » . لكنه كان كلما تقوى مركزه ، كلما زاد تجاهله للمشاكل الملحة في بلاده . فقد تحدى رجال الدين وامتنع عن دعم الجهود الرامية الى القضاء على الفساد . لانه كان كلما زادت واردات النفط كلما زادت ظواهر الفساد بين افراد اسرة الملك والمقربين من الشاه . والغريب في الامر ، ان الشاه كان على علم باعمال الفساد التي يمارسها مساعدوه وكان يتغاضى عنهم . وكانت الاموال التي يحصل عليها المقربون من الشاه نتيجة للحصول على عمولات من جراء صفقات الاسلحة والمعدات العسكرية وغيرها من المشتريات ، ترصد في بنوك سويسرية واميركية واوروبية . ولم يكن المرتشون يبذلون جهودا كبيرة لاخفاء ثرائهم المفاجيء . لقد الحقت هذه الظاهرة الضرر بمكانة وتقاليد الجيش الايرانى ومستواه المهني . كما تضرر الجيش ايضا من اعمال التطهير المتتالية في صفوفه . ومن الاسلوب الذي اعتاد الشاه استخدامه في مجال ترفيع احد الضباط على حساب طموح زميله . وهذا لم يساعد بالطبع على تقدّم المستوى المهني في الجيش ، وخاصة في المستوى القيادي ، لان تقدّم القادة كان لا يتم بناء على الكفاءة والقدرة ، بل على مدى الاخلاص الشخصي للشاه . لذلك استاء عدد كبير من الضباط من الظلم الدائم الذي كان يمارسه السفاك وخدمات الامن العسكرية ، واصبح وضع الجيش خطيرا جدا . وكان مستوى التدريب فيه متدنيا جدا ، كما عطلت معدات عسكرية كثيرة نتيجة للصيانة المغلوطة . وكان العطب قد شمل اكثر ما يكون الدبابات وطائرات الهليوكبتر ، الامر الذي ادى الى زيادة كبيرة

في المشتريات العسكرية لملء الفراغ الناجم عن عمليات العطب هذه . وهذه المشاكل أدت الى خلق تغطية متبادلة على هذه الاعمال لدى القيادات العليا . فعلى سبيل المثال ، زار الشاه الفرقة المدرعة الاولى في جيشه واعجب من مستواها ، وطلب ان يكون مستوى الفرقة المدرعة الثانية مماثلا لهذا المستوى . ولكي تنفذ تعليمات الشاه قام رئيس الاركان العامة بتبديل الضباط في الفرقتين ، وابلغ القصر الملكي بأن رغبة الشاه قد نفذت .

لقد كان جميع الاميركيين الموجودين في ايران على اطلاع بهذه الامور جميعها ، لكن ايا منهم لم يبذل جهدا لتحليل ابعادها والتوصية باتباع طرق عمل جديدة . وبناء على ما أوردته صحيفة نيويورك تايمز في تموز ١٩٧٨ ، فقد كانت وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية تستخدم حوالي ٥٠ عميلا في ايران . لكن اكثر من ١٠٠ عميل آخر، احيلوا على التقاعد وعملوا في مختلف الشركات الايرانية ، وكان باستطاعتهم مساعدة زملائهم العاملين في تقدير الوضع في ايران بين فترة واخرى . غير ان شيئا من هذا القبيل لم يحدث . كما كانت الولايات المتحدة على علم بأعمال الفساد الكثيرة في الدولة ، غير ان شخصا ما لم يجرؤ على ان يهمس في اذن الشاه بأنه من الافضل له الحد من حمى الثراء في أوساط أفراد أسرته .

لقد كان هذا الوضع عبارة عن بيت زجاج لنضوج الثورة ، التي كانت تبحث فقط عن علم تلتف حوله ، ووجد هذا العلم في شخصية رجل الدين العجوز آية الله خميني، احد اعداء الشاه الاقوياء الذي كان يسيطر تماما على المؤسسات الدينية الايرانية وحولها الى جهاز فعال جدا للثورة . وفي نظرة الى الوراء نجد ان اكبر خطأ فاحش ارتكبه الشاه ، في السنوات الاخيرة ، هو السخرية من قوة وقدرة المؤسسة الدينية في ايران .

فالمؤسسة الدينية في ايران كانت تختلف عن مثيلاتها في تركيا والدول العربية ، فهي لم تر أبدا فصل الدين عن الدولة ، وكانت تتحين الفرص لتعيد لنفسها مكانتها الاجتماعية التي ضعفت ، وكان رجال الدين يرون في الانحراف عن المبادىء الاسلامية سببا في مصائب الدولة . وكان رجال الدين المسنون ، الذين تزيد اعمارهم على السبعين عاما ، ينادون بالعودة الى الاسلام الطاهر والابتعاد عن النظريات الغربية الكاذبة . وقد دعا الخميني في خطاب له ، في النجف في العراق الى اقامة جمهورية اسلامية في ايران تستمد صلاحياتها من القرآن والسنة النبوية . واوضح ان الجمهورية التي ينادي بها ليست على صورة النظام المعروف في الغرب ، بل هي اسلوب يبرز التناقض بينها وبين الملكية .

لقد كانت دعوة الخميني ، الى العودة الى الاسلام الطاهر النقي ، مستمرة وبلا انقطاع وتجاهلت تماما المراحل التي مر بها المجتمع الايراني . فعلى سبيل المثال

دعا الخميني الى الغاء او التوقف عن تشبه المرأة الايرانية بالمرأة الغربية ، كما دعا الى تخفيض انتاج النفط بشكل يكفي احتياجات الدولة فقط ، كي لا يسمح بأعمال الفساد والرشوة . ومن اجل تحقيق ذلك ، دعا الخميني الموالين له لاستغلال خطب يوم الجمعة في المساجد ، لاثارة الشعب وتحريضه على الخروج في حرب مقدسة ضد الشاه والكفرة الذين يساعدونه .

تجدر الاشارة هنا الى ان الخميني لم ير القضاء على الملكية هدفا بحد ذاته . بل كان يعتقد بأن الفكرة القومية كما حدث في اوروبا في القرن التاسع عشر تعارض النظرية الاسلامية ، وما هي سوى « مؤامرة امبريالية » قصد بها تفرقة الامـــة الاسلامية . وكان الرئيس الاميركي جيمي كارتر يبدو في نظره المثل البارز للامبريالية الغربية . لذلك كان يجب أن تكون الجمهورية الاسلامية التي يدعو لاقامتها الخطوة الاولى لتحقيق وحدة العالم الاسلامى . ولم يعتبر الخميني نفسه كأيراني ، بل كمسلم، وكانت فكرة الدولة القومية بغيضة بالنسبة له .

في مقابلة مع الخميني نشرتها صحيفة المستقبل التي صدرت في باريس ، بتاريخ ١٣ كانون ثاني ١٩٧٨ ، قال الخميني ان الثورة الايرانية تشبه الحركة التي بعثت الاسلام في القرن السابع . واعرب عن ايمانه بأنه لم يمض وقت قصير حتى تنضم بعض الدول الاسلامية الاخرى الى الثورة . من هو الخميني ، وكيف تحول الى زعيم الثورة الايرانية التي تركت آثارها على جميع الاحداث السياسية في عام ١٩٧٩ ؟

ولد روح الله موسوي « في مطلع القرن الحالي لاسرة متدينة كثيرة الاولاد في بلدة خمين ، الى الشمال الشرقي من طهران . ومنذ طفولته كان يبدو بارعا ، ولم يكن اي شيء يعيقه عن دراسته سوى لعبة كرة القدم . وحتى اليوم ، يرغب الرجل العجوز في مشاهدة العاب كرة القدم على التلفزيون . في عام ١٩٢٠ انتقل الى البلدة المقدسة قـــم . وبعد اكمال دراسته في مدرسة فيزياه الشهيرة تزوج بأمرأة تدعى خديجـــة ، وانجبت له ستة اولاد . ثم دفعته بلاغته الى كتابة الشعر ، وكان يوقع على انتاجه باسم مستعار وهندي « ولكن بعد ان استغل السفاك هذه الحقيقة ضده وأخذ يبث الاشاعات بأنه ليس ايرانيا ، بل هنديا ، توقف عن التوقيع باسم هندي ، وبدأ يستخدم اسم خميني نسبة لمسقط راسه بلدة خمين . بعد زواجه بوقت قصير ، ادى الخميني فريضة الحج في مكة واصبح حاجا . ولدى عودته الى قـــم ، اعلن تأييده لآية الله ابو القاسم كتاني ، الذي شكل منظمة « فدائيون اسلام » واحبط بعنف خطط التقدم التي كان النظام يضعها . كان طيلة تلك السنوات يتقدم تدريجيا في الوسط الاسلامي ، وعين في نهاية الخمسينات آية الله ، وفي عام ١٩٦٢ ، وبعد ان اعلن الشاه عن عزمه على تنفيذ الاصلاح الزراعي ، نظم الخميني اول اضراب له ضد الشاه ، لانه اعتبر خطط الملك خطرا لسلب المؤسسة الدينية املاكها . كما عارض

الخميني فكرة منح المرأة حق الانتخاب . لكن صراعه الحقيقي ضد الشاه بدأ في عام ١٩٦٣ فقط . ففي اعقاب قرار الحكومة مصادرة ممتلكات احدى الاسر التي تبرعت كثيرا للمؤسسة الدينية . دعا الخميني الى القيام بمظاهرات ضد الشاه وسياسة الاصلاح الزراعي . وردا على ذلك ، هاجمت الشرطة مدرسة قم الدينية وقتلت ١٨ من رجال الدين . وفي أعقاب هذا العمل ، اندلعت اعمال عنف واضطرابات شملت معظم انحاء ايران . وخرج آلاف الطلبة خارج طهران في مظاهرة ضد الشاه وتأييدا لرجال الدين . ودعا الخميني ورجاله الى القضاء على الملكية . وجاء في رسالة بعث بها الخميني الى رئيس الوزراء آنذاك ، اسد الله علام . ما يلي : لن أسكت أبدا. وسيبقى قلبي دائما مستعدا لفرس حراب جنود الشاه » .

ووصف الخميني في خطاباته الشاه كيزيد بن معاوية . قاتل الامام حسين حفيد النبي محمد وامام الشيعة .

وضع الامام الخميني في الاقامة الجبرية . غير انه واصل صراعه ، وهذه المرة ضد السماح للجنود الامريكيين بأن يحاكموا امام قادتهم ، وليس امام المحاكم الايرانية. واعتقل الخميني مرة ثانية ، واعتقل معه ايضا مهدي بازرغان . وحكم بالسجن مدة ١٠ سنوات . وبعد ستة شهور ، اي في تموز ١٩٦٣ ، استدعي الخميني الى مكتب رئيس الوزراء الجديد ، حسن علي منصور ، وابلغ بأنه اذا اعتذر عن افعاله ، وتوقف عن مهاجمة الشاه ، سيفرج عنه . ورفض الخميني هذا الاقتراح وفضل العودة الى السجن . ومقابل ذلك صفعه رئيس الحكومة على وجهه . واثار هذا الحادث رجال الدين ، وبعد مضي حوالي اسبوعين قتل علي منصور وهو في طريقه الى البرلمان . واعتقلت الشرطة اربعة من اعضاء منظمة « فدائيون اسلام » وأعدمتهم . وحوكم الخميني وحكم بالاعدام . ولكن لدى تدخل رئيس السفاك ، الجنرال حسن فكروان ، أعفي عنه وطرد خارج الدولة . وطلب الخميني في البداية الاستقرار في تركيا ، ولكنه انتقل بعد ذلك بوقت قصير الى النجف في العراق ، وبقي هناك حتى تشرين أول ١٩٧٨ عندما خرج الى فرنسا .

على الرغم من ان فترات حكم ملوك بهلوي كانت مليئة بالصراع ضد المؤسسة الدينية ، حاول الشاه في بداية حكمه خلق تعاون مع رجال الدين . فقد منح حمايته ورعايته للمدرسة الدينية في قم ، من خلال الامل في الحصول على ولاء رجال الدين الشباب ، وحج الى مكة وقدم نفسه على انه « حامي الاسلام » وروّج مساعدوه الاشاعات بأن المقدسات الاسلامية لا تغيب عن بال الملك . وهي التي ترشده في ادارة امور الدولة . حتى انه عندما اراد الشاه في عام ١٩٦٠ تنفيذ مشروع الاصلاح الزراعي ، حاول اسكات المؤسسة الدينية مدعيا ان الله امره بعمل ذلك . وعلى الرغم من معارضة المؤسسة الدينية القوية . نفذت المرحلة الاولى من المشروع ببطء شديد .

ولكي يتصالح الشاه مع المؤسسة الدينية عين في بداية عام ١٩٦١ شريف امامي، وهو من اسرة آية الله حسن امامي ، رئيسا للحكومة . لكنه بعد وقت قصير ، نشب خلاف حاد بين الشاه ورجال الدين في الدولة فقد توفي في قم آية الله آغا حسين الذي كان يتزعم الطائفة الشيعية منذ عام ١٩٤٧ وكان معروفا في العالم الشيعي « كمرجع التقليد » لراي مصدر التشريع الالهي وبرزت مسألة وريثه لهذا المنصب الهام . وبعث الشاه برقية تعزية بهذه المناسبة الى آية الله محسن الحكيم ، وهو رجل دين عربي يقطن العراق . واعتبر الخميني وآية الله كاظم شريعة مداري ذلك محاولة لتجاهلهما والمس بمكانتهما الدينية . لذلك ثارا على الشاه ومحاولاته التدخل في الشؤون الدينية ، واندمج النشاط الشخصي هذا مع الصراع العام ضد سياسة الشاه الاجتماعية والاقتصادية . وتجدر الاشارة هنا الى انه في تلك المرحلة المتقدمة تكون الحلف السياسي بين الخميني ومهدي بازرغان الذي تسلم رئاسة اول حكومة للثورة الاسلامية في عام ١٩٧٩ .

بدأ مهدي بازرغان اول حياته السياسية في عام ١٩٤٢ عندما كان طالبا في جامعة طهران بكلية الهندسة . وبعد ذلك بعام واحد اقام رابطة الطلبة المسلمين ، ورابطة المهندسين الايرانيين . وفي عام ١٩٤٤ ، اقام بازرغان بالتعاون مع رابطات اخرى « حزب ايران » . ولكن عندما تعاون هذا الحزب مع حزب « تودا » الشيوعي في عام ١٩٤٦ ، انسحب بازرغان من النشاط السياسي ، واستأنفه فقط في بداية الخمسينات عندما اقام محمد مصدق « الجبهة الوطنية » . واشغل بازرغان منصب نائب وزير التعليم في حكومة مصدق . وفي عام ١٩٦١ ايد بازرغان الخميني ضد الشاه ، وشكل بالتعاون مع آية الله محمد طالقاني « حركة الحرية » . وكانت تلك أهم علاقة بين المؤسسة الدينية وبين الجبهة الوطنية ، ولم تضعف هذه العلاقة طيلة تلك السنوات .

لقد تركز الصراع بين الشاه وخصومه حول خطة الاصلاح الزراعي . ومنذ بداية الستينات ، لاحظ الشاه ان بوادر عدم الاستقرار كانت ترافقها مطالب في المشاركة السياسية . ولكي يوجه الشاه هذه الضغوط نحو نشاطات حيوية ، عزل الشاه في مطلع عام ١٩٦٢ ، الجنرال تيمور بختيار ، ابن عم شهبور بختيار ، الذي اقام السفاك وترأسه . وعين مكانه الجنرال حسن فكروان ، وهو نموذج لرجل عسكري انساني ومثقف . وفي عام ١٩٦٣ اعلن الشاه « الثورة البيضاء » التي كانت تهدف الى توفير التقدم للدولة بطريقة مدروسة وبدون ثورة . وادت خطط الاصلاح الزراعي ، التي كان الشاه يشرف عليها شخصيا ، الى تحسن سريع في اوضاع كثير من المواطنين . لكنها في نفس الوقت الحقت الضرر بمواطنين آخرين .

فقد اضعفت هذه الخطط ، على سبيل المثال ، قوة رجال الدين الذين كانوا يسيطرون بفضل « الوقف » على قرى كثيرة في جميع انحاء الدولة . ومقابل ذلك ،

نمت طبقة اجتماعية راقية جديدة كانت تتألف جميعها من المساونين مع الشـاه . وفتحت امام الطلبة امكانيات كثيرة للتعليم العالي ، حتى ان النظام اعد خلال السنوات التي مرت اعدادا من الطلبة تفوق احتياجات الدولـــة .

على الرغم من كل ذلك ، بدت السنوات الاولى للثورة البيضاء ناجحة . وفي اعقاب قمع الاضطرابات التي وقعت في عام ١٩٦٣ ، شكلت في ايران حكومة شابة برئاسة حسن علي منصور . وخلقت الحكومة الجديدة الآمال لدى الجيل الشاب . وفي ضوء رغبة الشاه في تخفيف حدة التوتر مع موسكو ، خلق توازنا جديدا في العلاقات بين الكتلتين . وفي اطار هذه السياسة المعتدلة ، وقع في عام ١٩٦٦ مع الاتحاد السوفياتي على اتفاقية لانشاء مصنع الحديد والصلب في اصفهان .

ان محاولة الاغتيال التي تعرض لها الملك في آذار ١٩٦٥ لم تزعزع الاستقـــرار الداخلي ، وبدا البرلمان قويا بما فيه الكفاية ليمنح الشاه لقب « اريمهير » . لكنه في ربيع ١٩٦٦ قرر الشاه ان مكانته الشخصية قوية لدرجة انه يستطيع العودة الى اسلوب حكم اكثر صلاحية . وعين أمير عباس هويدا رئيسا للحكومة ، بينما عين قائد الشرطة الجنرال نعمة الله نصيري رئيسا للسفاك بدلا من الجنرال حسن فكروان الذي عين سفيرا في باكستان .

لقد جددت هذه التغيرات الغليان في اوساط المؤسسة الدينية . ففي عـــام ١٩٦٧ ، حاول رئيس السافاك السابق ، الجنرال تيمور بختيار ، الاتصال سرا مع الخميني بمساعدة السلطات العراقية ، لكن عملاء الشاه اكتشفوا الامر وقتلوه في لبنان في عام ١٩٧٠ .

لقد ساهمت فترة رئاسة هويدا للحكومة طيلة ١٤ سنة ، في خلق الاستقـــرار النسبي في الدولة وبلغت نسبة النمو الاقتصادي بمعدل ٩٪ — ١٠٪ في السنة . وزاد الدخل الفردي السنوي ، من ٣٠٠ دولار في عام ١٩٦٥ الى ٢٢٠٠ دولار في عام ١٩٧٧ . وزاد عدد الطلبة في مختلف المدارس من ٢٧٠ الفا في عام ١٩٦٠ الى ١٠ ملايين في عام ١٩٧٨ . وزاد التقدم الاقتصادي بشكل ملموس في اعقاب ارتفاع اسعار النفط في ١٩٧٢ . وادت واردات النفط الضخمة الى ثراء سريع لاوساط واسعة في الدولة ، وعمقت الفجوة الاجتماعية بين الاغنياء الجدد وبين اولئك الذين بقوا على فقرهم . وزاد الاستهلاك المحلي ، في الفترة من ١٩٧٢ — ١٩٧٧ ، اربعة اضعاف . وطرا ارتفاع كبير على عدد اصحاب السيارات ، وزادت الخدمـــات الاجتماعية والرفاهية بشكل ملموس . وادى الازدهار الاقتصادي في عام ١٩٧٤ ، الى تأخير ثمانية شهور في تفريغ البضائع المستوردة ، وبرزت الضرورة في الاستيراد عن طريق الجو وادت الفجوة في ميزان المدفوعات الى تقليص حجم احتياطي العملـــة الصعبة وزادت من الضائقة . وطرا تأخير كبير في تنفيذ المشاريع الصناعية . ونتيجة

لذلك ارتفعت نفقات الاسكان بشكل لم يسبق له مثيل . وبارتفاع نسبة التضخم المستمر انخفض راتب العامل باستمرار . ولم يدرك الشاه . انه مقابل الازدهار الاقتصادي يجب ان تكون هناك حريات سياسية . ولم تحل المشكلة اقامة حزب « رستاجز » وزادت النشاطات السرية ، التي بدأت في ربيع عام ١٩٧١ ، على أيدي مخربين ايرانيين تدربوا في معسكرات الفلسطينيين في لبـــنان . وقتل رئيس المحاكم العسكرية في طهران الجنرال فاريسان ؛ وزادت اعمال القمع على ايدي السلطات خطورة . وبدأ الشاه يظهر تدريجيا كحاكم دكتاتور اكثر منه كملك . وفي مطلع عام ١٩٧٦ حاول الشاه تلطيف حدة العداء لنظامه بواسطة محاولته القضاء على الفساد وحل مشكلة السكن . وبنيت المساكن الرخيصة لافراد الشرطة والمعلمين والصحفيين وعمال المشاريع الحكومية . ومنح موظفو الحكومة قروضا بشروط سهلة لرفع مستوى حياتهم لكن هذه الاجراءات كانت قليلة جدا وجاءت متأخرة للغاية .

ان الذي زاد الامور تعقيدا هو اسلوب الحكم الشخصي للشاه ، الذي كان مبنيا على مبدأ « فرق تسد » فبالاضافة للحكومة ، عمل الشاه بواسطة وزير البلاط على تنفيذ اشياء كثيرة خارج النطاق الحكومي . فقد كان الجيش وخدمات الامن وشركة النفط الوطنية مراكز قوى منفردة خاضعة مباشرة للشاه ، وليس لوزراء الحكومة . لذلك كانت هنالك اعمال تعلم الحكومة بها بعد تنفيذها فقط .

في صيف عام ١٩٧٧ ؛ كان واضحا ان التوتر الداخلي بلغ مرحلة خطيرة . وعلى الرغم من ذلك واصل الشاه تحديه لرجال الدين . ولم يلاحظ الشاه التعاون القائم بين المؤسسات الدينية والاوساط الحرة والمثقفة ، واعتقد ان كل مشاكله تنبع من « ثورة المثقفين » ومن خلال هذا الاعتقاد الخاطيء ، اتخذ الشاه عدة خطوات كانت تتعارض تماما مع روح الاسلام .

فعلى سبيل المثال ، طرحت حكومة هويدا في ربيع عام ١٩٧٦ امام المجلس قانونا يبيح الاجهاض . كما قلصت المعونات المالية للمدارس الدينية . واستبدل التقويم الاسلامي الهجري بتاريخ فارسي ؛ يبدأ من بداية استلام الملك كورش الملك قبل اكثر من ٢٥٠٠ عام . وادى ذلك الى تعميق العداء ضده . ودعا رجال الدين في خطبهم في المساجد يوم الجمعة الشعب والمؤمنين ان لا يعبدوا الهين ، الله في السماء والشاه على الارض في قصره .

بعد ان فقد الشاه بالتدريج تأييد رجال الدين والفلاحين والمثقفين والطلبة ، وجد نفسه في صيف عام ١٩٧٧ يرتكز على حراب الجيش وعلى طبقة دقيقة من موظفي الدولة الكبار . ودعا ثلاثة من زعماء الجبهة الوطنية ، هم : كريم سنجابي ، وشهبور بختيار ، ودريوش فوروخار ، الشاه الى احترام الدستور والتصرف بديمقراطية في الحكم . وفي ضوء حملة الانتقادات المتزايدة ، حل الشاه في ٥ آب ١٩٧٧ حكومة هويدا ، وكلف

جامشيد اموزجار ، رجل الاقتصاد والنفط ، بتشكيل حكومة جديدة . ولكي يهادن الاحرار والمثقفين ، عين اموزجار ، ورويوش هومايون ، وهو صحفي معروف سبق ان سجن عدة مرات بسبب آرائه المستقلة ، وزيرا للاعلام والسياحة . ومنح هومايون حرية كاملة للصحافة ، وأعرب عن أمله خلال أحاديث مع الطلبة في أن يسمح بالحريات السياسية تدريجيا . لكن اموزجار استمر في سياسة تحدي المؤسسات الدينية ، والغى رئيس الحكومة الجديد الصندوق الذي أسسه سلفه ، والذي كان يقدم المساعدات المالية للمدارس الدينية والمساجد .

بدأ الغليان الديني الآن يأخذ طابعا معاديا للبهائية . فقبل عزل عباس هويدا ، اشترى هودجابر يزداني ، وهو بهائي ثري والصديق الشخصي لرئيس الحكومة السابق ، السلطة على بنك التصدير الذي كان الجهاز الرئيسي للنشاطات المالية لتجار البازار . وكان بنك التصدير ثاني اكبر بنك في الدولة ، لكن عدد موظفيه وفروعه كان اكثر من تلك التابعة لبنك ايران الوطني . وبواسطة هذا البنك صدر التجار السجاجيد والجلود والصوف الى دول مختلفة في العالم . وفي اعقاب الدعاية التي روجها رجال الدين بأن البهائيين يسيطرون على الدولة ، حضر زبائن البنك يحملون بطاقات التوفير وسحبوا ودائعهم من البنك . ويعتبر البهائيون انجاسا بنظر الشيعيين ، لذلك رفض المودعون حتى لمس أوراق النقد التي سلمها لهم موظفو البنك من البهائيين ، بل وضعوها في اكياس نايلون .

في بداية عام ١٩٧٨ اتحد المثقفون والمتدينون وابناء الطبقة الوسطى والتجار وأصحاب الاراضي في صراعهم ضد الشاه . وحاولت السلطة تفريق المؤسسة الدينية عن طريق نشر مقال يهاجم الخميني بشدة . وقد كتب المقال في قصر الملك من قبل رئيس مكتب هويدا ، وجاء فيه ان الخميني ليس ايرانيا ، بل هنديا ، ويعمل في خدمة عناصر اجنبية . ولم يكن المقال موقعا باسم أحد ، لذا اعتقد الكثيرون بأن كاتبه وزير الاعلام دريوش هومايون . ورفضت الصحف في البداية نشر المقال ، ولكن بعد اقتحام رجال السفاك لمكاتب تحرير صحيفة اطلاعات رضخ محررها للضغوط ، ونشر المقال في العدد الصادر يوم ١٣ كانون ثاني ١٩٧٨ . وبعد العاصفة التي اثارها المقال ، تذمر وزير الاعلام امام رئيس الحكومة ، لكن رئيس الحكومة امر من قبل الشاه بعدم التدخل . وردا على المقال ، وزع آية الله شريعة مداري منشورا ضد الشاه ووزع المنشور في المساجد واماكن مختلفة في الدولة . وفي اعقاب ذلك اقتحم الجنود منزل شريعة مداري ، وخلال تبادل اطلاق النار قتل ابن الزعيم الديني العجوز وكان ذلك الشعلة التي أشعلت الثورة . وخمدت تلك النار فقط ، بعد القضاء على عرش الشاه بعد تلك الحادثة بسنة كاملة .

ايران تقطع علاقاتها

مـــع اسرائيل

في الأيام الاولى من شهر شباط ١٩٧٩ بلغت الازمة الداخلية في ايران ذروتها . فعلى الرغم من مغادرة الشاه ايران ، في ١٦ كانون ثاني ، بدا واضحا ان حكومة شهبور بختيار لم تعد تسيطر على الوضع . ودعا الخميني رجاله وهو في منفاه في باريس الى القيام ضد بختيار والقضاء على حكومته . وقال ان مجرد قبول بختيار تكليف الشاه بتشكيل حكومة ، يجعل حكومته غير دستورية . لذلك شكل الخميني مجلس ثورة اسلاميا ، ليتولى السلطة ، وعين أحد رجاله مهدي بازرغان لتشكيل حكومة جديدة في طهران . وأعلن الخميني عزمه على العودة الى طهران في غضون بضعة أيـــام .

لقد برزت في تلك الظروف اهمية موقف الجيش ، فقد اجتمع الشاه قبل مغادرته ايران مع قادة الجيش وحثهم على دعم حكومة بختيار . ومن أجل الحيلولة دون عودة الشاه الى ايران ، أغلق الجيش في ١٥ كانون ثاني المطارات في الدولة ، واحتل ابراج المراقبة ، وأمر بتوقيف رحلات شركة الطيران الايرانية ، ووضع الدبابات على المدرجات لمنع امكانية الاقلاع أو الهبوط . وردا على ذلك صرح الخميني بأنه لا يزال يؤمن بأن الجيش لن يقف في طريقه ويمنعه من العودة الى ايران ، لكنه اذا حاول الجيش منعه من العودة فلن يتراجع حتى لو ادى ذلك الى مجابهته ، ومعنى ذلك تدمير الجيش والدولة معا . ولكي يؤكد لشهبور بختيار من الذي يمسك بزمام الامور في الدولة ، طلب الخميني من الموالين له بالخروج الى الشوارع لاحياء ذكرى مئات القتلى من المواطنين ، الذين قتلوا خلال الاصطدامات بينهم وبين قوات الشرطة والجيش . واستجاب لدعوته حوالي مليوني شخص حيث خرجوا وتجمهروا في وسط طهران .

أدى هذا التطور الى الشك في قدرة الجيش على منع الخميني من العودة الى بلاده ، وقدم رئيس هيئة الاركان العامة ، الجنرال عباس كراباجي ، استقالته لرئيس الحكومة خشية تمزق الجيش لكن رئيس الحكومة حث رئيس الاركان على الاستمرار في منصبه وذلك بحضور السفير الاميركي وليام سوليفان واشترط رئيس الاركان سحب استقالته بالسماح للخميني بالعودة الى البلاد وهنا تقرر مصير حكومة بختيار .

في الاول من شباط ۱۹۷۹ وصل الخميني بالفعل الى طهران على متن طائرة خاصة تابعة لشركة الطيران الفرنسية «ايـــرفرانس» ، واستقبل من قبل آلاف المواطنين ، الذين اصطفوا على جوانب الطريق المؤدية الى المطار . وكان حماس الجماهير بالغا ، لدرجة ارغمت الجيش على تولي حماية الزعيم العجوز ، ونقله على متن طائرة هيلوكبتر تابعة لسلاح الجو الايراني .

في التاسع من شباط اتصل بختيار هاتفيا مع واشنطن وطلب مساعدة اميركية مباشرة لانقاذ حكومته . لكنه حدث غداة اليوم التالي أمر كان الكل يخشى عواقبه . فقد أعلنت مجموعة من صغار الضباط في سلاح الجو الايراني ، في احدى القواعد العسكرية القريبة ، تمردهم على حكومة بختيار واعلنوا تأييدهم للخميني ، وارغموا وحدة آلية من الحرس الامبراطوري على الاستسلام ، ووجهوا دباباتها باتجاه مبنى رئاسة الاركان العامة ، حيث كان في المبنى في تلك الساعة وفد التدريب العسكري الاميركي . وطلب قائد سلاح الجو الايراني الجنرال حسين ربيعي ، الذي كان لا يزال على ولائه للشاه القيام بانقلاب عسكري والاستيلاء على السلطة من بختيار ، واتصل مستشار الرئيس الاميركي بجحنسكي هاتفيا بالسفير الاميركي في طهران سوليفان ، وسأله عن مدى احتمال نجاح انقلاب عسكري وكان جواب السفير سلبيا .

تراجع الجنرال ربيعي عن خطته لانقلاب عسكري ، واعلن الحياد في الصراع بين بختيار والخميني كما ان رئيس هيئة الاركان اعلن عن ولائه للثورة وتبعه قائد الحرس الامبراطوري ، وامر جنوده برفع اعلام بيضاء على قواعدهم . وتدفقت جماهير الشعب الى معسكرات الجيش والشرطة ، واستولت على الاسلحة الموجودة في تلك المعسكرات . وامتلأت الشوارع بالمدنيين المسلحين ولم يعد احد يعرف من يؤيد من . واستبدل راديو طهران اسمه باسم « صوت الثورة » ودعا المواطنين الى الاستيلاء على محطة التلفزيون والمؤسسات الحكومية الاخرى . وفر شهبور بختيار من طهران واختفى ، وبمساعدة اصدقائه غادر البلاد ، وبعد بضعة أسابيع حصل على ملجأ في فرنســـا .

في تلك الاجواء الثورية ، هوجمت وسلبت مباني السفارة الاسرائيلية في شارع القصر في طهران ، وكانت السفارة الاسرائيلية محروسة قبل عودة الخميني الى طهران حراسة عسكرية ، بينما وضعت الدبابات على دوار الى الشمال من السفارة ، وكان

السفير الاسرائيلي يوسف هرملين وطاقم سفارته قد غادروا مبنى السفارة ، قبل ذلك بأيام ، والتزموا بيوتهم ، وقد ارسلت جميع الوثائق الهامة الى «اسرائيل» واحرقت . ولم تقع اية وثيقة ذات قيمة بأيدي السلطات الايرانية . بعد ذلك ابعدت الحراسة العسكرية عن المبنى ، وهاجمت جماهير الشعب الايراني مبنى السفارة ، وتسلق بعض المتظاهرين الى سطح المبنى وحطموا الهوائيات المرفوعة ومزقوا العلم الاسرائيلي ، وقاموا بقذف وحرق محتويات المبنى وهم يهتفون الموت «لاسرائيل» . ورفع العلم الفلسطيني فوق المبنى . وكانت الجماهير الملتهبة تهتف يحيا عرفات والموت للصهاينة . وبعد ايام «ادعت» منظمة التحرير انها عثرت على جوازات سفر اسرائيلية فارغة بقيت في مبنى السفارة .

كان مبنى السفارة الاسرائيلية في طهران بناء قديما . والدخول الى السفارة كان يمر عبر طريق ضيقة . وكان يسمح لاي زائر بالدخول بعد فحص هويته من قبل رجال «الامن» الاسرائيليين الذين كانوا يجلسون خلف باب فولاذي ثقيل وشباك لا يخترقه الرصاص ، حيث يسلك ممرا طويلا مظلما يقوده الى مختلف الغرف . وكانت مكاتب الادارة توجد في الطابق الارضي ، بينما كانت مكاتب السفير والسكرتارية والاتصال اللاسلكي مع «اسرائيل» توجد في الطابق الثاني ، وكانت الملحقية التجارية تحتل الطابق العلوي ، كانت غرفة السفير واسعة ، ولكن لاسباب «امنية» اغلقت جميع النوافذ المطلة على الشوارع . وكان الشيء الوحيد الجميل في الغرفة سجادة فخمة من انتاج اصفهان ، قيل انها ابتيعت في حينه من قبل المفتي القدسي سابقا الحاج امين الحسيني لكي يقدمها هدية الى هتلر . وقد ارسلت في نهاية الحرب العالمية الثانية الى اسطنبول تمهيدا لنقلها الى برلين . لكن السجادة بقيت في اسطنبول نتيجة للحصار الذي فرضه الحلفاء على المانيا وايطاليا . وفي نهاية الحرب اكتشف تاجر يهودي الامر وقام بشراء السجادة وأعادها الى طهران . ولدى افتتاح السفارة الاسرائيلية في طهران قدمت لها كهدية . وأصبحت السجادة الآن تزين مكتب هاني الحسن المعروف باسم خليل الوزير ، وهو ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في طهران .

في اللحظات التي هوجمت فيها السفارة الاسرائيلية في طهران ، كانت جماهير الشعب تهاجم السفارة الاميركية وتهتف منددة بكارتر ، وحاول المتظاهرون الدخول الى مبنى السفارة غير انهم صدوا على ايدي حرس السفارة من الايرانيين . واعلن الجيش منع التجول في طهران حتى لا تحدث مذابح في المدينة . غير ان المظاهرات المعادية لاميركا و«اسرائيل» استمرت . وكان واضحا للجماهير انه كانت هنالك علاقة قائمة بين اميركا و«اسرائيل» والشاه .

في تلك الايام ، كان يسود واشنطن نشاط كبير لتقدير ابعاد التطورات الايرانية على الاستقرار العام في منطقة الخليج العربي . وكان المستشار لشؤون الامن القومي بجنسكي ، يتصل هاتفيا مع الرئيس كارتر في كامب ديفيد يطلعه على التطورات

الخطيرة في طهران ، واعدت اللجنة الوزارية خطة لاخلاء الاميركيين من طهران . وارسلت الى طهران ٦ طائرات هيلوكبتر مع ٦٩ جنديا من جنود مشاة البحرية الاميركيين . لتعزيز حرس السفارة الاميركية البالغ عددهم ١٩ جنديا من مشاة البحرية الاميركية . وتم اتلاف وثائق مهمة ، واتخذت اجراءات «امن» لحماية شيفرة السفارة. وتم تقليص طاقم السفارة واخلي الاولاد والنساء الى الولايات المتحدة .

لقد كان انهيار حكومة بختيار اول اشارة عملية لقطع العلاقات الرسمية بين «اسرائيل» وايران التي كونت على ايدي دافيد بن غوريون قبل ٢٢ سنة . في غداة تعيين مهدي بازرغان رئيسا لاول حكومة في الجمهورية الاسلامية حاولت «اسرائيل» دراسة ما اذا كانت تصريحات نظام الحكم الجديد متطابقة مع نواياه . لكنه في اعقاب تصرفات النظام الفورية ، لم يبق لدى «اسرائيل» أي شك حول نظرة النظام الخميني الجديد «لدولة اسرائيل » .

طلب السفير الاسرائيلي من سلطات الجيش الايراني ، ومن ضمنهم قائد سلاح الجو الجنرال امير حسين ربيعي ، ما اذا كان بالامكان الحصول على طائرة نقل عسكرية من اجل اخلاء الاسرائيليين الـ ٣٣ الذين لا يزالون في ايران ، وردوا بالرفض . وقالوا : انه اذا كان بامكانكم الحصول على طائرة نرجو حملنا معكم . ولم تمض أيام كثيرة حتى نفذ الاعدام في معظم قادة الجيش الايراني ، ومن ضمنهم قائد سلاح الجو بتهمة ولائهم للشاه .

في تلك الاجواء الثورية ، اوقفت شركة الطيران الاسرائيلية العال رحلاتها الى طهران وفي يوم السبت العاشر من شباط اقلعت طائرة جامبو اسرائيلية في رحلتها الاخيرة من طهران واقلعت الطائرة الاسرائيلية من مطار مهرباد في الساعة الرابعة من بعد الظهر . وبعد مضي ربع ساعة هوجمت السفارة الاسرائيلية في طهران ، وتمكن موظفو الشركة الستة ومديرها داني سعدون من ايجاد ملجأ مؤقت في احد المنازل القريبة ، حيث امضوا فيه تلك الليلة . في الخامس من تشرين ثاني ١٩٧٨ اصبح وضع «اسرائيل» في ايران خطيرا جدا . فقد اعلن الخميني من مكان منفاه في فرنسا ، انه اذا اطيح بنظام الشاه وشكلت حكومة مدنية جديدة تنال ثقته ، فانه سيقطع علاقات ايران مع «اسرائيل» فورا ويوقف تزويدها بالنفط .

ودعا الخميني الموالين الى عدم عرقلة رحيل الاسرائيليين عن ايران ، ودعا الى عدم الاساءة الى المواطنين اليهود في ايران . ولكي تفوت «اسرائيل» الفرصة على رجال الدين وتوفر لهم الاسباب للتحريض ضدها ، قررت عدم الاعلان عن طابع وجوهر العلاقات بين «اسرائيل» وايران .

في ٢٤ كانون اول ، هوجمت مكاتب شركة العال مرة ثانية في طهران . وهتفت جماهير المتظاهرين «الموت لاسرائيل» ، بعد الشاه سيأتي دور «اسرائيل» النصر للفلسطينيين .

لقد نفذ الهجوم على مكاتب شركة الطيران الاسرائيلية بتعليمات من الفلسطينيين الذين كانوا يجوبون شوارع طهران . وتم اخلاء مكاتب العال بصورة منظمة ومدروسة دون الحاق اي خسائر في الارواح . وعلى الرغم من ذلك وبناء على تعليمات من القدس ، واصلت شركة العال رحلاتها العادية الى طهران . ويقول ارييه بكنشتاين . مدير فرع الطيران القومي الاسرائيلي في طهران ، « منذ بدء الاضطرابات في ايران ، توقفت عن العمل كشركة عادية ، واعتبرنا عملنا «كمهمة» صهيونية ويهودية من الدرجة الاولى . وكان هدفنا الرئيسي اخلاء الاسر الاسرائيلية بالتدريج ، ومساعدة اكبر عدد ممكن من اليهود . وكانت الرحلات تلك بمثابة عقار مهدىء بالنسبة للاقلية اليهودية في ايران . وتلقى عدد كبير من اليهود منشورات كتب فيها : « ايها اليهودي القذر ، لقد مصصت دمنا طيلة سنوات كثيرة ، والآن سنقطعك اربا اربا » .

بعد ان منع الخميني وكلاء السفر من توزيع تذاكر سفر تابعة لشركة الطيران الاسرائيلية العال ، اضطر موظفو الشركة الى القيام بهذا العمل بأنفسهم ، وكان كلما زادت خطورة الوضع «الامني» كلما زادت صعوبة تسيير الرحلات وكانت الطائرات تهبط في مطار مهرباد بدون برج مراقبة او توجيه من الارض ، بل بمساعدة النظر وبسبب الاضراب من قبل عمال المطار ، كان موظفو العال يقومون بالخدمات الارضية بأنفسهم .

لقد ظلت «اسرائيل» قلقة عدة ايام بالنسبة لمصير ٣٣ اسرائيليا ، ظلوا على راس عملهم في طهران حتى اللحظة الاخيرة تماما ، وكان من بين اولئك السفير هارملين وعدد من الدبلوماسيين ومبعوثي «الوكالة اليهودية» وموظفو العال وعدد من رجال «الامن» وكان السير في الشوارع لا يخلو من المخاطرة بالنفس ، ولكي يخفوا هويتهم ، كان الاسرائيليون يسافرون ويتنقلون داخل طهران بسيارة اجرة تحمل صور الخميني.

ويقول مردخاي بن بورات ، وهو عضو كنيست سابق واحد عناصر الهاجاناه ، في العراق ، وكان يعمل بن بورات في مهمة من قبل الوكالة اليهودية «لانقاذ» يهود ايران ، وكان قد توجه الى طهران في الرابع منشباط ، ان آخر ايامه في طهران كانت من أصعب أيام حياته . فقد عاش الاسرائيليون طيلة اسبوع كامل في خوف وخطر كبيرين . وكان الخوف ينبع من ان رجال الخميني كانوا يحملون الاسلحة ، ويستخدمونها بدون انذار . وكان الايرانيون يعرفون بوجود عدد من الاسرائيلين في طهران ، وكانوا يعرفون مكان اقامتهم ايضا . ولاسباب «امنية» ، كان الاسرائيليون يقطنون بشكل مجموعات وحريصون على اطفاء الانوار في الليل ، وكانوا يتجنبون الظهور علانية برفقة اليهود الايرانيين ، حتى لا يجلبوا لهم المتاعب .

من أجل انقاذ الاسرائيليين الثلاثة والثلاثين من طهران ، اقيم في «اسرائيل» طاقم خاص برئاسة مدير عام وزارة الخارجية آنذاك ، يوسف تشخنوفر ، وركز اتصالاته مع الولايات المتحدة وعناصر اخرى .

وايفاء بوعده الذي قطعه في بداية كانون ثاني ، أمر الخميني بعدم عرقلة رحيل الدبلوماسيين الاسرائيليين من ايران . وبناء على تنسيق بين حكومتي الولايات المتحدة وايران ، تم الاتفاق على ترحيل الاسرائيليين من طهران بواسطة طائرة اميركية ، وبرحلة جوية لشركة الطيران الاميركية «بان اميركان» الى فرانكفورت .

في يوم الجمعة ١٦ شباط ، استكملت الاستعدادات لعملية الاخلاء ، وامرت كل مجموعة من الاسرائيليين بالقدوم الى فندق هيلتون في شمال المدينة ، وخرج كل اسرائيلي بحقيبة واحدة فقط ، وترك خلفه «ممتلكاته» . واستقبلهم في مدخل الفندق رجال حرس الثورة . ودقق هؤلاء هويات الاسرائيليين لكي يتأكدوا من عدم وجود ايرانيين بينهم ، من اولئك الممنوع مغادرتهم . ثم احضرت المجموعة الاسرائيلية الى المطار برفقة جنود الخميني ، وحاول احد موظفي العال الدخول الى مكاتب الشركة في المطار لاخراج وثائق واشياء اخرى ، لكن طلبه رفض ، واتضح فيما بعد ان شركة العال تركت في طهران حوالي ٨٠٠ الف دولار . وبعد تفتيش آخر دقيق في المطار اقلعت المجموعة الاسرائيلية الى فرانكفورت . وبعد مضي ساعات فقط ، وصلت المجموعة الاسرائيلية على متن طائرة تابعة لشركة العال الاسرائيلية الى مطار بن غوريون في اللد . وبهذا «انتهت» قصة «اسرائيل» في ايران .

في اللحظة التي كان فيها الاسرائيليون على متن طائرة في طريقهم الى فرانكفورت، هبط في مطار طهران ياسر عرفات ، زعيم منظمة التحرير الفلسطينية . لقد وصل ياسر عرفات على راس مجموعة تتألف من ٦٠ « مخرباً » ، في طائرة خاصة وضعتها السلطات السورية تحت تصرفه . وكان اول زعيم يصل طهران لتهنئة الخميني بانتصاره . لقد كشفت زيارة عرفات لطهران مدى العلاقات التي تكونت بين الفلسطينيين ورجال الخميني في ايران . وسبق أن ترددت اشاعات حول وجود علاقة بين منظمة التحرير الفلسطينية وبين المعارضة الايرانية ، غير ان الولايات المتحدة و«اسرائيل» وايران لم تقدر بما فيه الكفاية هذا التعاون ، ففي عملية الليطاني في آذار ١٩٧٨ ألقي القبض على اسير ايراني في جنوب لبنان ، وكان ذلك برهانا قاطعا على ان الفلسطينيين يساعدون بالفعل الحركة السرية في ايران . كما ان السفاك تلقى معلومات من مصادره الخاصة بشأن تدريب طلاب ايرانيين في معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية ، في عدد من الدول العربية . كما كشفت دلائل بشأن تدفق اموال ليبية للمعارضة في ايران. لكنه لم يكن هنالك تقدير حقيقي لتعاون كافة هذه العناصر وفي ٢٢ تشرين ثاني ١٩٧٨ وصل فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية الى فرنسا

لمقابلة الخميني ، برفقة مبعوث ليبي خاص . وعرض الاثنان على الزعيم الشيعي المساعدة بالسلاح والمال . وفي غداة تلك المقابلة ، بدأت الاذاعة الليبية تبث من طرابلس تعليمات سرية ، باللغة الفارسية ، لمؤيدي الخميني في طهران ، وكما استقبلت معسكرات التدريب التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في لبنان وليبيا ، اعدادا كبيرة من المتطوعين والطلبة الايرانيين .

على كل حال ، لقد كشف قدوم ياسر عرفات الى طهران عمق التغلغل الفلسطيني في حركة الخميني .

لقد اجتمع عرفات مع الخميني فور وصوله الى طهران . وقال عرفات في حديث مع الصحفيين : « لقد شعرت وانا ادخل الاجواء الايرانية وكأنني انوي زيارة القدس ». اليوم انتصرت الثورة الايرانية وغدا سننتصر في فلسطين » .

وكشف عرفات في تلك المناسبة ان منظمة التحرير الفلسطينية دربت في معسكراتها عشرات الآلاف من الايرانيين وان المتطوعين الايرانيين تلقوا من منظمة التحرير عشرات الآلاف من بنادق الكلاشنكوف السوفياتية الصنع ، في المرحلة الاخيرة للثورة وكشف عن ان عناصر فلسطينية ساهمت في الثورة الايرانية واعرب عن امله في ان يشترك متطوعون ايرانيون في تحرير فلسطين . وايد الخميني اقوال عرفات هذه علانية . وقال الزعيم الشيعي العجوز للمراسلين ان الثورة الايرانية ستكافيء الثورة الفلسطينية على مساعدتها للاطاحة بعرش الشاه ، وان متطوعين ايرانيين سيساعدون في الصراع من أجل تحرير القدس والقضاء على الاحتلال الصهيوني .

في نفس تلك الليلة حصل عرفات على اول مكافأة من الخميني ، فقد اعلن مهدي بازرغان رئيس الحكومة الايرانية ، في بيان صدر في طهران في ٧ شباط قطع العلاقات الدبلوماسية بين «اسرائيل» وايران ووقف علاقات البريد والطيران بين الدولتين .

كما توقف تزويد «اسرائيل» بالنفط الايراني ، واغلقت مكاتب شركة العال بصورة رسمية ، وقدم مبنى السفارة الاسرائيلية في طهران كهدية الى منظمة التحرير الفلسطينية . واعلن بازرغان ان الاوامر صدرت للدبلوماسيين الايرانيين المقيمين في «اسرائيل» بالعودة الى ايران ، وان الدبلوماسيين الاسرائيليين في ايران قد غادروا الى «بلادهم» . واشار الى ان قطع العلاقات مع « دولة اسرائيل » وتأييد الثورة الفلسطينية هما من المبادىء الاساسية للثورة الايرانية .

لقد كان بيان بازرغان ، بشأن قطع العلاقات الدبلوماسية مع «اسرائيل» الاعتراف العلني الاول بوجود تلك العلاقات . فمنذ عام ١٩٥٧ كان يسود الاعتقاد بأن سويسرا

ترعى المصالح الايرانية في «اسرائيل» بينما ترعى كندا المصالح الاسرائيلية في ايران ، وكان عدد قليل فقط يعرف بأن للدولتين بعثات دبلوماسية الواحدة لدى الاخرى طيلة هذه السنوات .

في اللحظة التي اعلن فيها بازرغان بيانه كان السفير الايراني في «اسرائيل» الدكتور مرتضى مرتضى في طهران . لذلك تولت زوجته عملية اخلاء السفارة الايرانية في «اسرائيل» التي كانت تقع على شارع اروليزوروف رقم ٥٥ في رمات جان .

وكان مرتضى قد وصل الى «اسرائيل» في عام ١٩٧٦ ، لكنه عندما عين مير فندرسكي وزيرا للخارجية في حكومة بختيار ، عين الدكتور مرتضى مديرا عاما لوزارة الخارجية . وبعد الاطاحة بالشاه ، وضع الدكتور مرتضى في الاقامة الجبريـــة . لذلك فضلت زوجته عدم العودة الى طهران في تلك الظروف ، وتوجهت الى لندن وبعد وقت قصير ، اطلق سراح زوجها وسمح له بمغادرة ايران وتعيش الآن كل العائلة في كلفورنيا في غرب الولايات المتحدة .

في ١٨ شباط رفع عرفات العلم الفلسطيني على مبنى السفارة الاسرائيلية في طهران ، بحضور مهدي بازرغان رئيس الحكومة ، وكريم سنجابي وزير الخارجية ، والدكتور يازدي عضو مجلس الثورة الاسلامية ، واستبدل اسم الشارع الذي يقع فيه مبنى السفارة الاسرائيلية من شارع « كاخ » الى شارع فلسطين . وعين هاني الحسن المعروف باسم « خليل الوزيـــر » وهو من مؤسسة منظمة « فتح » اول ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية في طهران . وبعد ذلك ببضعة ايام ، التقت مجموعة من المثقفين اليهود مع هاني الحسن ، في مكتب رئيس الحكومة الايرانية وسلمته رسالة تضامن مع منظمة التحرير الفلسطينية ، «وتحفظا» من الصهيونية اصبح هاني الحسن ، مع مرور الايام من الشخصيات البارزة في طهران ، وأخذت الصحف المحلية تكتب يوميا عن لقاءاته مع الخميني ووزراء الحكومة الايرانية . وقالت صحيفة اطلاعات في عددها الصادر يوم ٧ ايار ١٩٧٩ ، ان هاني الحسن حصل من مؤسسة السفاك على الملفات الخاصة بالتعاون بين ايران و«اسرائيل» في مختلف المجالات . وخلال وقت قصير ، شكل هاني الحسن في مدن مختلفة وجامعات ومنظمات في ايران لجانا لتأييد «الثورة الفلسطينية» لا يمكن ادراك ظهور عرفات في طهران ، بدون الوقوف على الطابع المعقد لعلاقات الشاه مع «اسرائيل» ومع الدولة العربية الموالية للغرب . فقد اتخذت ايران بصفتها دولة اسلامية بصورة تقليدية موقفا سياسيا مواليا للعرب ، ولكنها « لم تنسف » علاقاتها مع «اسرائيل» ، وقدم الشاه مساعدة سخية للاجئين الفلسطينيين ، ومن ضمنها بناء بلدة خاصة لاستيعاب ٥٠٠٠ لاجيء بالقرب من عمان . كما كانت ايران تتبرع بصورة دائمة لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين التابعة للامم المتحدة .

في اعقاب حرب ١٩٦٧ ، وعندما كانت المنظمات الارهابية القوة العربية الوحيدة التي ظلت مستمرة في حربها ضد «اسرائيل» نالت المؤسسة الفلسطينية تأييدا كبيرا في العالم الاسلامي . كما حظيت منظمة التحرير آنذاك بتأييد وتضامن الاوساط الدينية والوطنية في ايران وبناء على هذا التضامن ، دعا وزير الخارجية الايراني ، اردشير زاهدي ممثلي منظمة التحرير اللفسطينية الى زيارة طهران . ولكنه ما عدا ذلك لم يكن الشاه على استعداد لتقديم التأييد لمنظمات الارهاب . وفي اكتوبر ١٩٦٩ ، اجتمع الشاه لاول مرة مع ياسر عرفات في المغرب . فقد اشترك الاثنان في مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط ، الذي عقد لبحث تطرق بعثة الطاقات لترميم المسجد الاقصى في القدس . وحمل الشاه انطباعا سيئا جدا من شخصية عرفات . فقد جاء زعيم منظمة التحرير للمقابلة متحفظا بمسدس ، وبدأ يتحدث لملك ايران عن «انتصارات» المخربين التي لم تكن تتلاءم مع الواقع ، وبعد المقابلة قال الشاه لمساعديه : « ان عرفات لا يختلف بشيء عن الشقيري » ، ورفض مقابلته مرة اخرى . وتوجه عرفات الى المعارضة الدينيـــة بزعامة الخميني ، واستغل ايضا المؤسسة الشيعية في العراق للضغط على الشاه كي يغير سياسته تجاه «اسرائيل» . كما ان الخلافات الداخلية التي كانت تسود المنظمات الفلسطينية فيما بينها ، زادت من نظرة الشاه السلبية تجاههم . واضاف ظهور المنظمات اليسارية بزعامة كل من جورج حبش ونايف حواتمه واحمد جبريل ، بين المنظمات الفلسطينية ، بعدا ايدولوجيا لتحفظات الشاه تجاهها .

في اعقاب استئناف العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وطهران ، حاول الرئيس السادات التوسط بين الشاه والمنظمات الفلسطينية ، وطلب ممثلو منظمة التحرير الفلسطينية السماح لهم بفتح مكتب سياسي في طهران ، لكن الشاه رفض ذلك قطعيا . وكرر عرفات طلبه هذا في ١٩٦٧ لكنه رفض ثانية . لهذا قرر عرفات تصعيد صراعه ضد الشاه . وكانت معسكرات منظمة التحرير الفلسطينية في سوريا ولبـــنان وليبيـــا والعـــراق قد فتحت في عام ١٩٧٠ امام المخربين الايرانيين ، الذين كانوا يريدون القضاء على النظام الملكي في ايران . واصبح الان عرفات شريكا فعليا لصراع المعارضـــة الدينية واليسارية التي تعمل ضد الشاه . وأخذ الناطقون الفلسطينيون يكررون اقوال التحريض التي تطلقها المعارضة ورجال الدين الشيعة بأن الشاه يهودي .

لقد استعان الفلسطينيون في صراعهم ضد الشاه ، بالتجمعات الفلسطينية الكبيرة في الكويت وامارات الخليج العربي . فقد كان الفلسطينيون المقيمون في الخليج العربي يتمتعون بوضع اقتصادي قوي ، والدوافع الوطنية لديهم قوية ، وذلك خلافـــا للفلسطينيين المقيمين في مخيمات اللاجئين في سوريا ولبـــنان . فقد كان الكثيرون منهم يمثلون مراكز كبيرة في حكومات الامارات الخليجية ، وبعضهم كان يخدم في الشرطة والجيش المحلي لهذه الامارات . فقد كان الجنرال مصباح البديري ، مثلا يخدم في الجيش الكويتي ، وانضم عدد كبير من الفلسطينيين الى المنظمات وقدموا لها الدعم المالـــي .

لقد كان ثلاثة من مساعدي الخميني في زعامة الحركة السرية الايرانية يشرفون على الاتصالات مع الطلبة الفلسطينيين في الولايات المتحدة . وهم مصطفى علي شمران وهو دكتور في الفيزياء من جامعة بركلي في كلفورنيا وصادق قطب زاده الذي درس في الولايات المتحدة العلاقات الدولية والدكتور ابراهيم يازدي وهو باحث في معهد العلوم الفضائية في تكساس .

وكان شمران قد غادر ايران في عام ١٩٥٧ ، وبعد اكمال دراسته في الولايات المتحدة جاء الى لبنان ، وتزوج هناك من فتاة فلسطينية ساهمت في تقريبه من منظمة التحرير الفلسطينية واهدافها . وتدرب شمران في معسكرات الفلسطينيين في جنوب لبنان ، ومن خلال عمله كمدير مدرسة ثانوية ، كان يتولى رعاية جميع الايرانيين الذين يأتون للتدريب في معسكرات منظمة التحرير في لبنان . وبعد عودة الخميني الى طهران ببضعة ايام ، عاد شمران الى بلاده ، وعين وزيرا للدفاع في حكومة بازرغان .

أما صادق قطب زاده ، فقد غادر ايران في عام ١٩٥٩ عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره . وامتاز زاده خلال وجوده في الولايات المتحدة للدراسة دائما بانشغاله بالامور السياسية . فقد شكل اتحاد الطلبة الايرانيين ، ووزع منشورات دعائية ، وكان ينظم مظاهرات معادية للشاه كلما جاء الشاه الى واشنطن . ونتيجة لنشاطاته تلك طرد زاده من الولايات المتحدة في عام ٩٧٠ وحصل على ملجأ سياسي في دمشق . وكانت العلاقات الايرانية ــ السورية في تلك الفترة مقطوعة ، لذلك حظي قطب زاده بتأييد كبير ودعم من قبل حزب البعث . وفي اعقاب حرب ١٩٧٣ ، اقام قطب زاده علاقة بين الحركة السرية الايرانية وبين حاكم ليبيا معمر القذافي . كما انتقل للسكن في بيروت ، وفي عام ١٩٧٦ غادر قطب زاده الى باريس ليعمل كمراسل لصحيفة الثورة السورية . وعن طريق مندوب منظمة التحرير في باريس محمد همشري ، اقام قطب زاده اتصالات مع الوسط اليساري في فرنسا ، وعندما اغتيل الهمشري بأيدي مجهولين ، حافظ قطب زاده على اتصالاته مع اليساريين في فرنسا بواسطة كلود همشري ارملة المندوب الفلسطيني الفرنسية . وفي ١٩٧٧ ، انضم زاده الى الخمينى في العراق ، وعندما طرد الخميني من العراق في اكتوبر ١٩٧٨ ، انتقل معه الى باريس ومن ثم عين مديرا لمحطة التلفزيون في النظام الثوري .

اما الدكتور ابراهيم يازدي فهو رجل اكثر اعتدالا . فعلى الرغم من اتصالاته الدائمة مع منظمات الطلبة الفلسطينيين في الولايات المتحدة ، لم يعرف عنه بأنه تلقى تدريبا تخريبيا ، او اجرى اي اتصال مع المنظمات الارهابية في الشرق الاوسط . لقد حاول زعماء «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» بزعامة جورج حبش اليسارية ، ونظرياتهما العلمانية ، كانت تتنافى تماما مع التعصب الديني لدى الخميني ، لذلك ابدى تجاههما تحفظا مطلقا . وفي المقابل اقام الخميني علاقة وثيقة مع ياسر عرفات وزعماء

الجناح المحافظ ، في زعامة منظمة التحرير الفلسطينية . واستعان بهم في المراحل الاخيرة من صراعه ضد الشاه .

على كل حال ، ما كان واضحا تماما هو انه خلال عام ١٩٧٦ ، وقعت بأيدي الشاه ادلة قاطعة على وجود علاقة وثيقة بين المنظمات الفلسطينية اليسارية ، بزعامة جورج حبش ، وبين الحركة السرية اليسارية في ايران . ففي تموز ١٩٧٦ ، عثر السفاك على رسالة من جورج حبش الى حميد اشرف قائد وحدة « المسلمين الماركسيين » في ايران . وكانت الرسالة تحمل تاريخ ٤ شباط ١٩٧٦ ، وكانت تبحث في التعاون بين المنظمتين . وفي ٨ آب ١٩٧٦ تليت رسالة من جورج حبش ، في اجتماع الطلبة الايرانيين في شيكاغو تضمنت تأييد الثورة الفلسطينية للثورة الايرانية .

لقد ادى نجاح الثورة الخمينية الى قطع كافة العلاقات بين «اسرائيل» وايران . فقد اوردت صحيفة اطلاعات الايرانية ، في عدديها ٢ــ٥ــ٧٩ ، ١٤ــ٥ــ٧٩ تفاصيل عن محاكمة اثنين من زعماء السفاك هما الجنرال منصور وجدي والجنرال رضى فروارش ، واتهم الاثنان باجراء اتصالات مستمرة مع خدمات التجسس الاميركية والبريطانية والالمانية الغربية و«اسرائيل» وجاء في لائحة الاتهام ضد الاثنين ، ان هذه الدول الاربع ساعدت ايران في تنظيم الجيش وخدمات الاستخبارات والتجسس . واعترف الاثنان بأنهما هما اللذان وضعا اسلوب تبادل المعلومات والتعاون ، مع عملاء الاستخبارات الاسرائيليين في ايران وخارجها . وهما اللذان اشتركا في جلسات مشتركة مع عملاء اسرائيليين ، بهدف تبادل الآراء حول الوضع في ايران والدول المحيطة بها . وحكم الجنرال وجدى الذي كان يعمل مسؤولا عن التجسس المضاد بالسجن ١٥ سنة، بينما حكم الجنرال فروارش بالسجن لمدة ١٢ سنة . وقالت الصحف الايرانية ان نطاق التعاون الاستخباري بين ايران و«اسرائيل» قد اتسع نطاقه ، مع مرور الايام ، وانه اشتمل نشاطات المنظمات الفلسطينية . وتحدث زعيما السفاك في محاكمتهما عن تبادل المعلومات مع «اسرائيل» فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية . ادعيا ان هذه المعلومات ادت الى كشف مواقع الفلسطينيين في لبنان وضربها من قبل «اسرائيل» وخلال محاكمة وجدي وفروارش ادلى الجنرال رحمة الله رزماري بشهادته ، وتحدث عن تبادل زيارات سرية بين ضباط من السفاك ، وبين رؤساء الموساد في «اسرائيل» وعملاء وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في الولايات المتحدة . حتى ان صادق قطب زاده ، وزير خارجية ايران ، كشف في حديث لصحيفة نيوزويك الاميركية في ٣٠ كانون اول ١٩٧٩ عن ان لدى حكومته ادلة تثبت ان الشاه ارسل عددا من ضباط الاستخبارات والامن الايرانيين ، للاشتراك في دورات سرية في «اسرائيل» وان تلك العلاقة قد توسعت واصبحت تعاونا مشتركا بين خدمات التجسس الاميركية والايرانية والاسرائيلية . كما اوردت صحيفة لاموند الفرنسية في عددها يوم ١٧ تموز ١٩٨٠ ان «اسرائيل» كانت تعقد في كل سنة عدة دورات يشترك فيها ضباط استخبارات

ايرانيون . كما ان الشاه اعترف في مقابلة مع حسنين هيكل ، في صحيفة المستقبل ، التي تصدر باللغة العربية في باريس في تشرين أول ١٩٧٥ ، انه حتى في عهد جمال عبدالناصر كان هنالك تعاون عسكري واستخباري بين «اسرائيل» وايران . وادعى الشاه بأن هذا التعاون جاء لان عبدالناصر اتبع سياسة معادية لايران . لذلك كان من الضروري التعامل معه على اساس ان « عدو عدوك صديقك » .

وكتب ادواردبين في كتابه « اربعة أساليب سياسية ــ ايطاليا ، الصومال ، ايران «واسرائيل» يقول ان «اسرائيل» وايران تقيمان بينهما علاقات عسكرية وثيقة يعتبر حجمها الكامل امرا سريا وانه بسبب البعد الجغرافي بين الدولتين ، تحصل ايران على مساعدة «اسرائيل» بطرق مختلفة . وكانت المساعدات العاجلة ترسل الى طهران على متن طائرات العال ، بينما المعدات الثقيلة تشحن على ظهر ناقلات النفط ، عندما كانت تعود من ميناء ايلات الى ايران وهي فارغة . واذا كانت تلك الاقوال صحيحة ، فقد كان هذا الاسلوب مريحا لكلا الطرفين . ولم تهبط الطائرات الايرانية في «اسرائيل» خوفا من المقاطعة الاقتصادية العربية . وكان معظم طواقم طائرات شركة الطيران الايرانية « ايران اير » من الاجانب . لذلك لم يكن ارسال شحنات عسكرية على متن هذه الطائرات «امينا» .

منذ بداية الستينات ، بدأت الصحف الاجنبية تتحدث عن وجود تعاون عسكري واستخباري بين «اسرائيل» وايران .

فقد اظهرت صورة الغلاف في مجلة الشرطة الايرانية ، جنود الحرس الامبراطوري وهم يحملون أسلحة اسرائيلية من نوع عوزي . وقالت صحيفة قبرصية ان طائرتين حربيتين ايرانيتين هبطتا ، في ١٥ آذار ١٩٦٦ في نيقوسيا ، وهما في طريقهما للتصليح في مصانع الصناعة الجوية الاسرائيلية . كما ذكرت واشنطن بوست الاميركية ، في عددها يوم ٧ آذار ١٩٦٩ ، ان ايران اشترت من «اسرائيل» مدافع مضادة للطائرات. كما تدرب في «اسرائيل» طيارون مظليون ايرانيون . وتحدثت صحيفة ديلي تلغراف اللندنية في عددها يوم ٢٤ آب ١٩٧٠ عن ان طيارين اسرائيليين دربوا سلاح الجو الايراني ، وان ضباطا ايرانيين شوهدوا يتجولون في شوارع تل ابيب . غير ان أكثر وصف للتعاون العسكري بين «اسرائيل» وايران ، ورد على لسان قائد سلاح الجو الايراني امير حسين ربيعي ، اثناء محاكمته في نيسان ١٩٧٩ . فقد قال ان الجنرال غولام رضى ازهري ، وقائد القوات البرية الجنرال علي عبيسي ، كانا من ابرز الضباط والقادة في الجيش الايراني الذين زاروا «اسرائيل» . كما اورد اسمي الجنرال حسن توفنبان ، نائب وزير الدفاع وحبيب الله قائد سلاح البحرية ، من بين الضباط الذين زاروا «اسرائيل» ايضا . وقال ربيعي انه هو نفسه زار «اسرائيل» مرتين ، احداهما عندما كان برتبة رائد والاخرى بحكم وظيفته كقائد لسلاح الجو . وقال ان معظم الضباط الايرانيين ، ممن هم برتبة رائد فما فوق ، زاروا «اسرائيل» . كما تحدث

الجنرال ربيعي في المحكمة عن مشتريات الاسلحة الايرانية من «اسرائيل» . وقال انه قبل اقامة الصناعة الجوية في ايران . اعتاد سلاح الجو الايراني ان يشتري من «اسرائيل» معدات الكترونية وأجهزة لاسلكية ورادارات وقطع غيار . لكن بعد انشاء الصناعة الجوية في ايران ، توقفت الاتصالات المباشرة بين سلاح الجو الايراني و«اسرائيل» ، واصبحت جميع المشتريات تتم عن طريق الصناعة الجوية الايرانية .

وتحدث الجنرال ربيعي عن زيارته الثانية «لاسرائيل» ، عندما كان قائدا لسلاح الجو الايراني ، فقال : لقد امرت بصفتي قائدا لسلاح الجو بالسفر الى «اسرائيل» لافحص هناك طائرة كفير ، وطائرة اخرى كانت في مراحل التطوير . وسافرت الى «اسرائيل» ومكثت هناك ليلة واحدة ثم عدت في اليوم الثاني الى ايران . واتضح لي ان طائرة كفير غير ملائمة لنا ، وكذلك الامر بالنسبة للطائرة الاخرى . كما ان الاجهزة الالكترونية التي ارادت «اسرائيل» بيعها لنا لم تكن تلبي احتياجات سلاح الجو الايراني ولو اننا اشترينا المعدات اللازمة من «اسرائيل» لكان الامر يتطلب منا ادخال تعديلات على طائراتنا ، وهذا سينجم عنه مشاكل في قطع الغيار » .

ولم تذكر الصحف الايرانية التي أوردت أقوال ربيعي هذه متى زار «اسرائيل» بالضبط . ولكن من خلال حديثه يمكننا الاعتقاد بأن زيارته جرت في عام ١٩٧٨ .
وروى الجنرال ربيعي امام القضاة في المحكمة ، ان قائد سلاح الجو الاسرائيلي انتقد امامه التسوية التي وقعها الشاه مع العراق بالنسبة لانهاء الثورة الكردية بقوله : « لقد ألحقت اتفاقيتكم مع العراق الضرر بنا ، لان القوات العراقية التي كانت ترابط على حدودكم ، باستطاعتها المرابطة على حدودنا الآن » . كما ادعى «الجنرال ربيعي» ان رئيس هيئة الاركان العامة في الجيش الاسرائيلي وقائد سلاح الجو الاسرائيلي ، كانا يكثران من زيارة ايران .

لقد عالجت السفارة الاسرائيلية في طهران ، قبل مغادرة الشاه ايران بعدة اسابيع ، موضوعين هامين هما : مصير ٨٠ الف يهودي في ايران ، والمصالح الاقتصادية «لدولة اسرائيل» .

وفي الظروف الخاصة التي سادت ايران في تلك الفترة ، نصحت الشركات الاسرائيلية بعدم اعطاء التزامات وتعهدات لمدة طويلة . كما صدرت تعليمات حكومية بنقل الاموال الى «اسرائيل» بالسرعة الممكنة . وبفضل هذه الجهود ، كانت خسائر الشركات الاسرائيلية قليلة نسبيا .

وكانت «اسرائيل» الدولة الوحيدة في العالم التي لم تخسر كثيرا من الامـــوال نتيجة لثورة الخميني في ايران . واصدر ابو الحسن بني صدر ، الذي تسلم فيما بعد رئاسة الدولة الايرانية بيانا في ٩ كانون اول ١٩٧٩ ادعى فيه ان «اسرائيل» مدينة

لبلاده بـــ ٥٠٠ مليون دولار ، مقابل النفط التي حصلت عليه قبل توقيف تزويدهـــا بالنفط في شهر شباط ١٩٧٩ . وجاء في البيان الذي وزعته وكالة الانباء الايرانيـــة الرسمية «بارس» ، ان الحكومة الايرانية تفكر بالتوجه الى عناصر دولية بهدف استرداد هذه الديون من «اسرائيل» .

لا شك انه كانت هنالك مبالغة كبيرة في تقدير حجم الديون الاسرائيلية لايران ، لانه نتيجة لتسلل الجهاز الحكومي في طهران ، مدة اسابيع طويلة لا يعتقد بأنه كان هنالك رقم دقيق لكميات النفط التي زودت بها «اسرائيل» . زد على ذلك انه في اعقاب قطع العلاقات الدبلوماسية وتوقف تزويد «اسرائيل» بالنفط ، خلافا لاتفاقيات موقعة مع ايران ، فقد لحقت «باسرائيل» خسائر مالية كبيرة . وذلك بعد ان اضطرت «اسرائيل» لشراء كميات من النفط من مصادر اخرى ، على وجه السرعة ، وبأسعار اعلى بكثير من تلك التي اتفق عليها مع ايران . فقد مرت فترات كانت ايران تزود «اسرائيل» بـــ ٩٠٪ من حاجتها النفطية ، لكن هذه النسبة انخفضت في السنتين الاخيرتين الى ٦٠٪ فقط ، لذلك اذا ما حدث واستؤنفت العلاقات بشأن تسوية المطالب المالية المتبادلة ، في اطار الاتفاقيات القائمة على الرغم من ان الخسارة المالية التي لحقت بالشركات الاسرائيلية في ايران كانت قليلة نسبيا ، فقد كانت الخسائر التجارية كبيرة على المدى البعيد . وقال خبراء اقتصاديون ان تلك كانت اقسى ضربة اقتصادية تلقتها «اسرائيل» في السنوات الاخيرة . فقد بلغت الصادرات الاسرائيلية لايران بما فيها الصادرات «الامنية» في عام ١٩٧٨ ، اكثر من ٢٢٥ مليون دولار اي بنسبة ٧٪ من مجموع الصادرات الاسرائيلية في نفس السنة .

فقد أصبحت «اسرائيل» الآن مرغمة على ايجاد اسواق جديدة لصناعاتها ، وهذا ليس بالامر السهل . فمنذ حرب ١٩٧٣ وارتفاع اسعار النفط في الاسواق العالمية ، زادت القوة الشرائية الايرانية باستمرار . لقد كانت ايران تصدر حوالي ٥ ملايين برميل من النفط يوميا ، بسعر ١٣ دولارا للبرميل الواحـــد . وخصصت قيمة الدخل اليومي البالغة ٦٥ مليون دولار لتوسيع الجيش وشراء الاسلحة ولزيادة استـــيراد المواد الاستهلاكية . وغصت ايران بعشرات الآلاف من مدراء الشركات ورجال الاعمال الدوليين ، في محاولة لتخليصها من ضعفها والسير بها لتلحق بصف الدول الصناعية المتطورة . وبناء على خطة خماسية . كان الشاه يطمح الى زيادة الانتاج القومي بنسبة ٢٢٪ سنويا ، وزيادة الدخل السنوي للفرد من ١٥٠٠ دولار في عام ١٩٧٨ الى ٤٥٠٠ دولار في عام ١٩٨٥ . وقال رئيس مكتب الديوان الملكي في مقابلة مع صحيفة لاموند الفرنسية ، ان الخطة تهدف الى رفع الانتاج السنوي في عام ١٩٨٥ ، الى ٢٠ مليون طن فولاذ ، ومليون طن المنيوم ، ومليون سيارة ، وثلاثة ملايين جهاز تلفزيوني. وستحتاج ايران لتنفيذ ذلك الى ٦٥ الف مهندس ، تستطيع هي بنفسها اعداد حوالي ٢١ الف مهندس منهم . بينما ستعوض النقص عن طريق شراء التكنولوجيا من الخـــارج .

لقد فتح هذا النقص في الطاقة البشرية المدربة في ايران امكانيات كثيرة امام الدول التي كانت معنية وقادرة على المساهمة في تطوير ايران . وكانت «اسرائيل» من بين تلك الدول ، اي انه بفضل قرب «اسرائيل» الجغرافي من ايران وتوفر الطاقة البشرية المدربة لديها، كانت «اسرائيل» تتمتع بمكانة مفضلة على بقية الدول الاخرى الصناعية، مثل الولايات المتحدة واوروبا الغربية واليابان .

لم تكن هنالك اية قيود على «اسرائيل» في المجال الاقتصادي ، وذلك خلافا للمجال السياسي الذي كان يتوقف على رغبة الشاه والقيود السياسية ، التي كانت تنبع من رغبة ايران في تحسين علاقاتها مع العالم العربي . وكان الشاه يقول في مناسبات كثيرة ان «اسرائيل» عضو في الامم المتحدة ، ولهذا تقيم ايران معها علاقات اقتصادية ، شأنها شأن اية دولة اخرى عضو في الامم المتحدة . ففي المجال الاقتصادي كانت الاعتبارات تتلق بنوع البضاعة واسعارها ومواعيد تزويدها . وبما ان الصناعات الاسرائيلية كانت قادرة على الصمود في هذه المنافسة ، فقد كانت الاسواق الايرانية مفتوحة امامها على مصراعيها . كما ان التوسع المستمر في التصدير مكّن «اسرائيل» من تقليص حجم العجز في ميزان المدفوعات ، الناجم عن كميات النفط الكبيرة التي اشترتها «اسرائيل» في عام ١٩٧٨ والتي بلغت قيمتها اكثر من ٧٠٠ مليون دولار . لقد كان توسيع نطاق الصادرات الاسرائيلية الى ايران أحد المهام الرئيسية للسفارة الاسرائيلية في ايران ، حيث بلغت قيمة الصادرات الاسرائيلية لايران ، في عام ٧٥ — ١٩٧٦ ، ٣٣ مليون دولار . وبعد ذلك بعام واحد بلغت الصادرات الاسرائيلية لايران ٦٣ مليون دولار . وبلغت الصادرات في عام ٧٥ — ١٩٧٦ ، ١٠٠ مليون دولار . وفي عام ٧٦ — ١٩٧٧ زادت على ١٩٥ مليونا بما في ذلك الصادرات «الامنية» .

لقد كانت احدى الخطط التي وضعها السفير الاسرائيلي في ايران ، هي استخدام ايران كقاعدة للتصدير الى دول اخرى ليس «لاسرائيل» علاقات دبلوماسية معها ، مثل الباكستان وافغانستان وامارات الخليج العربي . غير ان هذه الخطة لم تخرج الى حيز التنفيذ بسبب ثورة الخميني .

في تلك الفترة ايضا ، تم اعداد خطة لاقامة اتحاد يضم شركات بناء اسرائيلية لانشاء مصانع ومشاريع بناء واسعة في ايران . وهذه الخطة ايضا لم تخرج الى حيز التنفيذ . ونظرة الى الوراء تبين لنا ان «اسرائيل» لم تستنفذ جميع امكانياتها الاقتصادية في ايران . وكان احد الاسباب لذلك هو انه اي وزير اقتصاد اسرائيلي لم يزر ايران ، خلال الفترة التي كان فيها الازدهار الاقتصادي الايراني يفتح آفاقا جديدة امام «اسرائيل» . وكان ذلك خلافا لفترات سابقة حيث زار « ايران» عدد من وزراء الزراعة الاسرائيليين ، امثال ليفي اشكول وبنحاس سبير وموشه دايان . والتفسير لذلك هو ان حرب ١٩٧٣ اندلعت ، ثم جاءت المفاوضات حول اتفاقيات فصل القوات مع

مصر وسوريا ، التي استنفذت بقية قوة حكومة جولدا مئير . وعندما قامت حكومة اسحق رابين ، كانت مشغولة طيلة عام ١٩٧٤ في مفاوضات مع الولايات المتحدة ومصر ، بشأن الاتفاقية المرحلية التي وقعت في أيلول ٧٥ بينما حاولت حكومة مناحيم بيغن التي شكلت في صيف ١٩٧٧ ، تثبيت نفسها ومن ثم جاءت مبادرة الرئيس المصري انور السادات « السلمية » ، واشغلتها في هذا الموضوع . وعندما تفرغت «اسرائيل» للنشاطات الاقتصادية الدولية ، كانت النيران قد اشتعلت في شوارع طهران ، وبدأت عملية القضاء على عرش الشاه .

تجدر الاشارة الى انه خلال السنوات الخمس التي اشغل فيها لوفرني منصب سفير «اسرائيل» في ايران ، سجل اكبر عدد من الزيارات السياسية الاسرائيلية لطهران . ففي تلك الفترة اجتمع اسحق رابين مع الشاه (ثلاث مرات) ، ويجئال الون (مرتين) ، وشمعون بيرس (مرة واحدة) ، وموشه دايان (ثلاث مرات) ، ومناحيم بيغن (مرة واحدة) . . .

لقد كان النشاط الاقتصادي الاسرائيلي في ايران متنوعا ، وكان ابرز ما فيه في مجالات البناء والزراعة والتكنولوجيا والنقل . ففي عام ١٩٧٨ كانت تسكن في ايران اكثر من ٥٠٠ عائلة اسرائيلية ولولا الاطاحة بالشاه لكان هذا العدد قد تضاعف . وقد سكنت معظم العائلات الاسرائيلية في طهران ، وفي حي بهجت اباد في شمال طهران الذي خصص لسكن موظفي الحكومة الكبار . غير ان معظم هؤلاء اجروا بيوتهم لشركات كانت تستخدم خبراء اسرائيليين . وتحول الحي بالتدريج الى «جيتـــو» اسرائيلي . وفي كل صباح كان يذهب حوالي ٢٠٠ طالب اسرائيلي الى المدرسة العبرية ، التي كانت تحمل اسم « دافيد بن غوريون » كانت تشرف عليها وزارة الثقافة في «اسرائيل» .

ان تدخل الشركات الاسرائيلية في سوق البناء الايرانى ، مكنها من المحافظة على احتياطيها من الطاقة البشرية ، حيث كانت توجه طاقاتها الزائدة من القوة العاملة الى طهران ، عندما تحدث ازمة عمل في «اسرائيل» . وبمجرد السير في شوارع طهران ، كان يبرز التواجد الاسرائيلي في مجال اعمال الانشاء والتعمير . فقد اقامت شركة « سوليل بونيه » الاسرائيلية مباني متعددة الطوابق كما ان فندق انتركونتيننتال ، وهو احد الفنادق الاربعة الضخمة في طهران ، قد بني من قبل شركة «رسكو» الاسرائيلية وحظيت سوليل بونيه ، بالتعاون مع شركة راينولدس الاميركية ، ببناء الجناح الجديد في فندق هيلتون ، وبدأت في عملية بناء واسعة في مدينة اصفهان . كما بنيت احياء شعبية في شارع بهلوي من قبل شركات بناء اسرائيلية اخرى .

لقد فازت شركة رسكو ، في عام ١٩٦٨ ، بعقد لبناء مجمع دوائر بارتفاع ١٠٠ متر تابع لوزارة الاتصالات الايرانية . وكانت تكاليف العملية ٢٢ مليون دولار ، وكان

ربح الشركة ممتازا جدا . وبعد ذلك بوقت قصير . حصلت رسكو ، بالتعاون مع شركة محلية على اتفاقية لبناء فندق انتركونتيننتال . وقد صادر الشاه لهذا الغرض جزءا من مساحة حديقة «فرح» التي كانت تدعى باسم زوجته . وانهت رسكو العمل خلال ١٩ شهرا ، وأدت شــهرة الشركة الاسرائيلية بعد هذا العمل الى توقيع عقود بناء اخرى كثيرة في ايران .

في عام ١٩٧٢ ، دخلت رسكو في شراكة مع شركة محلية ومستثمر يهودي الماني، يدعى ايجنتس يوبس ، لبناء مدينتين في الخليج العربي بالقرب من مضايق هرمز ، بمبلغ حوالي ٣٠٠ مليون دولار ، وهما مدينة بندر عباس وبندر بوهشار ، مقابل جزيرة النفط «الخرج» . وقامت شركة هندسة اسرائيلية بوضع تصاميم مدينة بندر عباس ، بحيث تتسع لــ ٧٠٠ عائلة ، بينما خصصت مدينة بندر بو هشار ، الواقعة على مسافة حوالي ٤٠٠ كم الى الشمال من بندر عباس ، لاسكان ١٧ الف نسمة .

في اعقاب وضع التصاميم لهاتين المدينتين ، بدأ رجال الاعمال الاسرائيليــون بالوصول الى ايران لبيع البيوت الجاهزة ومكيفات الهواء ، ووحدات التبريد ، واجهزة لتحلية مياه البحر ، وغير ذلك . وخلال وقت قصير ، اصبحت بندر عباس احد المراكز الهامة للنشاط الاسرائيلي في ايران . ولكن عددا قليلا من الاسرائيليين كان يعلم بذلك. فقد كان موقع بندر عباس يبعد حوالي ٢٠٠٠ كم عن طهران . كما امر الاسرائيليون العاملين في المكان بربط السنتهم . لقد تركزت النشاطات الاسرائيلية بشكل رئيسي ، في منطقة الخليج العربي وبحر قزوين . ولم يتأثر الخبراء الاسرائيليون من الاحوال الجوية ، وذلك خلافا للخبراء الاجانب . فبسبب ارتفاع درجة الحرارة في بندر عباس التي كانت تصل الى ٤٥ درجة في الظل ، كان العمال الاسرائيليون يخرجون الى العمل في الصباح الباكر ، وينهون اعمالهم في العاشرة صباحا. كما نفذت الشركات الاسرائيلية اعمالا متنوعة في جزيرة (خرج) ايضا . وكان الشاه قد امر بنقل جميع صادرات بلاده من النفط ، من عبدان وخورومشهر الى جزيرة خرج ، وذلك خوفا من تعرض العراق لحرية الملاحة في شط العرب . وجزيرة خرج هي ارض قاحلة تماما . لذلك كانت الجزيرة خالية من النباتات والمزروعات باستثناء حدائق صغيرة كانت تحيط ببيوت موظفي شركة النفط الايرانية الوطنية ، التي كانت تسقى من المياه التي تحلى من مياه البحر ، بواسطة ثلاث محطات تحلية اقيمت من قبل شركة « نمرودى » للتجارة الخارجية ، لصاحبها يعقوب نمرودى الذي كان يعمل ملحقا عسكريا اسرائيليا في طهران ، واقيمت احدى هذه المحطات في قاعدة لسلاح الجو الايراني ، وكانت تسقى ايضا القاعدة الصغيرة التابعة لسلاح البحرية الايراني ، حيث كانت سفنها تقوم بأعمال الدورية وتحمي حرية المرور في مضايق هرمز . وكانت اسيجة «امنية» تحيط بعدد من منشآت شركة النفط الوطنية ، وكذلك بقاعدة سلاح الجو . وكانت الاسيجة من انتاج الصناعات الجوية الاسرائيلية كما ان اجهزة الاتصال في جزيرة «خرج» ركبت من قبل شركة «موتورولا» الاسرائيلية .

لقد كانت جزيرة خرج في الماضي السحيق محطة لرواد البحر من اليونانيين ، ويمكننا الآن العثور على بقايا معبد «يوناني» قديم ، بني على أيدي تجار « من تدمر ». وكذلك بقايا مسجد قديم بني في عهد السندباد البحري .

في أعقاب النشاطات الاسرائيلية المكثفة في ايران ، أصبح الخط الجوي الى طهران من اكثر الخطوط الجوية المربحة ، بالنسبة لشركة الطيران الاسرائيلية «العال»، وفي عام ١٩٧٨ ساهم هذا الخط بمبالغ كبيرة في الدخل الاسرائيلي .

كما ان اتحاد شركات «كور» الاسرائيلية برئاسة عضو الكنيست ميئير عميت ، اقام في ايران مشاريع زراعية وصناعية كثيرة . كما ان الشركات الفرعية التابعة للاتحاد ، مثل «تديران» و«تلرد» ، كانتا شريكتين في مصانع انتاج محلية وزودتا السوق المدني والجيش الايراني بمعدات متنوعة . وعندما فاضت الموانيء الايرانية في عام ١٩٧٥ ، بسبب كثرة المستوردات الاستهلاكية ، قام اتحاد «كور» ببناء رصيف خاص على ميناء بندر شهبور . وبذلك مكن السفن الاسرائيلية التابعة لشركة «تسيم» من تفريغ حمولتها على الرصيف ، وزيادة قدرة المنافسة للاقتصاد الاسرائيلي .

وكان رجل اعمال اسرائيلي قد اقام قبل ذلك ، بالتعاون مع عنصر محلي شركة «ستارلين» للنقل البحري ، ونافس بنجاح الشركات العالمية الاخرى في مجال اسعار النقل . وقد احضرت هذه الشركة الى ايران اول ناقلة نفط ، وبذلك حصلت لنفسها على الافضلية في مجال النقل على شركات اخرى ، حتى ادخلت شركة تسيم ناقلاتها النفطية التي بدأت تسير بصورة دائمة بين ايلات وموانيء ايرانية مختلفة . ومع الايام افتتحت خطوط نقل بحرية للاستيراد عن طريق ميناء مارسين التركي ، ومن هناك تنقل البضائع بشاحنات الى ايران .

لقد نجحت «اسرائيل» في التغلغل في السوق الايراني على الرغم من ان كبـار المشترين الايرانيين ، وخاصة شركة النفط الوطنية ، كانوا معتادين على اسواق اوروبا الغربية وعلى رأسها بريطانيا . وعلى الرغم من انه كان هنالك تردد معين على الصعيد الحكومي ، من تنفيذ صفقات اقتصادية مع اسرائيل ، فقد نجحت شركات اسرائيلية في تنفيذ اعمال لصالح شركة النفط الايرانية .

في العام الاخير لحكم الشاه ، بدأت «اسرائيل» في تصدير الحمضيات لايران . وكانت الحمضيات احدى انواع الصادرات الزراعية الاسرائيلية الى ايران . وبفضل بناء السدود الكبيرة ، اتسعت رقعة الاراضي الزراعية واحتلت الاراضي الزراعية حوالي ٢٠٪ من كامل الانتاج القومي . ولكن في ضوء التكاثر الطبيعي البالغ ٣٪ سنويا ، كانت ايران مضطرة لاستيراد كميات كبيرة من الحليب والمنتجات الغذائية الضرورية ، من «اسرائيل» ودول اخرى .

بالاضافة للصادرات الاقتصادية ، احتلت «اسرائيل» لنفسها مكانا مرموقا في مجال الاعداد الزراعي . فقد درس في «اسرائيل» في الفروع الزراعية المختلفة آلاف الايرانيين الذين عادوا الى بلادهم واقاموا القرى التعاونية ، في اطار خطة الاصلاح الزراعي . ومن بين تلك القرى القرية التعاونية اريهمهر الواقعة بقرب الموقع التاريخي في «خرسفولس» ، على بعد ٦٠ كم من مدينة شيراز فقد كان في وسط القرية دوار كبير ، بنيت حوله المؤسسات العامة مثل المسجد والنادي الرياضي والمدرسة وحديقة اطفال وغيرها ، بينما بنيت في الدائرة الخارجية المباني السكنية لاعضاء القريـــة البالغ عددهم ٨٦ عضوا . وعلى الرغم من ان قرية اريهمهر لم تكن تشبه في مظهرها الخارجي القرية التعاونية الاسرائيلية فقد كان يلمس فيها التواجد الاسرائيلي ، اذ ان سكرتير القرية منصور احتارى ، وهو مهندس زراعي نشيط يبلغ من العمر ٣٨ سنة ، ومسؤول الزريبة يازر رحمة الله ، كانا قد درسا في «اسرائيل» في عام ١٩٦٩ ادارة القرى التعاونية ، ونجحا في تطبيق النظريات التي زودتهما بها الهستدروت الاسرائيلية طيلة ٤٠ يوما ، في قريتهما ، كما ان ايرانيين آخرين من الذين درسوا في «اسرائيل» ، قاموا بادوار مماثلة في اماكن مختلفة ، وكانوا يمتدحون الفترة التي درسوا فيها في «اسرائيل» ولهذا ، فعلى الرغم من قطع العلاقات الدبلوماسية بين «اسرائيل» وايران لا زال في ايران قاعدة حسنة ، وهذا سيساعد «اسرائيل» في المستقبل اذا ما حدث ان استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين .

الثـــورة الايرانيـــة
وتأثيرها على مكانة «اسرائيل»
والـــدول العربيـــة

لقد كان لاستلام الخميني السلطة في ايران ، والنهضة الدينية التي تلته ، تأثير على مكانة الدولتين الاعظم في منطقة الخليج العربي . واحدثا خللا في « ميزان القوى » بين دول الشرق الاوسط .

ففي غداة مغادرة الشاه لايران تابع الجميع ردود فعل الدول العربية المختلفة على ثورة الخميني . وكانت سوريا وليبيا الوحيدتين اللتين باركتا انتصار الثورة الاسلامية فورا . بينما أظهرت السعودية وامارات الخليج العربي ضبطا للنفس في ردود فعلها ، وبدا انها ليست راضية من الاندماج المثير للقلق بين تعصب ديني وبين راديكالية عنيفة ، كما هو الحال في ايران . بينما لم تخف مصر قلقها من الوضع الجديد الذي نشأ في ايران ، ولم تفاجأ من قطع الخميني علاقاته معها .

لقد كانت موافقة الرئيس المصري وملك المغرب على استضافة الشاه في بلديهما، متناقضة تماما مع موقفي الملك حسين ملك الاردن والملك خالد ملك العربية السعودية . ويتضح ان الشاه حاول قبل مغادرته ايران الحصول على دعـــوة لزيارة الاردن والسعودية ، غير ان الحسين وخالد رفضا تلك التلميحات .

لقد أحدث سقوط الشاه رعشة في أجسام الحكام العرب ، في شبه الجزيرة العربية وامارات الخليج العربي . فقد صادف الاعلان عن سقوط حكومة بختيار ، في ١٠ شباط ١٩٧٩ ، وجود وزير الدفاع الاميركي هارولد براون في قصر الملك خالد ملك العربية السعودية . ولم يجد براون صعوبة في اكتشاف علامات العصبية والخوف التي سادت القصر الملكي السعودي . وكانت الولايات المتحدة قد أمرت ، في ٣٠ كانون اول ١٩٧٨

حاملة الطائرات الاميركية «كونستليشن» بالابحار من الفلبين وباتجاه المحيط الهندي . وكان الهدف من ذلك ردع الاتحاد السوفياتي من محاولة التدخل المباشر في احداث ايران ، وتخفيف المخاوف السعودية . وكان ارسال حاملة الطائرات الاميركية هذه المرة مماثلا لتصرفات الاتحاد السوفياتي خلال ازمة سابقة حدثت في منطقة الخليج العربي . ففي نيسان ١٩٧٣ حاولت وحدات عراقية الاستيلاء على اراض كويتية ، كانت تشرف على قاعدة ام قصر التي بناها الاتحاد السوفياتي ، وكان الهدف منها تقديم خدمات للسفن السوفياتية في الخليج العربي ، تم احباط المحاولة العراقية ، وحوفظ على سلامة الاراضي الكويتية . ولكنه بهدف منع تدخل خارجي ، نشر الاتحاد السوفياتي وحداته البحرية في تلك المنطقة . والآن حاولت الولايات المتحدة تكرير هذه المناورة ولكنه خوفا من تفسير حركة حاملة الطائرات الاميركية على انه محاولة للتدخل في ايران لصالح الشاه ، صدرت في واشنطن عدة تصريحات متناقضة افقدت الامر عنصر الردع . وفي اعقاب ذلك طلب الامير فهد ولي عهد السعودية مظاهرة قوة اميركية اكثر فعالية وتم بالفعل ارسال سرب طائرات ف١٥ اميركية في بداية شهر كانون ثاني الى السعودية . لكن هذه الطائرات لم تكن مسلحة ، وبذلك فقد عنصر الردع مرة ثانية كما ان عنصر الردع الاميركي زاد ضعفا بعد ان علم ان اسبانيا رفضت طلب الرئيس الاميركي بالسماح بتزويد الطائرات الاميركية بالوقود على اراضيها . وفي ضوء انهيار حكم الشاه وانتصار الخميني ، رأى وزير الدفاع الاميركي هارولد براون ان يكرر التزام بلاده للسعودية والتأكية على حمايتها من جديد وتقوية قدرتها الدفاعية .

لقد كانت انظار الجميع متجهة الى العراق . فمنذ توقيع اتفاقية الجزائر في آذار ١٩٧٥ ، والتي اوقفت بموجبها المساعدات الايرانية للمتمردين الاكراد ، كانت تسود بين ايران والعراق علاقات معقولة لكنه منذ بدء الثورة في ايران ، ظلت العراق تتتبَّع بقلق متزايد موجة الثورة الخمينية ، فبسبب الطابع العلماني لنظام الحكم في العراق والنظرية البعثية ، نجح حكام العراق بالتمويــه على ان اقلية سنية تحكم اغلبية شيعية في العراق . لكن سادت العراق الآن مخاوف حقيقية ، من ان يؤدي تسلم الخميني السلطة في ايران الى انتفاضة دينية في بغداد ايضا . لذلك اتخذت اجراءات «أمنية» لقمع اي تمرد ديني محتمل . لهذا السبب استجابت العراق فورا لطلب الشاه وسفرَّت في ٣ تشرين أول ١٩٧٨ الخميني الى باريس . وعندما انهار حكم الشاه ، بدات العراق تشك في نوايا ايران بشأن احترام الاتفاقية حول شط العرب ، وشجعت الاكراد الايرانيين في الشمال على المطالبة بمنحهم حكما ذاتيا في اطار الجمهوريــة الخمينية . وفي المقابل بدأت العراق تتعاون مع السعودية وامارات الخليج العربي ، في محاولة لوقف الموجة الخمينية التي بدات تهدد جميع دول المنطقة ، لقد وضعت الازمة الايرانية في الاختبار ، السياسة الاميركية التي وضعت وطبقت فعليا على ايدي سبعة رؤساء للولايات المتحدة ؛ منذ الحرب العالمية الثانية .

ان ما كان يميز منطقة الخليج العربي هو وجود الدول الغنية بالنفط ، التي منحها موقعها الجغرافي اهمية استراتيجية على الرغم من قلة عدد سكانها وضعفها من الناحية العسكرية . فالسعودية والكويت وقطر ودولة اتحاد الامارات العربية ، جميعها لا تملك القدرة على حماية نفسها ، كما انها جميعا لديها جهاز سياسي داخلي ضعيف وجميع هذه الدول كانت تواجه تحديات القوى الراديكالية التي تحاول احداث تغيير في الهيكل السياسي القائم في تلك الدول .

لقد كان استقلال هذه الدول التي تزود جميعها الولايات المتحدة بحوالي ٢٩٪ من مجموع وارداتها النفطية واليابان حوالي ٥٢٪ ، يعتمد دائما على ميزان القوى في المنطقة ، ودعم مالي كبير للدول المجاورة الضعيفة اقتصاديا والقوية عسكريا ، والتأييد التقليدي من قبل الولايات المتحدة والدول العظمى الغربية .

بناء على هذه المعطيات ، حددت الولايات المتحدة اهدافها الاساسية في منطقة الخليج العربي كما يلي :

١ — حماية المصالح الاقتصادية الحيوية في الدول العربية المنتجة للنفط .

٢ — وقف النفوذ السوفياتي وخلق توازن مع القوات البحرية السوفياتية في المحيط الهندي . ففي اعقاب اعلان بريطانيا في عام ١٩٦٨ عن عزمها اخلاء قواتها من المنطقة الواقة شرقي السويس ، وضع الاتحاد السوفياتي في المحيط الهندي ثلاث سفن حربية . وسفينة تزويد بالوقود . وفي اعقاب حرب ١٩٧٣ ، زادت هذه القوة واصبحت ٢٠ سفينة ، من بينها غواصة واحدة وسفينة تجسس وقوات انزال برمائية . وحاولت الولايات المتحدة العمل على احداث توازن قوى مع السوفيات عن طريق تعزيز تواجد سفن الاسطول الاميركي السابع في نفس المنطقة ، وتوسيع القاعدة البحرية في المستعمرة البريطانية السابقة دياجوغارسيا .

٣ — المساعدة في تحقيق اهداف «الدبلوماسية» الاميركية في الشرق الاوسط .

٤ — تأمين الخطوط الجوية والبحرية من خطر امكانية الازعاج او الغلق .

لكنه بسبب عدم وجود الاميركيين الطبيعي في تلك المنطقة ، ظلت هذه الاهداف عقيمة ، فيما كانت «نظرية نيكسون» تعتمد في الخليج على قوة الشاه ، فهي لم تحتفظ لنفسها بقواعد ثابتة في السعودية او في ايران ، وكانت الولايات المتحدة تملك بالاضافة لقاعدة داياجوغارسيا ، قاعدة للخدمات في جزيرة البحرين . غير ان ذلك لم يكن كافيا لردع أهداف التوسع السوفياتية في تلك المنطقة ، لكن الولايات المتحدة أقامت بالفعل ٧ محطات انذار وتصنت في ايران باتجاه الاتحاد السوفياتي ، اثنتين منهما لتتبع اطلاق الصواريخ السوفياتية . وكذلك سمح لها باستخدام قواعد سلاح الجو الايراني لاغراض التجسس . كما ان الميناء الايراني الجديد شاه بهر ، الذي بني

في خليج عمان لتأمين حرية الملاحة في مضيق هرمز ، كان يمكن استخدامه كقاعدة ثابتة ترسو فيها السفن الحربية الاميركية . ولكن في ضوء ما حدث في ايران ، ظهر ان هذه الوسائل لم تكن كافية للحيلولة دون انهيار النظام الملكي .

لقد ادى ارتقاء الخميني السلطة في ايران الى الغاء المعاهدات الاميركية ــ الايرانية ، والحق الضرر بقدرة الولايات المتحدة على التصنت والتجسس على الاتحاد السوفياتي . غير ان اهمية ايران الاستراتيجية ، وزيادة وزن النفط في السياسة الدولية ، زادتا الوزن السياسي لمنطقة الخليج العربي كلها . واصبح الاستقرار الداخلي في ايران مهما ، ليس فقط بالنسبة للدول الصناعية في اوروبا واليابان بل لكل دول المنطقة . وكان الشاه قد وقف في حينه على اهمية بلاده الاستراتيجية حتى انه كتب في كتاب سيرة حياته ما يلي : من الناحية الاستراتيجية والجغرافية ، لن أبالغ اذا ما قلت ان ايران تعتبر مركز «الحلف المركزي» بالاشتراك مع تركيا والباكستان . وبما ان هذا الحلف يكمل حلف شمال الاطلسي وحلف جنوب شرقي آسيا ، يمكن القول ان بلادي حجر الزاوية في هذا الهيكل بأكمله » .

كان الاتحاد السوفياتي على علم بذلك . ولهذا بذل كل ما في وسعه لتقويض هذا الهيكل وتقوية موطيء قدمه في المنطقة . فقد تحولت سوريا الى حجر الزاوية في النفوذ السوفياتي في منطقة الشرق الاوسط ، والعراق الواقعة على حدود ايران الجنوبية ــ الغربية لا زالت تتلقى المساعدات العسكرية السخية من الاتحاد السوفياتي وافغانستان محتلة من قبل الجيش السوفياتي ، والباكستان لا زالت تعاني من الفوضى ويملك الاتحاد السوفياتي قواعد في جمهورية اليمن الجنوبي في مدخل البحر الاحمر الى المحيط الهندي ، والسعودية على الرغم من انه يسودها الاستقرار حتى الان الا انها لا تستطيع ان تشكل حاجزا عسكريا فعلا في وجه اهداف التوسع السوفياتي ، وستكون بحاجة الى دعم عسكري اميركي مباشر ، ومصر التي تسيطر على البحر الاحمر لا زالت ضعيفة من الناحية العسكرية ومكانتها قد اهتزت في العالم العربي في اعقاب توقيع معاهدة السلام مع «اسرائيل» بينما ان «اسرائيل» ، القوية عسكريا ومستقرة سياسيا ، بعيدة عن منطقة الخليج العربي ، ولذلك لا تميل الولايات المتحدة للاعتماد عليها في جهودها للمحافظة على الاستقرار في هذه المنطقة الحيوية .

لقد بدأت الولايات المتحدة بالفعل ، في غداة التوقيع على معاهدة « السلام » بين مصر واسرائيل في ٢٦ آذار ١٩٧٩ ، ببلورة افكار تتعلق بابعاد التقلبات في منطقة الخليج العربي فقد ادى سقوط عرش الشاه الى جعل مسألة تزويد النفط مشكلة اميركية قومية من الدرجة الاولى وتوصل واضعو السياسة الاميركية الى استنتاج بأنه في حالة نشوب حرب جديدة في الشرق الاوسط ، لن تلحق «باسرائيل» اية اضرار نتيجة لفرض حظر على تزويد النفط . فبسبب تفوقها العسكري الواضح قد تحقق «اسرائيل» نصرا جديدا ، وبناء على عملية التسليح الحالية ، ستحافظ «اسرائيل»

على تفوقها العسكري طيلة ٥ — ٧ سنوات قادمة . وذلك خلافا للولايات المتحدة والدول الصناعية في اوروبا الغربية واليابان . فهذه الدول ستتضرر كثيرا نتيجة لفرض حظر على النفط . لذلك رأت الولايات المتحدة ان من واجبها تعزيز وجودها البحري في منطقة الخليج العربي ، واقامة جهاز سيطرة وانذار ، من اجل وقف محاولات التوسع الشيوعية في المنطقة .

في اعقاب جولة في دول الشرق الاوسط قامت بها لجنة الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الاميركي في نيسان ١٩٧٩ ، قدمت تقريرا الى الكونغرس الاميركي اوصت فيه بوجوب استخدام قواعد مصرية وعمانية وصومالية وكينية . ورفض الكونغرس الاميركي استخدام قواعد في «اسرائيل» للاسباب التالية :

١ — ان اقامة قواعد اميركية في «اسرائيل» ستفسر على أنها دعم للعدوان الاسرائيلي على الدول العربية ، او كتهديد اميركي ضد الدول العربية نفسها . وخاصة ضد آبار النفط فيها . وهذا من شأنه الحاق ضرر فادح بالمصالح الاميركية الوطنية .

٢ — ان اقامة قواعد اميركية في «اسرائيل» ستفسر على أنها تنصل اميركي من سياسة التوازن التي تتبعها الادارة الاميركية في الشرق الاوسط . وهذا سيلحق الضرر بقدرة الولايات المتحدة على اقرار «السلام» الشامل في المنطقة .

٣ — في حالة نشوب حرب جديدة بين «اسرائيل» والدول العربية ، بغض النظر عن البادىء فيها ، ستكون القواعد الاميركية في «اسرائيل» هدفا للهجوم عليها من قبل المشتركين في الحرب . وهذا من شأنه جر الولايات المتحدة للتدخل المباشر في الحرب .

٤ — قد تقوم الدول العربية ، التي عارضت حتى الان اقامة قواعد سوفياتية في اراضيها ، بالسماح للاتحاد السوفياتي باقامة مثل هذه القواعد في اراضيها ، ولو على سبيل خلق توازن مع التواجد الاميركي في «اسرائيل» .

٥ — لا تستطيع الولايات المتحدة السماح لنفسها بأن تبعد عنها الدول العربية المنتجة للنفط ، عن طريق تفضيل «اسرائيل» على دول عربية موالية للغرب .

بموجب هذه التوصيات قرر الرئيس المصري انور السادات وضع قاعدة سلاح الجو المصرية ، في قنا في مصر العليا ، تحت تصرف الولايات المتحدة ، لاستخدامها لاغراض الطلعات الجوية الاستطلاعية فوق البحر الاحمر ، ولتكون عنصرا رادعا لاهداف التوسع السوفياتي في منطقة الخليج العربي .

منذ خريف عام ١٩٧٩ ، عمل في قاعدة قنا المصرية حوالي ٢٥٠ من رجال سلاح الجو الاميركي وضعت تحت تصرفهم طائرتا استطلاع من نوع «أواكس» .

لقد كان قرار الرئيس المصري انور السادات هذا مماثلا في اهميته لقرار الرئيس السابق جمال عبدالناصر ، الذي وضع تحت تصرف الاتحاد السوفياتي القواعد البحرية في الاسكندرية وغردقة ، والقواعد الجوية في القاهرة غرب وجانكليس بالقرب من الاسكندرية ، لاغراض التجسس على وحدات الاسطول الاميركي السادس في البحر المتوسط والاسطول الاميركي السابع في المحيط الهندي .

لقد غير هذا القراربين عشية وضحاها الاهمية الاستراتيجية لمصر ، واصبحت بالاضافة الى السعودية حليف الولايات المتحدة المفضل في الشرق الاوسط ، والمعنى العملي للانتشار الاميركي الجديد في المنطقة ، هو ان الولايات المتحدة لا تزال غير مستعدة للتنازل عن مصالحها الاقتصادية في ايران ، على الرغم من ان حماية هذه المصالح لا تأتي بالضرورة من داخل ايران ، بل من قواعد اخرى في المنطقة .

لقد اضرت الثورة الايرانية اكثر ما يكون «باسرائيل» . فقد ادى قطع العلاقات الاسرائيلية — الايرانية الى تدمير « سياسة دول الاطار » ، التي نادى بها دافيد بن غوريون غداة حملة السويس في تشرين أول ١٩٥٦ ، وشملت اسرائيل وايران وتركيا واثيوبيـــا .

في البداية ، انسحبت تركيا من الحلف . وفي اعقاب الانقلاب العسكري بزعامة الجنرال كمال جرسل في ايار ١٩٦٠ ، ضعفت تدريجيا علاقات انقره — القدس ، وتبخرت مع الايام المبادىء التي تبناها بن غوريون حينما توصل الى اتفاقية سرية مع عدنان مندرس ، في ٢٩ آب ١٩٥٨ ، بشأن تعاون اقليمي لوقف الاعمال السرية لعبدالناصر واحباط اهداف التوسع السوفياتية في الشرق الاوسط . وبعد سقوط امبراطور اثيوبيا هيلا سيلاسي ، بدأ ينهار الضلع الاثيوبي من « حلف الاطار » واختفى هذا الضلع نهائيا في خريف ١٩٧٨ بناء على اوامر رئيس الزمرة العسكرية الحاكمة في اديس ابابا الكولونيل منجستو هايلا مريم .

والان جاء دور الضلع الايراني . لا يمكننا فهم العلاقة الوثيقة بين اسرائيـــل وايران ، بدون ان نفهم اسس سياسة الشاه في الشرق الاوسط . فقد كانت مطامع الشاه في الخليج العربي كما يلي:

١ — حماية الدولة والنظام من نشاطات سرية عربية من عملاء شيوعيين .

٢ — حماية آبار النفط والمنشآت الاخرى من الاعمال التخريبية المحتملة .

٣ — تأمين ممر حر للنفط عبر مضيق هرمز .

لقد كان لا يزال بالاضافة الى ذلك مشكلتان رئيسيتان : تفرقة خطيرة ، وتضارب مصالح مع العراق .

لقد بدأ الصراع مع العراق منذ عام ٥٣٨ « قبل التاريخ » ، عندما اخضع الملك كورش البابليين على الرغم من كون ايران كانت في عام ٦٠٦ « قبل التاريخ » حليفة للبابليين في حربهم ضد الاشوريين حتى نينوى . فقد دمر هؤلاء في عام ٦٤٥ قبل التاريخ العيلاميين ، الذين سيطروا على المنطقة الخصبة ما بين ميزوبوتاميا وبين جبال زغروس المعروفة اليوم « باقليم خوزستان » على الحدود الجنوبية لايران والتي لا زال العنصر العربي يشكل فيها الاغلبية العظمى حتى اليوم . وبعد ظهور الاسلام ، احتل العرب في عام ٦٤٠ بلاد فارس وحكموها طيلة حوالي ٤٠٠ عام ، في البداية من قبل الامويين في دمشق ، ومن ثم من قبل العباسيين في بغداد . ودخل الفرس الاسلام وتبنوا الكتابة العربية ، لكنهم حافظوا على لغتهم واداروا حياتهم اليومية بأنفسهم . واتخذت السلالة الصفوية المذهب الشيعي دينا رسميا للدولة .

ان الصراع التاريخي بين سكان سهل ما بين النهرين وبين سكان الجبال يبرز ، في العصر الحضاري هذا ، في مطالبة العراقيين باقليمي خوزستان الذي يقع فيه ميناء النفط عبدان ، وبتشجيع السكان العرب على الانفصال عن ايران . وهذا الامر اذا ما تحقق من شأنه الحاق الضرر بالسلامة الاقليمية والاقتصادية لايران . وهناك عنصر آخر ، وهو انه يوجد في العراق حوالي مليون ايراني ، وهم يشكلون ورقة مساومة في أيدي النظام البعثي في بغداد ضد ايران . فعلى سبيل المثال ، عندما احتلت ايران في كانون أول ١٩٧١ ثلاث جزر في الخليج العربي التي تسيطر على مضايق هرمز قام العراق بطرد حوالي ٦٠ ألفا من الاكراد الى ايران وخلق ذلك مشكلة لاجئين خطيرة في منطقة الحدود بين الدولتين . وان المخاوف من نوايا العراق تشكل عنصرا رئيسيا ثابتا في السياسة «الامنية» والخارجية بالنسبة لايران . ومن اجل ذلك ، كان الشاه يستغل دائما الاقلية الكردية لزعزعة الاستقرار الداخلي في العراق . كما استغل «حقيقة» ان الاقلية السنية تحكم الاغلبية الشيعية في العراق .

بالاضافة الى تلك العناصر الثابتة في العلاقات الايرانية ـــ العراقية ، حدث في الخمسينات تطوران جديدان اثارا قلقا كبيرا في طهران هما : الانقلاب العسكري في مصر في تموز ١٩٥٢ ، والقضاء على النظام الملكي في العراق في تموز ١٩٥٨ ، وكذلك تغلغل السوفيات في هاتين الدولتين ودمشق ايضا . فقد بدأت اثار ظهور القومية العربية المتطرفة بزعامة جمال عبدالناصر ، والصراع السري ضد الانظمة العربية المحافظة والموالية للغرب ، تظهر في الشرق الاوسط كله . وشعرت ايران انها اصبحت بين فكي كماشة قومية ، هذا بزعامة جمال عبدالناصر وذاك بزعامة حاكم العراق الجديد عبدالكريم قاسم . كما اشعلت رغبات التوسع العراقي ضد الكويت ضوءا احمر في طهران ، وتطلّب الامر استعدادا جديدا لمواجهة الموجة القومية العربية « الموالية للسوفيات » وكان ذلك سببا في تكوّن العلاقات الودية بين ايران و«اسرائيل» ، وادى الى بلورة نظرية « حلف دول الاطار » التي نادى بها بن غوريون.

لقد ادى قيام دولة «اسرائيل» في أيار ١٩٤٨ ، وانتصارها على سبعة جيوش عربية الى اعادة تقييم في سياسة الشاه الشرق اوسطية . ومنذ قيام الجامعة العربية في عام ١٩٤٥ ، اظهرت ايران حساسية كبيرة في ضوء تعاظم الدول العربية ، وكانت تنظر نظرة ريبة لفكرة الوحدة العربية . لقد اضاف انتصار «اسرائيل» في الحرب الى المنطقة دولة ليست عربية وقوية . ولمعت في عيني الشاه فكرة استنزاف القوة العربية بواسطة القوة الاسرائيلية .

لقد ادت بعض التطورات الداخلية في ايران ، الى الاسراع في اجراء « اعادة التقييم » في سياسة الشاه تجاه «اسرائيل» ، ففي شباط ١٩٤٩ ، حاول شاب مسلم من انصار آية الله كاشاني اغتيال الشاه . وبعد المحاولة نفي كاشاني الى لبـــنان ، وبدأت مطاردة اعضاء حزب «تودا» الشيوعي الذي اعتبر خارج القانون ، وانتقل زعماؤه الى العمل السري . وفي تلك الفترة اعلنت ايران اول خطة تطويرية لها . وكان الشاه بحاجة الى مساعدة مالية اميركية لتنفيذ هذه الخطة . وبناء على تقديره لقوة اليهود ووزنهم في الكونغرس الاميركي ، قرر الشاه تحسين علاقاته مع «اسرائيل» لقد شكل انهاء «السبي البابلي» بداية للتعاون بين ايران و«اسرائيل» المستقلة ، ففي صيف ١٩٤٩ ، اجتاز يهود العراق الحدود من البصرة الى عبدان ، ومن هناك نقلوا الى معسكرات الاستيعاب التابعة للوكالة اليهودية في طهران ، تمهيدا لتهجيرهم الى «اسرائيل» ، وطرأ اعتدال على نظرة الصحف الايرانية تجاه «اسرائيل» . وبدأت تنشر مقالات حول حق قيام دولة يهودية في الشرق الاوسط . وكان واضحا ان تلك المقالات كانت تكتب بايحاء من السلطات الايرانية ، وكان يقصد بها تمهيد الطريق امام اعتراف ايران «باسرائيل» وبعد ان اعترفت تركيا «باسرائيل» في آذار ١٩٤٩ ، وكانت اول دولة مسلمة ، لم يعد الشاه يرى اي عائق لاعتراف مماثل بالدولة اليهودية. وفي ١١ آذار ١٩٥٠ قررت الحكومة الايرانية بالاجماع الاعتراف بدولة «اسرائيل» ونشر الاعتراف في الجريدة الرسمية في ٢٠ أيار ١٩٥٠ . واتخذ القرار عندما كان البرلمان الايراني في عطلة رأس السنة الايرانية ، وبينما كان اية الله كاشاني لا يزال في منفاه في لبـــنان . وقال رئيس الحكومة الايرانية آنذاك ، في تبريره القرار أمام البرلمان . ان الدول العربية اساءت الى كرامة ايران ، عندما لم تبلغها بالمفاوضات التي دارت بين الدول العربية و«اسرائيل» حول اتفاقية الهدنة . واضاف ان قرار الاعتراف كان اجراءا طبيعيا ينسجم مع رغبات الشعب الايراني «للسلام» . وعلى الرغم من الشعور الواقعي الذي اظهره قرار الاعتراف «باسرائيل» ظلت نظرة ايران تجاه «اسرائيل» متحفظة ، وظل العالم العربي يحتل مكان الافضلية بالنسبة لها . وهناك عنصر آخر ، وهو ان الولايات المتحدة وبريطانيا بذلتا في صيف عام ١٩٥١ جهدا كبيرا لربط الدول العربية في السياسة المعادية للسوفيات وانسجم ذلك مع اهداف السياسة الايرانية . حتى بعد انقلاب جمال عبدالناصر ، ظلت الجهود الغربية متجهة نحو القاهرة . ومن هنا كان واضحا للشاه وجوب بقاء «اسرائيل» خارج اطار اي ارتباط دفاعي اقليمي

في المنطقة لكنه في مطلع عام ١٩٥٥ ، طرأ تحول واضح على السياسة الايرانية الشرق اوسطية . ففي اعقاب الاتفاقية الانجلو ــ مصرية لاخلاء منطقة قناة السويس في تشرين أول ١٩٥٤ ، أوضح جمال عبدالناصر بصورة قاطعة معارضته لاشتراك بلاده في حلف دفاعي اقليمي موال للغرب .

ونتيجة لمحاولات الولايات المتحدة وبريطانيا وتركيا ، تغلب الشاه على ترددات تجاه العراق وانشأ في ١٤ شباط ١٩٥٥ حلف بغداد باشتراك تركيا والعراق وايران وباكستان وبريطانيا . واثار قيام حلف بغداد استياء شديدا في القاهرة . وبدأ عبدالناصر على الفور محاولاته لتوقيع حلف مضاد مع سوريا والسعودية ، في حين بذلت ايران وتركيا والعراق جهودا في سبيل جذب الاردن ولبنان الى جانبها . وفي تشرين أول ١٩٥٥ وقع جمال عبدالناصر على صفقة اسلحة مع الكتلة السوفياتية . وبدأت موسكو بدق الاسافين في سوريا ايضا ، اي في مؤخرة تركيا وايران مباشرة ، وبتأثير من جمال عبدالناصر ،وقعت في صيف ١٩٥٦ اول صفقة اسلحة سوفياتية ــ سورية واقيمت قيادة عسكرية مشتركة مصرية ــ سورية . لقد هدد تأميم قناة السويس في تموز ١٩٥٦ ، بجعل عبدالناصر الزعيم الاوحد للعالم العربي بدون منازع ، بدعم فعال من موسكو ، واصبح ممر النفط من الخليج العربي الى اوروبا الغربية معرضا للخطر .

في أعقاب ذلك ، عارضت ايران عملية السويس في تشرين أول ١٩٥٦ ، كيف لا وهي كانت تنقل ٦٣٪ من الاستيراد الايراني و ٧٦٪ من صادراتها النفطية عبر قناة السويس . وابدت دول عربية موالية للغرب قلقها من النشاطات السورية المصرية ، وشمل هذا القلق اثيوبيا والسودان ومن ضمن ما قاله موشه شاريت في مذكراته : « كانت هنالك احتمالات حقيقية لتعاون مشترك مع حزب الامة السوداني ، واوشك احد زعمائه على زيارة «اسرائيل» واثيوبيا ، ومن ثم بين «اسرائيل» وايران وتركيا .

منذ مطلع الخمسينات كان يعمل في ايران مبعوثون اسرائيليون ، حيث حاولوا خلق علاقة مع الشاه ، ودرسوا امكانيات التعاون المشترك ضد دول عربية معادية .

لقد قال « الاخ اسماعيل » وهو احد ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية ، في طهران في مقابلة مع صحيفة «اطلاعات» في ٢٤ حزيران ١٩٧٩ : ان ايران كانت تعتبر بالنسبة «لاسرائيل» نقطة مراقبة ومحطة تصنت ضد سوريا والعراق .

كان من بين ابرز المبعوثين الاسرائيليين الى ايران في تلك الفترة ، ميئير عيزري الذي عين فيما بعد سفيرا «لاسرائيل» في ايران ، والعقيد احتياط يعقوب نمرودي الذي كان سيتسلم منصب الملحق العسكري الاسرائيلي في طهران .

ان انتصار «اسرائيل» في حملة سيناء عام ١٩٥٦ ، خلق تحولا حقيقيا في مكانة «اسرائيل» في الشرق الاوسط . فقد اثارت الضربة التي انزلتها «اسرائيل» على رأس

جمال عبدالناصر ، موجة عارمة من التضامن في جميع انحاء الشرق الاوسط . فالدول التي كانت تخشى اهداف التوسع لعبدالناصر اكتشفت فجأة العنصر الذي يستطيع ان يهزمه . وبرزت «اسرائيل» ايضا كعنصر قادر على الاشتراك في الجهود من اجل ايقاف التوسع السوفياتي في المنطقة ، وكان هذا الاعتبار كافيا للقضاء على تقييدات دينية مختلفة .

كما ان أهمية هذا الانتصار كانت واضحة لواضعي السياسة الدفاعية والخارجية «لاسرائيل» فقد مكن فتح خليج ايلات امام الملاحة الدولية الحرة من تنفيذ محاولة «اسرائيل» الجريئة لغزو الشرق الاقصى ، وتوثيق العلاقات مع شرق افريقيا . وكوزن مضاد لنظرية عبدالناصر ، التي تدعو الى « شرق اوسط مبنى على وحدة قومية عربية شاملة » ، بدأت تتبلور في «اسرائيل» نظريات بشأن اقامة « شرق اوسط متعدد القوميات » . وكانت تلك الفكرة تعتمد في اساسها على نظرية ان « الشرق الاوسط ليس عربيا فقط » ، ولذلك يوجد فيه مكان لقوميات و«ديانات» مختلفة .

ووضعت «اسرائيل» نصب عينيها لتنفيذ هذه الفكرة اثيوبيا المسيحية ، ودولتين مسلمتين هما تركيا وايران . وتحولت هذه الفكرة بالتدريج الى سياسة اسرائيلية رسمية اطلق عليها في بعض الاحيان اسم « سياسة الاطار » . وكانت تلك الفكرة تعتمد في اساسها على عدة افتراضات هي : ان الدول الاربع المشمولة في هذا الاطار موحدة في معارضتها للتغلغل الشيوعي ، وجميعها كانت ترقب بقلق النشاطات السرية المصرية بزعامة عبدالناصر ، وكانت لدى جميعها نظرة متماثلة بالنسبة لمفهوم الاستقلال الوطني والسيادة ، وكلها تفضل استغلال مواردها لاغراض التطوير وليس « لمغامـــرات عسكريـــة » .

لقد اشرف على الجهود المبذولة لتحقيق هذه الفكرة في «اسرائيـــل» رئيس الوزراء آنذاك دافيد بن غوريون ، ورئيس مكتبه يتسحق نافون ووزيرة الخارجيـــة جولدا مئير ، وسفير «اسرائيل» في روما موشه ساسون . لقد ساهم حدثان وقعا في تلك الفترة في بلورة سريعة « لسياسة الاطار » هما :

١ — « نظرية ايزنهاور » التي ادت الى اضعاف الحلف المصري — السعودي — السوري ، وتحسين علاقات الرياض مع الاردن وتركيا وايران .

٢ — نقل مركز الثقل في السياسة المصرية من محاولة تدمير «اسرائيل» الى صراع سري في العالم العربي . وكانت تلك المحاولة تنفذ بمشاركة سوريا وبتشجيع من الاتحاد السوفياتي .

لقد جرى التعاون الرباعي في آن واحد في عدة مجالات . لكنه لم يصل الى درجة الحلف الرسمي بين الدول الاربع . فتركيا كانت عضوا في حلف شمال الاطلسي ، لكنها

كانت مع ايران عضوا في حلف بغداد . وكانت «اسرائيل» واثيوبيا الوحيدتين خارج اي إطار اقليمي او حلف دفاع غربي . وكان التعاون بين الدول الاربع يتم على اساس متبادل وليس ضمن اطار رسمي . وكان التعاون المكثف يتوقف على التطورات المتغيرة ، ونظرة كل دولة من تلك الدول الى الدول الاخرى في المنطقة او خارجها . فعلى سبيل المثال ، كانت تركيا في عام ١٩٥٧ قلقة جدا من تعمق التغلغل السوفياتي في سوريا ، وبذلت كل ما في وسعها للاطاحة بنظام الحكم القائم فيها . وأدى التوتر مع سوريا الى حشد الجيش التركي على الحدود معسوريا عدة مرات . فقد ادى تدفق الاسلحة السوفياتية على سوريا الى زيادة الثقة بالنفس لدى الحكام السوريين . وادى ذلك الى وقوع حوادث على الحدود مع «اسرائيل» واطلاق تصريحات حربية من قبل نائب رئيس الحكومة السورية « المليونير الاحمر » خالد العظم . وفي ضوء التوتر، اتخذ الجيش الاسرائيلي عدة اجراءات على طول خطوط الهدنة . وقد غطت هذه الاجراءات الخطوات التي وضعتها الولايات المتحدة وتركيا والعراق ، بهدف اسقاط النظام الموالي للسوفيات في دمشق . وفي ضوء التحشدات الاسرائيلية على الحدود ، بعث جون فوستر دالاس وزير الخارجية الاميركية برسالة في نهاية آب ١٩٥٧ الى بن غوريون من ضمن ما جاء فيها : « لدي قناعة بأنك تشاركنا القلق من التطورات الاخيرة في سوريا . ولدينا معلومات تؤكد انه هناك دولا أخرى في المنطقة تشارك في القلق من هذا الوضع . ونريد تبادل الآراء قريبا مع حكومتك حول هذا الموضوع . وآمل انك لن تتخذ حتى ذلك الوقت ، أي اجراء ضد سوريا في اطار النزاع العربي — الاسرائيلي » .

تقبل بن غوريون ما ورد في الرسالة بشأن الدعوة الى الانتظار . لكنه لم يخف عليه قلقه من الوضع في دمشق في سياق رده لدلاس ، حيث قال : ان تحويل سوريا الى قاعدة للشيوعية العالمية ، يعتبر من اخطر التطورات التي حدثت للعالم الحر في الفترة الاخيرة . وأريد لفت انتباهك الى الاخطار الكبيرة التي تتعرض لها الدول المجاورة لسوريا ، نتيجة لتمركز الشيوعية الدولية في قلب الشرق الاوسط . وكل شيء يتوقف على موقف حكومة الولايات المتحدة ، فاذا عملت الولايات المتحدة بشدة ، فمن شأن ذلك تشجيع الدول المجاورة لسوريا ، باستثناء «اسرائيل» ، للعمل بقوة بمساعدة عناصر سورية ثورية بهدف ابعاد الخطر الذي يهدد حرية واستقلال وأمن المنطقة . ويحتمل ان تكون هذه هي الفرصة الاخيرة للعمل . فسوريا لم تعلن جمهورية شعبية بعد ، لذلك لن تثير العملية التي اقصدها ضجة دولية خطيرة . وتأكد بأن «اسرائيل» لن تفعل شيئا قد يفشل نجاح مثل هذه العملية .

من خلال هذه الرسالة ، يتضح ان دافيد بن غوريون كان على اطلاع تام بنوايا الولايات المتحدة وتركيا والعراق بشأن اسقاط نظام الحكم في دمشق ، وانه كان يؤيد ذلك بكل قلبه . وبدا في لحظة ما ، ان انقلابا من هذا النوع على وشك التنفيذ : فقد

تحرك الاسطول الامريكي السادس من قواعده في ايطاليا باتجاه الحوض الشرقي للبحر الابيض المتوسط ، سواء كوسيلة لتهديد دمشق او كوسيلة لردع وحدات الاسطول السوفياتي في البحر المتوسط . وحشدت القوات التركية والعراقية على الحدود السورية . غير ان المتعاونين من العناصر السورية اكتشف امرهم واعتقلوا قبل ان يتمكنوا من رفع علم التمرد .

خلال عام ١٩٥٧ ، توثقت العلاقات بين «اسرائيل» وايران اكثر فأكثر ، في جميع المجالات تقريبا . فبعد حوالي سنة من حملة سيناء ، اي في ايلول ١٩٥٧ ، وصل الجنرال تيمور بختيار نائب رئيس الحكومة الايراني الى باريس ، وطلب مقابلة السفير الاسرائيلي في فرنسا يعقوب تسور . وجرت المقابلة في بيت يعقوب كروز المستشار السياسي في السفارة . واستعرض بختيار وتسور التطورات في الشرق الاوسط ، واعربا عن قلقهما من التغلغل السوفياتي في مصر وسوريا . واعرب نائب رئيس الوزراء الايراني ، الذي كان مسؤولا عن «السفاك» ايضا ، عن اعجاب الشاه من كفاءة الجيش الاسرائيلي وقدرة «اسرائيل» على التغلب على جاراتها العربيات ، واعرب عن قلق ايران من نوايا الدول العربية في الخليج العربي ، واقترح باسم حكومته تعاونا وتبادل آراء بين «اسرائيل» وايران ، واستقبلت الحكومة الاسرائيلية بسرور المبادرة الايرانية ورحبت بها . وفي تشرين أول ١٩٥٧ توجه موظف اسرائيلي الى روما للالتقاء مع بختيار، واشترك في الاجتماع ايضا يعقوب كروز المستشار السياسي في باريس ، وعمق هذا الاجتماع العلاقات بين الجانبين . وفي كانون اول ١٩٥٧ ، توجه كروز في اول زيارة لطهران تمهيدا لتبادل الزيارات بين الشخصيات الاسرائيلية والايرانية على مختلف المستويات في المستقبل . وبعد وقت ما عين الدكتور تسفي دوريئيل ممثلا لغرفة التجارة الاسرائيلية في طهران . لقد اشتمل التعاون المشترك مع ايران مواضيع كثيرة ، فبعد عملية «كادش» اي حملة سيناء بدأت العال العمل في طهران بوساطة وكالة خادمة تدعى «السائح» كانت تدار على يد موظف سابق في شركة سوليل بونيه . لكن في عام ١٩٥٨ كان للشركة ممثل دائم في طهران . وفي اعقاب مفاوضات اجراها افرايم بن ارتسي ومردخاي بن آرى مع وزارة المواصلات الايرانية ، منحت «اسرائيل» حق رحلة طيران واحدة في الاسبوع الى طهران . وفي آب ١٩٦٠ دشن هذا الخط رسميا . وبعد ذلك بسنتين ، اقترحت «اسرائيل» فكرة اخرى لتطوير العلاقات الجوية مع طهران ، ففي ١٩٦٢ افتتح خط جوي جديد ثابت ، اللد — طهران — نيروبي — جوهانسبورغ — وكانت الرحلات الجوية الى طهران أكثر ، حتى ان شركة العال بدأت في السنوات الاخيرة بتسيير رحلة جوية الى طهران يوميا ، هذا بالاضافة الى رحلات خاصة ورحلات بضائع .

من خلال رغبة ايران في عدم تدهور علاقاتها مع العالم العربي ، منعت شركة الطيران الاسرائيلية من فتح مكتب رسمي لها في طهران ، ولكنه في آب ١٩٧٠ ، وبعد

وفاة جمال عبدالناصر ، غضت السلطات الايرانية الطرف عن رغبة الشركة الاسرائيلية من فتح مكتب رسمي لها في طهران . واشترطت السلطات الايرانية عدم وضع اية علامة على الباب تدل على ان هذا المكتب يعود لشركة اسرائيلية . لكن هذا الشرط الغي بالتدريج . ونشرت العال في الصحف الايرانية اعلانات كبيرة عن نشاطاتها ، كما رفعت لافتة على المكتب تبرز هويته الاسرائيلية . لكن «قمة» التعاون الاسرائيلي ــ الايراني كان في مجال النفط . وكانت «اسرائيل» قد بدأت منذ عام ١٩٥٣ شراء النفط من ايران عن طريق وسطاء مختلفين . لكن الاستهلاك الاسرائيلي من النفط كان حتى حملة السويس بسيطا اما بعد حملة السويس ، فقد تغيرت الظروف الجغرافية ــ السياسية في المنطقة ، وفتحت حرية الملاحة الى خليج ايلات امكانيات اقتصادية كثيرة. كما ان قطع العلاقات الاسرائيلية ــ السوفياتية ، بسبب التأييد السوفياتي لمصر ، ادى الى توقف استيراد النفط من الاتحاد السوفياتي وفرض على «اسرائيل» البحث عن مصادر اخرى جديدة .

في أعقاب اتصالات غير رسمية مع شركة النفط الايرانية ، اتضح ان ايران لا تمانع في تزويد «اسرائيل» بالنفط بطريقة غير مباشرة .

وفي مطلع عام ١٩٥٧ ، وصل مندوب من شركة النفط الايرانية الى «اسرائيل» ، لاجراء محادثات مع وزير الطاقة الاسرائيلي آنذاك ليفي اشكول ، ومع وزير التجارة والصناعة بنحاس سبير ، ومن اجل ابقاء امر الزيارة سرا ، نزل الضيف في منزل خاص في رمات جن ، وكان عدد الاشخاص الذين اتصلوا به محدودا جدا . كما اجتمع الضيف الفارسي مع رئيس ادارة الوقود يسرائيل كوزلوف ، ومع المسؤول عن العملة الاجنبية الدكتور تسفي دينشتاين . وبناء على اقتراح كوزلوف حدد اسلوب الدفع مقابل النفط الذي يزود «لاسرائيل» . وكان السعر في ذلك الوقت ١٫٣٠ دولار للبرميل الواحد .

ادى الاتفاق مع ايران الى دفع «اسرائيل» لوضع خط انابيب بقطر ٨ انش لنقل النفط من ايلات الى بئر السبع ، ومن هناك بطريق البر الى مصافي التكرير في حيفا . وتم تمديد الخط خلال ١٠٠ يوم ، وفي نهاية عام ١٩٥٧ كان النفط يتدفق من خلاله .

لقد اعتبرت «اسرائيل» هذه الاتفاقية مكسبا سياسيا كبيرا . فعلى الرغم من ان المحادثات جرت بين «اسرائيل» ومندوب من شركة النفط الايرانية ، وكانت تحمل طابعا فنيا فقط ، فقد اعتبرت «اسرائيل» ان الشاه على علم بذلك ، ولولا موافقته لما جرت تلك المحادثات . وادى هذا الاعتقاد الى فتح « صفحة جديدة » لتعميق العلاقات بين «اسرائيل» وايران في مجالات اخرى .

وبناء على ذلك ، ارسل بن غوريون ، في مطلع عام ١٩٥٨ ، رسالة شخصية الى الشاه ، شرح فيها الوضع في الشرق الاوسط والمخاطر التي تهدد العالم الحر نتيجة للاعمال السرية المصرية والسورية ، بتشجيع من الاتحاد السوفياتي . وهي الافكار التي ذكرها بن غوريون في رسالة الى وزير الخارجية الاميركي حتى نهاية آب ١٩٥٧. وطرح بن غوريون فكرة التعاون مع ايران ، واعتبر ذلك استمرارا لاعمال الملك كورش من أجل اليهود . وتضمن رد الشاه تضامنا مع بن غوريون بشأن نظرته الى الوضع في الشرق الاوسط ، واشار الشاه الى ان ذكرى سياسة كورش تجاه اليهود عزيزة عليه ، ووعد باستمرار العمل وفقا لتلك التقاليد القديمة .

وقع في عام ١٩٥٨ حدثان تركا آثارهما على جميع التطورات السياسية التي حدثت في الشرق الاوسط ، واديا الى ازدهار آخر في العلاقات الاسرائيلية ـــ الايرانية ـــ التركية ، وهما الوحدة بين سوريا ومصر ، في شباط ١٩٥٨ ، والانقلاب العسكري الذي وقع في العراق في تموز ١٩٥٨ . واعربت تركيا وايران عن قلقهما من اقامة الدولة السورية ـــ المصرية الجديدة ، واعتبرتاها اداة رئيسية في تعميق التغلغل السوفياتي في الشرق الاوسط . وابدت حكومة عدنان مندرس التركية تحفظها المطلق من سيطرة عبدالناصر على دمشق ، وظهور جار مصري قوي على حدودها الجنوبية . وكانت مخاوف انقرة معروفة لدى «اسرائيل» ايضا . وفي مطلع الخمسينات عيـــن الياهو ساسون ، الذي كان رئيسا للدائرة العربية في الوكالة اليهودية في فترة الانتداب البريطاني ، اول سفير اسرائيلي في انقرة وادت سعة اطلاعه في مشاكل الشرق الاوسط «واصله» السوري ، ومعرفته بعناصر الحركة القومية السورية ، الى جعله شخصية موثوقة في نظر المسؤولين عن الشؤون العربية في العاصمة التركية . وفي غضون وقت قصير تكوّنت علاقات وثيقة بين الياهو ساسون والمسؤولين في انقرة ، وكان الكثيرون يستشيرونه بالنسبة لتطورات مختلفة في العالم العربي . فبالاضافة الى روئفين شيلوح طوّر ساسون سلسلة من العلاقات مع زعماء عرب ، واجرى معهم لقاءات في عواصم اوروبية مختلفة . عندما اقيمت الوحدة بين سوريا ومصر ، كان ساسون سفيرا «لاسرائيل» في روما ، بينما كان روئفين شيلوح يقوم بمهام سرية من قبل وزارة الخارجية ، ومن بين هذه المهام ، اجراء اتصالات مع قيادة حلف الاطلسي في باريس ، وتطلبت التطورات التي حدثت في الشرق الاوسط ، استغلالا ، فوريا لعلاقات هذين الشخصين في تركيا . ففي شهر نيسان ١٩٥٨ ، اجتمع الياهو ساسون في باريس مع وزير الخارجية التركي فلن زورلو ، واظهر الاثنان توافقا في الآراء بشأن اهمية اقامة الجمهورية العربية المتحدة والخطر الذي يهدد دول المنطقة ، نتيجة لتعمق التغلغل السوفياتي واتفق ساسون وزولو على ضرورة اجراء لقاء آخر على مستوى اعلى . وبعد وقت قصير ، جاء بالفعل الى استنبول وفد اسرائيلي عالي المستوى برئاسة وزيرة الخارجية الاسرائيلية جولدا مئير ، حيث اجتمع بوفد تركي ضم فطين زورلو وعددا من المسؤولين الاتراك ، على ظهر سفينة في مياه البوسفور وبحثت خلال

الاجتماع امكانية قيام بن غوريون بزيارة سرية الى تركيا . لكن في تلك المرحلة كان الاتراك لا يزالون يتحفظون من تطوير علاقات وثيقة مع «اسرائيل» .

قرر بن غوريون كسب تأييد الولايات المتحدة الى جانبه . فقد اوضح بن غوريون في رسالة بعثها الى ابا ايبان السفير الاسرائيلي في واشنطن فكرته بشأن « حلف دول الاطار » ، وقال في رسالته : « في الخطة المقترحة ، توجد حلقة واحدة ضعيفة ، هي تركيا . فهذه دولة عضو في حلف شمال الاطلسي ، وأمنها لا يتعلق بحلف بغداد . وتتمتع تركيا ايضا بدعم اميركي اكثر من ايرانوكرهها للعرب اقل من كره الايرانيين لهم . كما ان الزعماء الاتراك متلونون ايضا . على الرغم من انه توجد آمال معينة لنجاح خطتنا ، فهناك واقع عملي في الشرق الاوسط يفتح امامنا بابا للنجاح . فاذا ما تبنت الولايات المتحدة لنفسها فكرة حلف بين «اسرائيل» وايران وتركيا والحبشة ، فسيكون من المحتمل خلق شيء هام من ذلك . وعلاقاتنا مع ايران والحبشه هي على مستوى عال جدا ، في ايران مع الشاه ، ومع الامبراطور في الحبشة . ولا ضرورة لان نقيم فورا حلفا رسميا . لكن تنمية علاقات صداقة وتعاون مشترك ، ولو كانت سرية حاليا ، في مجالات العلوم والشؤون الاقتصادية ستكون لها اهمية كبرى . والعلاقات مع ايران والحبشة تزداد قوة اكثر فأكثر . فاذا حصل لقاء مع الاتراك فسيكون ذلك خيطا ثالثا له احتمالات كثيرة ، وان حسن العمل من جانب الولايات المتحدة من شأنه المساعدة في تنفيذ هذه الفكرة .

كان واضحا من رسالة بن غوريون تلك ، ان «اسرائيل» كانت في ربيع عام ١٩٥٨ تنادي بتنفيذ فكرة مد خط انابيب ضخم لنقل النفط الفارسي من ايلات الى البحر المتوسط . لكن هذه الخطة خرجت الى حيز التنفيذ بعد عدة سنوات . في صيف عام ١٩٥٨ ، حدثت عاصفة سياسية اجتاحت عدة دول في الشرق الاوسط وهددت بانهيار الكتلة الموالية للغرب في المنطقة . فقد اندلعت في شهر ايار حرب اهلية في لبنان ، بتشجيع السفير المصري في بيروت البريغادير مراد غالب وبمساعدة عملاء من دمشق ، وثارت عناصر مسلمة وعناصر ناصرية على نظام حكم الرئيس «المسيحي» كميل شمعون ، وحاولت اخلال التوازن الطائفي الدقيق الذي كان يرتكز عليه نظام الحكم في «بلاد الارز» . وقام كميل شمعون بطلب العون من العناصر الموالية للغرب في المنطقة . لكن تلك المساعدة كانت محدودة ولم يكن بمقدورها ترجيح الكفة ضد عملاء عبدالناصر في بيروت . ثم جاءت الثورة العراقية في شهر تموز وقضي على النظام الملكي هناك . وادت الثورة العراقية الى زعزعة خطيرة لميزان القوى الاقليمي والعالمي فقد طلب الرئيس العراقي الجديد الكولونيل عبدالكريم قاسم مساعدة جمال عبدالناصر ، وبدا في احدى المراحل ان وحدة بين بلاد ما النهرين وحوض النيل على وشك القيام . وحتى لا تفقد الولايات المتحدة موطيء قدمها في المنطقة ، انزلت قوات مشاه البحرية الاميركيين على شواطيء بيروت وقد حث بن غوريون الرئيس الاميركي ايزنهاور على قمع الثورة العراقية بالقوة .

لكن التصور الاكثر اهمية حدث في المنطقة نفسها ، اذ ان «اسرائيل» ظهرت بسبب تفوقها العسكري البارز ، كسد منيع في وجه تيار القومية العربية وموجة التوسع السوفياتية . وبتأثير من الشاه ، الغت تركيا جميع تحفظاتها تجاه التعاون المشترك مع «اسرائيل» . وقال بن غوريون في مذكراته ليوم ١٦ تموز ١٩٥٨ ، انه تم استدعاء الياهو ساسون على وجه السرعة ، من قبل وزير الخارجية التركي فطين زورلو ، للاجتماع في استنبول . وابلغ زورلو ساسون بأن تركيا تعمل على غرار «اسرائيل» ويسرها خلق تنسيق بين النشاطات السياسية لكلا الدولتين . وقال بن غوريون في مذكراته ايضا : « لقد ابلغني ساسون بموافقة الاتراك على عقد لقاء بين رئيسي الحكومتين . لكنه اذا ما عرف العرب بذلك فسيدمر كل ذلك ، حتى ان الاميركيين سيعرقلون هذه الاتفاقية .

وحتى لا تحدث اية عرقلة من جانب الاميركيين ، عقد بن غوريون جلسة للتشاور في منزل جولدا مئير ، وبحث في الجلسة الطرق اللازمة لتعبئة التأييد الاميركي لفكرة « حلف دول الاطار » . وكان بن غوريون واثقا انه اذا أبلغت الولايات المتحدة كلا من الشاه ومندرس وهيلا سيلاسي بدعمها للتعاون بينهم وبين «اسرائيل» ، فان العلاقات ستزيد قوة اكثر بين الدول الاربع . وبعث بن غوريون رسالة شخصية الى ايزنهاور. وبدأ بن غوريون رسالته باستعراض واسع للوضع في الشرق الاوسط ، في اعقاب الثورة العراقية . وأعرب عن مخاوفه من ان سيطرة عبدالناصر على الشرق الاوسط ستؤدي الى سقوط النظام الملكي في ليبيا والقضاء على النفوذ الاميركي والبريطاني هناك . وتوقع خطر وقوع انقلاب شيوعي في ايران ، واستيلاء مصري على السودان الامر الذي سيعرض للخطر استقلال اثيوبيا . وتابع بن غوريون يقول في رسالته : « لكي نضع سدا منيعا في وجه الموجة الناصرية ــ السوفياتية ، بدأنا بتوثيق علاقاتنا مع عدد من دول الدائرة الخارجية للشرق الاوسط ، وهي ايران وتركيا واثيوبيا ؛ واوجدنا علاقات صداقة وثقة متبادلة مع الشاه الايراني وامبراطور الحبشة كما توثقت علاقاتنا مع تركيا مؤخرا ، لكنها خارج الصعيد الدبلوماسي المتعارف عليه . وهدفنا خلق مجموعة دول قادرة على الصمود بصلابة في وجه مد التوسع السوفياتي بواسطة عبدالناصر وانقاذ حرية لبنان وربما سوريا في وقت ما ايضا » .

لقد كرر بن غوريون المناداة بتنفيذ فكرته بشأن مد خط انابيب للنفط من ايلات الى البحر المتوسط ، وذلك لتجاوز قناة السويس وتقليص ابتزازات عبدالناصر بقدر الامكان . وحث الرئيس ايزنهاور على جعل تركيا وايران واثيوبيا تشعر ان تعاونا مع «اسرائيل» يحظى بتأييد الولايات المتحدة .

في ٢٤ تموز سلم ابا ايبان رسالة بن غوريون الى جون فوستر دلاس الذي نقلها بدوره الى الرئيس الاميركي ايزنهاور ، وبعد ايام قليلة ، امر الرئيس ايزنهاور

وزير خارجيته بالبدء في اجراء اتصالات مع الدول الثلاث حول فكرة رئيس حكومة «اسرائيل» ، وكان التأييد الاميركي مؤكدا .

في ٢٨ آب ١٩٥٨ طار بن غوريون سرا الى أنقرة ، وبعد اجتماعين عقدهما مع رئيس وزراء تركيا ووزير خارجيته ، توصل الجميع الى تفاهم بعيد الاثر حول القيام بنشاطات مشتركة في البحر المتوسط ، وبما ان تفاهما مماثلا كان قد حصل بين «اسرائيل» وكل من ايران واثيوبيا ، فقد اصبحت فكرة « حلف دول الاطار » في طريق النور والتبلور .

بعد توقيع الحلف التركي — الاسرائيلي ببضعة اسابيع ، برزت التغيرات العملية التي طرأت على مكانة «اسرائيل» السياسية . فقد ادى نجاح «اسرائيل» . في عملية مد خط الانابيب من ايلات الى بئر السبع ، الى دفع بن غوريون لمحاولة شراء النفط من ايران مباشرة . كما ان الهجرة اليهودية الواسعة الى «اسرائيل» زادت من استهلاكها النفطي ، مما جعل «اسرائيل» بحاجة الى تزويد بالنفط بصورة مستمرة ، وبناء على علاقات مستقرة . وبعد محاولات جس نبض بطرق مختلفة اقتنعت «اسرائيل» بأن الشاه لن يعارض في خلق علاقات مباشرة بين «اسرائيل» وايران .

لقد كان الشاه مقيدا من قبل شركات النفط في مجال التسويق . لذلك اعتقد الشاه بأنه بمساعدة «اسرائيل» ويهود العالم ستكون ايران قادرة على تسويق نفطها الخام بدون اي عائق .

في خريف عام ١٩٥٨ ، امر بن غوريون ليفي اشكول بالتوجه الى طهران لاجراء محادثات مع الشاه ، حول تزويد «اسرائيل» بالنفط بصورة مباشرة . وتوجه وزير الطاقة الاسرائيلي الى طهران على متن طائرة تابعة لشركة الطيران الفرنسية « اير فرانس » وكان يرافقه يسرائيل كوزلوف وتسفي فينشتاين ولم يمر الوفد الاسرائيلي على محطة التفتيش في مطار بن غوريون ، كما حجز المقصورة الاولى كاملة ، دون ان يشعر اي مسافر على متن الطائرة بوجود اعضاء الوفد . وفي مطار مهرباد استقبل الوفد الاسرائيلي من قبل الجنرال تيمور بختيار ، نائب رئيس الحكومة الايرانية ، الذي كان مسؤولا آنذاك عن السفاك ايضا ، وكذلك رؤساء شركة النفط الايرانية ، وحل الوفد ضيفا في مقر الضيافة الرسمي للحكومة الايرانية في شمال المدينة ، وبعد اجراء عدة تحضيرات توجه اشكول ، للاجتماع مع الشاه ، على انفراد . واستغرقت المحادثة التي جرت باللغة الانجليزية حوالي ساعة . وكانت مريحة جدا . وابلغ اشكول الشاه بتحيات بن غوريون ، واستعرض امامه الاتصالات الاسرائيلية — التركية وبعد ان تبادل الاثنان الآراء حول التطورات الاخيرة في العراق ومصر وسوريا ، انتقل اشكول للحديث عن « ثورة المياه » في «اسرائيل» . وتحدث وزير الطاقة الاسرائيلي

للشاه عن « الثورة الزراعية » في «اسرائيل» ، وزيادة المحاصيل نتيجة لاستخـدام الآلات ، وعن « التمويل المهني » الذي يجتازه المهاجرون الجدد ، الذين يتم استيعابهم في مشاريع الاستيطان المختلفة . وقال اشكول للشاه بحماس : « الماء يحيي كل نفس » وكان اشكول يأمل في قلبه بمشاركة «اسرائيل» في مشاريع الري الايرانية . أما بالنسبة للنفط فقد تحققت تقديرات بن غوريون كاملة . وأعرب الشاه عن عدم معارضته لتزويد «اسرائيل» بالنفط مباشرة ، وقال انه لا يؤيد استخدام النفط كسلاح سياسي . وقال اشكول لزملائه في مقر الضيافة بعد عودته من لقاء الشاه : « ان الاولاد يستطيعون شراء النفط هنا بدون اي صعوبات » . ومن ثم عاد الوفد الاسرائيلي الى «اسرائيل» بنفس السرية والطريقة التي غادر بها الى ايران . مقابل التطور الذي حدث في مجال النفط ، حدث تطور آخر ايضا في المجال السياسي . ففي ٢٧ كانون اول ١٩٥٨ قررت الحكومة الايرانية استئناف عمل بعثتها الدبلوماسية في «اسرائيل» . وكان ممثلا دبلوماسيا ايرانيا قد عمل بالفعل في «اسرائيل» في بداية الخمسينات ، وهو رضـي سائينيه . لكنه بعد استلام مصدق السلطة في ايران ، طلب اعادة الممثل الايراني من «اسرائيل» الى ايران في أيار ١٩٥١ ، وبعد اعلان الوحدة المصرية — السورية ، اعلنت الحكومة الايرانية في ١٤ شباط ١٩٥٨ بأن سويسرا ستتولى رعاية المصالح الايرانية في «اسرائيل» . أما الآن فقد خطت ايران خطوة اخرى ، وقررت اقامة سفارة مستقلة في «اسرائيل» برئاسة محمد تيموري ، على الرغم من ان البعثة الدبلوماسية الايرانية في «اسرائيل» كانت ملحقة رسميا بالسفارة السويسرية في تل ابيب . وكان الشرط الايراني الوحيد لذلك هو ابقاء القرار بهذا الشأن سرا . وفي المقابل اتسع نطاق نشاطات البعثة الدبلوماسية الاسرائيلية في طهران ، على الرغم من عدم الاعتراف بمكانتها الدبلوماسية .

في صيف ١٩٥٨ ، طرأ على النشاط الاسرائيلي في ايران حركة كبيرة لدى تعيين ميئير عيزرى مساعدا للدكتور تسفي دورئيل . وكان ميئير عيزرى من مواليد ايران في عام ١٩٢٤ ، ومنذ هجرته الى اسرائيل في عام ١٩٥٠ ظل يعمل مديرا لدائرة الناطقين بالفارسية في حزب مباي ، ومحررا لصحيفة « كوخاف همزراح » أي نجم الشرق ، الناطقة باللغة الفارسية .

لقد اتضح ان اختيار عيزرى لهذا المنصب كان موفقا تماما . فقد شغل فيما بعد عدد كبير من تلامذة مدرسته الثانوية في طهران مناصب كبيرة في الجهاز الحكومي ، واستلم بعضهم وزراء في الحكومة ايضا . وفتحت هذه الحقيقة امامه ابواب المؤسسات الايرانية ، مما ساعد «اسرائيل» في جميع المجالات .

لقد ادى استخدام بعثات دبلوماسية مستقلة في تل ابيب وطهران الى تطوير العلاقات بين الدولتين ، واشتمل التعاون بينهما جميع المجالات ، ففي نهاية الخمسينات لم تكن اية دولة في الشرق الاوسط تتمتع بعلاقات اوثق مع ايران من «اسرائيل» .

فعلى سبيل المثال ، في صيف ١٩٥٩ انهى ابا ايبان مهام منصبه كسفير «لاسرائيل» في واشنطن ، وبناء على توصية من بن غوريون كان ايبان من بين المرشحين في قائمة حزب ماباي لانتخابات الكنيست وكان الشاه على علم بمكانة ايبان الدبلوماسية الرفيعة في العاصمة الاميركية ، لذلك طلب الشاه من ايبان القدوم الى طهران حيث شرح للملك الايراني هناك لمدة ساعة كاملة السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، وتبادل معه الآراء حول موقف الولايات المتحدة تجاه مختلف الدول العربية . وبعد ذلك ابلغ ايبان بن غوريون ، بأنه تأثر كثيرا من شخصية الشاه واطلاعه على خفايا الدبلوماسية على المستوى الاقليمي والدولي . ومن معارضته العميقة لعبدالناصر . واعرب ايبان عن تقديره بأن التعاون المشترك بين «اسرائيل» وايران قد يتسع ويشمل مجالات اخرى . وبالفعل ، فقد كان اهم تطور في العلاقات الايرانية — الاسرائيلية في عام ١٩٥٩ يتعلق بموضوعين : خطط التطوير المشتركة . ومشاكل النفط . ففي اعقاب زيارة وفد اسرائيلي رسمي ضم مندوبين عن عدد من الوزارات الاسرائيلية الى طهران ، وافقت ايران على دمج «اسرائيل» في تنفيذ خططها التطويرية .

لقد سبق زيارة الوفد الاسرائيلي الرسمي لطهران ، زيارة شخصية قام بها عيزرا دنين المستشار السياسي لوزير الخارجية ، وسفير خاص لشؤون الزراعة . ويعتبر عيزرا دنين أحد الخبراء الاسرائيليين في شؤون الشرق الاوسط ، وكثير من نشاطاته لا زالت سرية حتى يومنا هذا . ان تجربته السياسية المتنوعة وعمق اطلاعه في الشؤون الزراعية . جعلته من اهم المبعوثين الاسرائيليين . فقد تجول دنين في ايران عرضا وطولا ، والتقى مرتين بالشاه لاجراء محادثات مطولة ، وأدت نصائحه في مجال الزراعة الى زيادة في المحاصيل مما رفع مكانة «اسرائيل» في نظر الايرانيين .

أما بالنسبة للنفط ، فقد ادى تزويد النفط المتواصل من ايران «لاسرائيل» الى الاعتقاد بأن الوقت قد حان لمد خط انابيب جديد بقطر ١٦ انشا ، وكان بن غوريون قد كتب عنه للرئيس الاميركي . وفي مقهى متواضع في تل ابيب ، جلس بنحاس سبير ووضع قائمة بأسماء مستثمرين تقليديين لتنفيذ مد الخط الجديد باستثمار حوالي ١٨ مليون دولار . واشتملت قائمة المستثمرين على اسماء مستثمرين من القطاع الخاص والقطاع الهستدروتي . ولكي يقنع سابير المستثمرين بأنهم لا يضعون أموالهم ، على قرن غزال ، تمكن من اشراك مستثمر يهودي من اوروبا في المشروع . وكانت تلك اول علاقة تجارية بين «اسرائيل» وعائلة روتشيلد ، حيث حشد البارون ادموند روتشيلد حوله مجموعة من المستثمرين اليهود في اوروبا والولايات المتحدة ، ومعظمهم لا زالت له علاقات مع «دولة اسرائيل» حتى يومنا هذا .

في بداية عام ١٩٦١ ، توجه سابير لاجراء محادثات مع الشاه في طهران ، ورافقه الدكتور تسفي دينشتاين ويسرئيل كوزلوف . وكان سابير جاهزا تماما لاجراء المحادثة

مع الشاه . بعد ايام قليلة ابلغت «اسرائيل» بأن الشاه حمل انطباعا جيدا عن شخصية سابير ، وانه وافق على زيادة كميات النفط المخصصة «لاسرائيل» . وقبيل نهاية العام شغل انبوب النفط الكبير ايلات ــ بئر السبع ، واصبح يشكل شريان النفط الرئيسي «لاسرائيل» حتى حرب عام ١٩٦٧ ، ان استعداد الشاه لتعميق تعاونه مع «اسرائيل» كان ينبع من اعترافه بأن «اسرائيل» حليفة «مخلصة» ، وانها تشكل سدا قويا ، امام رغبات التوسع الناصرية في العالم العربي . وجاء تعبير الشاه عن هذا الاستعداد في موافقته على تعيين العقيد يعقوب نمرودى ملحقا عسكريا في ايران ، لذلك كان يعرف ايران جيدا ولغتها وزعماءها أيضا .

في أعقاب زيارة قام بها مستشار وزير الخارجية رؤفين شيلوح الى طهران ، اتفق على انشاء علاقات دبلوماسية كاملة بين ايران و«اسرائيل» وبناء على توصية جولدا مئير ، اتفق على تعيين موشه ساسون سفيرا «لاسرائيل» في طهران . ونقل اسم ساسون الى وزارة الخارجية الايرانية كالعادة ، وكان يفترض ان يعلن الاسم في اطار بيان بشأن قرار ايران الاعتراف بــ«اسرائيل» . لكن حكومة ايران ارادت ان يتم الاعتراف على مرحلتين ، للتعرف في البداية على ردود فعل الدول العربية وفي مؤتمر صحفي عقد يوم ٢٣ تموز ١٩٦٠ ، اكد الشاه علانية ان بلاده اعترفت بــ«اسرائيل» قبل عشر سنوات وانها لا زالت تعترف بها . وفي ٢٦ تموز ، اعلن عبدالناصر خلال خطاب شعبي قاس قطع العلاقات الدبلوماسية مع ايران . وخاطب عبدالناصر الشاه بقوله : «انظر اين زملاؤك ، نوري السعيد وعدنان مندرس ، ان نفس المصير بانتظارك» .

ابلغ القرار الرسمي بقطع العلاقات المصرية ــ الايرانية الى السفير الايراني في القاهرة جامشيد جاريب ، وامر بمغادرة القاهرة في غضون ٤٨ ساعة ، وفي ٢٧ تموز، قال محمود فوزي وزير خارجية مصر « ان اعتراف الشاه «باسرائيل » كان بايحاء من جهنم » ، بينما قالت الصحف المصرية ان ايران تساعد على هروب اليهود من سوريا بمنحهم جوازات سفر ايرانية .

وشنت الصحف الايرانية حملة مضادة ضد مصر . وكانت كلما زادت واردات ايران من النفط ، كلما زادت النشاطات السرية العربية ضدها . واطلق عبدالناصر آنذاك اسم الخليج العربي على الخليج الفارسي ، بينما اطلق حاكم العراق عبدالكريم قاسم اسم «عربستان» على الخليج خوزستان الغني بالنفط والمحاذي للحدود مع العراق . كما ادعت مصر ايضا ان ايران توزع في منطقة الخليج العربي بضائع ومنتجات زراعية اسرائيلية ، وبذلك تكون قد خرقت انظمة المقاطعة الاقتصادية العربية ضد «اسرائيل» .

لقد برز ضعف مكانة مصر في العالم العربي آنذاك على الفور ، اذ ان اية دولة عربية لم تحذ حذو عبدالناصر في قطع علاقاتها مع ايران . لكن الملك حسين ارسل رسالة شخصية الى الشاه ، اعرب له فيها عن قلقه من عزم الشاه على انشاء علاقات دبلوماسية كاملة مع «اسرائيل» . وفيما يلي النص الكامل للرسالتين المتبادلتين بين الشاه والملك حسين في هذا الموضوع .

جاء في رسالة الملك حسين الى الشاه ما يلي :

ان الانباء حول عزم ايران على تبادل السفراء مع «اسرائيل» ترغمنا من جديد على توضيح مشاعرنا بالنسبة لهذه القضية . ان جلالتك تعرف تماما موقفنا الملتزم تجاه قضية فلسطين . فبالاضافة الى كونها تمس الامة الاسلامية والعربية في الماضي والحاضر والمستقبل ، فهي قضية عدل وحق مغتصب . والاماكن المقدسة في القدس لا تخص الاردن فقط ، بل كل الامة العربية وكل العالم الاسلامي . لذلك فأنني أطلب من جلالتك التراجع عن اتخاذ هذه الخطوة ، وخاصة بعد ان مضت حتى الآن ١٢ سنة على قضية فلسطين وحكومتكم تقف الى جانب العدل وتدافع عنه . في الوقت الذي ارسل فيه رسالتي هذه اليكم ، فأنني اخاطب بنفس الوقت ضمير الامة الايرانيـــة المسلمة التي قدمت دائما الضحايا من اجل الايمان بالله ، وكان لها دائما تأثير على وحدة العالم الاسلامي وعلى امن الاماكن المقدسة ، وحملت المسؤولية في مهام وطنية في مجالات كثيرة ، وكان موقف ايران بزعامة جلالتكم يحظى دائما بالتقدير من جانب كل زعيم عربي وكل باحث عن العدل . وكان موقفكم هذا افضل برهان على ان جلالتكم كنت من بين الاوائل الذين ضمنوا وحافظوا على الوحدة الاسلامية أمام الاخطار التي تتهددها . لذلك مهما كانت العناصر التي دفعت ايران الى اتخاذ مثل هذه الخطوة ، فهي لا تساوي شيئا ابدا مقابل الاضرار التي ستلحق بالامة الاسلامية وقدرتها على الصمود في وجه الاخطار ، والدفاع عن الاماكن المقدسة للاسلام . وايماني قوي بأن جلالتكم سيتخذ الخطوات المطلوبة لالغاء القرار الذي اتخذته ايران بشأن تبادل السفراء مع «اسرائيل» .

وردا على هذه الرسالة قال الشاه برسالة الى الملك حسين :

تلقيت رسالتك العزيزة بشأن علاقات ايران مع «اسرائيل» ، اريد ان اوضح لك ، كما اوضحت في المؤتمر الصحفي ، وكما اوضح وزير خارجيتنا عباس ارام للسفراء العرب في طهران انه لا يوجد اي تغير في موقف ايران تجاه «اسرائيل» . فعلاقاتنا مع هذه الدولة كانت منذ البداية على أساس الاعتراف بحقيقة قائمة ، وهكذا بقيت حتى الآن . أما مسألة الاعتراف «باسرائيل» رسميا فلم تكن مدار بحث لا في الماضي ولا في الحاضر . ومع ذلك أرى من واجبي أن أشير الى أن حكومة ايران التي أبدت دائما نوايا حسنة تجاه الدول العربية ، والتي ترتبط معها بروابط دينية ، تكتشف الآن مع

الاسف ، ان هذه الدول لا تساعدها ولا تقدر « نواياها الحسنة » ولا تميل الى صداقتها وودها . انني ادعو الله بأن يكون النصر حليف اخي في حربه من اجل الحق والعدل » .

يتضح من خلال الرسالتين المتبادلتين بين الشاه والحسين ان الشاه حدد من جديد علاقاته مع «اسرائيل» على الصعيد العملي وليس القانوني . ولم ينفذ قرار الاعتراف «باسرائيل» رسميا ، وعين موشه ساسون ، الذي كان من المقرر ان يكون سفيرا «لاسرائيل» في طهران ، سفيرا في انقره . على الرغم من ذلك ، لم يؤثر قطع العلاقات المصرية مع ايران على استمرار تطور العلاقات السياسية بين «اسرائيل» وايران . ولهذا فقد عرّج دافيد بن غوريون على طهران ، وهو في طريقه لزيارة رسمية لبورما في كانون اول ١٩٦١ ، من اجل اللقاء معرئيس الحكومة الايرانية علي اميني ، واعلن رسميا ان طائرة بن غوريون اضطرت للهبوط اضطراريا في طهران ، وارسلت طائرة خاصة الى ايران لتمكين بن غوريون من متابعة سفره الى بورما . لكن احدا من المراقبين السياسيين في طهران لم يشك في الهدف الحقيقي لزيارة رئيس وزراء «اسرائيل» .

استقبل بن غوريون في المطار من قبل الممثلين الاسرائيليين في طهران الدكتور تسفي دوريئيل وميئير عيزرى والملحق العسكري العقيد يعقوب نمرودي ونائب رئيس الحكومة الايرانية الجنرال تيمور بختيار . ونقل بن غوريون وحاشيته فورا الى قاعة الضيوف في المطار لاجراء محادثات استغرقت ساعتين مع امينى وكانت تلك المقابلة قد جاءت في وقتها . وكان الشاه يكنّ تقديرا عظيما لبن غوريون . وبعد استلام الرئيس الاميركي كندي السلطة في الولايات المتحدة ، طلب الشاه من رئيس حكومته تبادل الآراء مع بن غوريون حول اهداف الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ، وان يفحص نواياها في منطقة الخليج العربى .

لقد جاءت زيارة بن غوريون لطهران ، في الفترة التى كانت تشهد انحدارا في مكانة مصر وجمال عبدالناصر شخصيا في العالم العربي . فقد حدث انفصال الوحدة بين سوريا ومصر في ايلول ١٩٦١ ، ولم تنجح محاولة قمع الانقلاب العسكري بالقوة . فقد اعيدت قوة كوماندو مصرية بقيادة العقيد سعدالدين الشاذلي الى القاهرة ، بعد ان كانت على وشك الهبوط فوق دمشق وادت التهم المتبادلة بين مصر وسوريا الى تعكير صفو الاجواء بينهما . وكان انفصال الوحدة ، في الواقع ، اشارة الى بداية النهاية بالنسبة للناصرية . وقرر بن غوريون واميني الاستمرار في العمل ضد الناصرية ، كيف لا والخطر الذى يهدد ايران من استمرار وجود السوفيات في سوريا والعراق لم يزل .

في ايلول ١٩٦١ ، اعلن راديو القاهرة ان شخصية عسكرية اسرائيلية زارت طهران وتوصلت هناك الى اتفاق بشأن تعاون عسكري بين البلدين ، وكان الهدف من زيارة بن غوريون لطهران اعطاء مفعول سياسي لهذا التفاهم .

لقد حافظ الايرانيون في البداية على سرية علاقاتهم مع «اسرائيل» ولكنهم في كانون ثاني ١٩٦٣ ، لم يترددوا في الاعلان عن هذه العلاقات . فقد توقف رئيس الاركان الاسرائيلي آنذاك ، الجنرال تسفي تسور ، ومدير وزارة الدفاع اشير بن نتان ، في طهران عندما كانا في طريقهما عائدين من جولة في الشرق الاقصى ، واجريا في طهران محادثات لمدة يومين مع الجنرال حجازي رئيس هيئة الاركان في الجيش الايراني ، ورؤساء الفروع في هيئة الاركان العامة ، ورؤساء الصناعة العسكرية الايرانية . كما اجتمع الجنرال تسور مع الشاه . واستعرض الاثنان لمدة ساعة التدخل المصري في اليمن وانحطاط مكانة عبدالناصر في العالم العربي . وطلب الشاه من الجنرال تسور ابلاغ بن غوريون مدى أهمية توقف الصحافة الاميركية عن مهاجمته ، وطلب مساعدة «اسرائيل» في هذا الموضوع .

ان الاعلان عن زيارة الجنرال تسور واشير بن نتان لطهران بعث الارتياح في «اسرائيل» وساهم في تعميق العلاقات بين الدولتين . فبسبب الشهرة التي نالتها الاذاعة الاسرائيلية باللغة العربية ، طلب من «اسرائيل» المساعدة بتقديم النصائح والتدريب للاذاعة الايرانية باللغة العربية .

ظلت ايران طيلة سنوات كثيرة « زبونا محترما جدا » للصناعة الاسرائيلية ، حيث كانت «اسرائيل» تصدر اليها أنواعا عديدة من الصناعات والمنتجات الاسرائيلية كما ساعد خبراء اسرائيليون في تطوير صناعة النسيج والاسمنت في ايران . ونشأت علاقات بين معهد وايزمن للعلوم وبين مؤسسات التعليم العالي في ايران . وبدأت لجان الطاقة من البلدين التعاون في تطبيق البحوث النووية في مجالات الزراعة والطب .

ان التعاون الاسرائيلي الايراني في مجال الزراعة بالذات ، والضرر لذي لحق بالمؤسسات الدينية من تنفيذ خطة الاصلاح الزراعي ، هما اللذان عمقا جذور عداء رجال الدين للشاه و«اسرائيل» ايضا . فقبل الثورة البيضاء كان ٣٪ من السكان في ايران يسيطرون على ٩٧٪ من الدخل القومي للدولة . وكانت الزراعة في ايران تتألف من خمسة عناصر رئيسية هي : الارض ، الماء ، البذور ، الالة والحيوانات ، والطاقة البشرية وبما ان الفلاح كان يقدم فقط الاعمال اليدوية ، كان يحصل على ٢٠٪ فقط من المحصول ، مما فرض عليه الفقر الدائم لذلك فقد كانت خطة الاصلاح الزراعي ، فضلا عن كونها وسيلة لتقليل النفوذ السياسي للاقطاعيين ، ضرورة اجتماعية ملحة وشرطا اجباريا لتطوير الدولة . وفي المرحلة الاولى من الخطة الاصلاحية ، التي بدأت في ١٩٥٩ ، وزع الشاه على الفلاحين الاراضي التي كانت تابعة للدولة او من املاك القصر . لكنه اتضح فورا ان ذلك ليس كافيا . لذلك قرر الشاه في عام ١٩٦١ مواصلة تنفيذ الخطة وشملت في المرحلة الثانية ١٣٩ر٤٩ فلاحا وكان يتطلب من الاقطاعيين ، في هذه المرحلة التي عرفت « بالثورة البيضاء » ، تسليم الفلاحين الايرانيين كامل

ممتلكاتهم من الارض ، والابقاء على قرية واحدة فقط في ملكيتهم . وحصل الاقطاعيون في المقابل من الحكومة على تعويضات مالية سددت على مدى ١٥ سنة ، او اسهم في ٥٥ مصنعا حكوميا كانت تعطي أصحابها فائدة سنويا بنسبة ٦٪ والحقت الخطة الاصلاحية تلك الضرر ليس فقط بالاقطاعيين بل ايضا بالمؤسسة الدينية ، التي فقدت فجأة العقارات التي كانت مسجلة في الوقف الاسلامي . في ضوء الانجازات الكثيرة التي حققتها الزراعة الاسرائيلية قرر الشاه اشراك «اسرائيل» في تنفيذ خطة الاصلاح الزراعي في ايران . وجرى ارسال مرشدين زراعيين ايرانيين الى «اسرائيل» للدراسة وكان المرشدون الزراعيون الايرانيون ، بعد انهاء دوراتهم في «اسرائيل» يذهبون الى احدى الكيبوتسات في النقب للتطبيق العملي . كما توجه مرشدون زراعيون اسرائيليون الى ايران للمساعدة في تطوير الزراعة الايرانية . وقد امتدح حسن ارسنجاني وزير الزراعة الايرانية «اسرائيل» بقوله : ان «اسرائيل» تعتبر نموذجا جيدا لنا في مجال تنفيذ خطة الاصلاح الزراعي ..

في أيلول ١٩٦٢ ، ضربت هزة ارضية اقليم كازفين ، وقتل في الهزة أكثر من ١٢٠ الف نسمة ودمرت ٤٠ قرية . وهبت دول كثيرة من بينها «اسرائيل» لايجاد مأوى لسكان القرى المنكوبـــة . ووعد الشاه ، خلال جولة سريعة في المنطقة ، باعادة بناء الاقليم على وجه السرعة . وبما ان الشاه كان يعيش صراعا مع الاقطاعيين ورجال الدين ، بشأن خطة الاصلاح الزراعي ، وعد جعل اقليم اكازفين نموذجا لتطوير زراعي حديـــث .

بعد وقوع الهزة الارضية ببضعة ايام ، وصل موشه دايان الى طهران في زيارة رسمية بصفته وزيرا للزراعة . وخلافا للعادة في الماضي ، لم تحاول السلطات الايرانية اخفاء الزيارة ، بل حظيت بتغطية واسعة في الصحف والتلفزيون في ايران . وقام دايان برفقة وزير الزراعة الايراني بزيارة اقليم كازقين ، ووقف على المشاكل التي تعاني منها المنطقة . ووعد دايان ، خلال مقابلته مع الشاه ، بتقديم مســـاعدة «اسرائيل» لاعادة بناء الاقليم .

لقد جاءت زيارة دايان الى طهران بعد وقت قصير من الانقلاب الذي اطاح بالنظام الملكي في اليمن . وفر الامام البدر الى الجبال وكان يحصل على المساعدات من العربية السعودية ، بينما كان النظام الجمهوري بزعامة الكولونيل عبدالله السلال يتلقى الدعم من مصر . وكان عبدالناصر يعتبر مغامرته في اليمن بديلا لفشل الوحدة مع سوريا . وكان الرئيس المصري يأمل في ان يستعيد في اليمن مكانته في العالم العربي ، وان يزيد الضغط على العربية السعودية . وكان ذلك بالنسبة لايران بمثابة تهديد واضح لخطوط نقل النفط في البحر الاحمر .

لذلك بدأ الشاه يبحث عن ظرف لمساعدة القوات الملكية في صراعها ضد النظام الجمهوري بزعامة السلال . لكن مغامرة عبدالناصر في اليمـن ، كانت بالنسبة «لاسرائيل» تعني خروج مصر من الدائرة الحربية، في الوقت الذي كانت فيه «اسرائيل» على وشك الانتهاء من مشروع تحويل مياه نهر الاردن من اجل التطوير الزراعي في النقب . كما خفف تدخل عبدالناصر في اليمن من الضغوط المصرية والنشاطات السرية المصرية التي كانت موجهة ضد الدول العربية الاخرى . وادت هذه التطورات الى خلق اجواء مريحة اكثر لتعزيز التعاون بين «اسرائيل» وايران . وفي ٦ كانون ثاني ١٩٦٣ ، وقع البلدان على اتفاقية لاعادة بناء اقليم كازفين بتمويل ثلاثي يضم الامم المتحدة وايران و«اسرائيل» . وترأس الطاقم الذي كلف بوضع التصاميم والمخططات للاقليم ، والذي ضم ٢٤ خبيرا في مجالات مختلفة آريه اليماف الذي كان قد وضع في السابق مخططات لاقليمي لخيش وعراد في «اسرائيل» واعتمدت التصاميم على الخبرة الاستيطانية التي اكتسبتها «اسرائيل» خلال ٤٠ سنة وكانت تهدف الى مضاعفة الدخل لحوالي ٢٥ الف عائلة ايرانية ثلاثة اضعاف في غضون ست سنوات ، واعتمدت الخطة الاسرائيلية على استغلال كامل للمياه الجوفية المحليـة . وقبل وصول الخبراء الاسرائيليين ، كان سكان اقليم كازفين يزرعون القمح والشعير في الموسم الشتوي ، اما في الصيف فلم تكن هناك اية محاصيل في الاقليم . ولكن بمساعدة الآبار الجوفية ، أصبح بالامكان زراعة الخضروات والقطن وغيرها من المحاصيل . وتم تدريب مهندسين زراعيين ومرشدين وخبراء ايرانيين في «اسرائيل» كي يعودوا للمشاركة في أعمال اعادة بناء الاقليم . وخلال عدة أشهر ، تحول اقليم كازفين الى نموذج رائع لانجازات نظام الحكم . وقام رؤساء ادارة الاصلاح الزراعي باحضار المراسلين الاجانب والصحفيين المحليين الى الاقليم لاثبات نجاح الثورة البيضاء التي قام بها الشاه .

ان المساعدة الفعالة التي قدمتها «اسرائيل» في اعادة بناء اقليم كازفين واشتراكها في تنفيذ خطة الاصلاح الزراعي ، جعلتها هدفا لهجمات المؤسسة الدينية في ايران . وترأس تلك الحملة آية الله خميني ، وكانت ترافقها أعمال ارهاب وتحريض ومصادمات بين آلاف المؤمنين ورجال الشرطة وفي ١١ نيسان ١٩٦٣ ، القى الخميني خطبـة سياسية متطرفة ادت الى نفيه من البلاد . ومن ضمن ما قاله الخميني :

« ان الشاه يلحق الضرر بالدين بناء على اوامر «اسرائيل» . فها هو الشاه يعلن ثورة بيضاء بايحاء من «اسرائيل» . لكن «اسرائيل» لن تنقذ الشاه بينما القرآن هو الذي سينقذ الدولة من ايدي الكفرة . لقد بلغني اليوم ان عددا من رجال الدين استدعوا من قبل السفاك ، وحذروهم بأن عليهم الحرص في خطبهم على ثلاثة امور : يحظر عليهم مهاجمة الشاه ، ويحظر عليهم مهاجمة «اسرائيل» ، ويحظر عليهم القول في خطبهم ان الدين في خطر . يقولون لنا ان هنالك علاقات خاصة بين «اسرائيل» وايران ، لكن ما نوع هذه العلاقات ؟ فها هم الاسرائيليون ينفذون في ايران اعمالا

تخريبيـــة . لماذا لم نقل ذلك بصراحة ؟ ان هذه التصرفات تجعلنا نتساءل هل الشاه اسرائيلي ام انه يهودي ؟ » .

في مجموعة خطابات الخميني ، التي نشرت تحت اسم « حكم الاسلام » ، كتب الخميني يقول : ان اليهود واسيادهم الاجانب يتآمرون على الاسلام ويمهدون الارض للسيطرة على العالم كله . واخشى ان ينجحوا في تحقيق ذلك بأساليبهم الخاصة ، وسبب ضعفنا فقط ، يمكن ان ننهض في احد الايام لنجد ان يهوديا يحكم بلادنا . ليحفظنا الله من مثل هذه الامكانية ، فقد اقيمت في طهران مراكز تبشيرية يهوديـــة ونصرانية وبهائية ، تقوم بتوزيع منشورات مختلفة ، من شأنهما تضليل الشعب وابعاده عن عقيدة الاسلام . أليس من واجبنا تدمير هذه المراكز ؟

لكن هجمات المؤسسة الدينية والاقطاعيين ، لم تمنع الشاه من مواصلة تنفيذ خططه بحماس كبير ..



« المقابل في علاقات الشـــاه
مع اسرائيل والعرب »

أدت سلسلة من التطورات التي حدثت في الحلبة الدولية والعربية ، في مطلع عام ١٩٦٤ ، الى محاولات التوسط بين مصر وايران وتباطؤ معين في رغبة التقارب بين الشاه و«اسرائيل» . فقد انتهى عام ١٩٦٣ ، بينما كان العالم العربي يعاني من وضع لم يسبق له مثيل ، حيث كانت كل دولة تمسك برقبة الاخرى . فعبدالناصر كان مشغولا بمغامرته اليمنية التي استنزفت دماء الجيش المصري وقلعت اموال الخزينة المصرية . ومن اجل عزل قوات جمال عبدالناصر وابقائها في اليمن ، ساعدت ايران والسعودية القبائل الملكية بزعامة الامام البدر ، بينما كانت العراق بزعامة عبدالسلام عارف ، تعيش نزاعا مع نظام البعث في دمشق .

لكنه قبل تشغيل ناقل المياه القطري في «اسرائيل» ، دعا جمال عبدالناصر في ١٣ كانون ثاني ١٩٦٤ الى عقد مؤتمر قمة عربي في القاهرة ، من اجل العمل على احباط خطط التطوير الاسرائيلية واشترك في المؤتمر ثلاثة ملوك وسبعة رؤساء وايران ، ورئيس حكومة واحد . وقرر المؤتمر انهاء الخلافات بين الدول العربية ، وضرورة ايجاد عمل عربي مشترك لتحويل مصادر نهر الاردن ، وحرمان «اسرائيل» من مياهه . وكجزء من التصالح قررت الدول العربية التوسط في النـــزاع بين الشاه وجمال عبدالناصر ، والعمل على استئناف العلاقات الدبلوماسية بين مصر وايران . وفي ٢٤ شباط ١٩٦٤ وصل وزير الخارجية العراقي صبحي عبدالحميد الى طهران في زيارة رسمية تستغرق ٧ ايام وفي المطار ادلى الوزير العراقي بتصريح معاد «لاسرائيل» بشكل خطير . ولكن ، وبناء على تعليمات الشاه ، لم ينشر مضمون التصريح في الصحف والاذاعة الايرانية ، وسلم الوزير العراقي الشاه رسالة شخصية من الرئيس عارف يطلب فيها من الشاه تأييدا ايرانيا علنيا للموقف العربي ضد «اسرائيل» .

لكن الشاه رفض هذا الطلب بشدة ، وقال ان ايران لا تريد التورط في النزاع على مياه نهر الاردن لا لصالح العرب ولا لصالح «اسرائيل» . كما رفض الشاه فكرة اعادة العلاقات الدبلوماسية مع مصر ، وطلب اعتذارا مصريا علنيا كشرط للتصالح مع عبدالناصر ، وبعد فشل الوساطة العراقية طلبت مصر مساعدة عدد من دول العالم المحايدة . وحاول الرئيس اليوغسلافي يوسف بروز تيتو ، ورئيسا حكومتي الهند والباكستان التوسط بين الشاه وعبدالناصر ، ولكن بدون فائدة . وفي نهاية آذار ١٩٦٤ ، وصل الملك حسين ملك الاردن الى طهران حاملا نفس الطلب . وقال الحسين للشاه ان عبدالناصر يعترف بخطئه ، لكنه يعتقد بضرورة استئناف العلاقات بين الدولتين بدون تحقير مصر علانية . لكن الشاه أصر على رأيه ، وهو انه بدون اعتذار علني من عبدالناصر لن تستأنف العلاقات بين البلدين . على الرغم من كل ذلك ، وبسبب الصراع الذي كان دائرا بين الشاه والمؤسسات الدينية ، قرر ضبط علاقاته مع «اسرائيل» والتقليل قدر الامكان من الاعلان عنها . وكان ذلك يتطابق مع آراء الحكومة التي كانت قائمة آنذاك في ايران . وفي ٧ آذار قدم اسدالله علام استقالة حكومته ، بعد ان تمكنت من التغلب على رجال الدين بزعامة الخميني . فقد اعادت حكومة علام الحياة البرلمانية الى البلاد ومنحت حق الانتخاب للمرأة ، وعززت الصراع ضد الفساد ، واعطت دفعة حقيقية لخطة الاصلاح الزراعي . وفي ٨ آذار شكل حسن علي منصور حكومة جديدة ، حيث حافظ فيها عباس ارام على منصبه كوزير للخارجية، وكان رئيس الحكومة الجديد معتدلا في آرائه ومتساهلا في مواقفه ، ولم يكن يتمتع بصفات الزعامة . وبناء على تعليمات الشاه ركز منصور على المشاكل الداخلية ، وترك ارام آراء الشاه بدون مناقشة ، وبدأ يقلص علاقات ايران مع «اسرائيل» واحتجت «اسرائيل» على ذلك ، حتى ان وزيرة الخارجية جولدا مئير بحثت ذلك الموضوع مع ارام في الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك ، ولكن بدون فائدة . وقدم وزير الخارجية الايراني عدة بوادر حسنة تجاه الدبلوماسيين الاسرائيليين في طهران ، فقد منحهم اعفاء من الجمارك ولوحات دبلوماسية لسياراتهم . لكنه لم يكن على استعداد للذهاب ابعد من ذلك في العلاقات السياسية . وفي حديث مع جولدا مئير في نيويورك ، تساءل ارام : ما هو الاهم بالنسبة لكم هل هي المظاهر الخارجيــة أم العلاقات العملية ؟ فالتزود بالاسلحة يجري بانتظام والتصدير الاسرائيلي الى ايران في ازدياد مستمر ، وشركة العال وسعت نطاق رحلاتها الجوية حتى اصبحت طهران محطة انتقال لها في طريقها الى كينيا وجنوب افريقيا . فلماذا انتم مهتمون بالاعلان عن ذلك ؟ وكانت مثل هذ هالتساؤلات تسود العلاقات الاسرائيلية ــ الايرانية سنين طويلة . علاوة على ذلك ، نصحت الولايات المتحدة الشاه بالاعتدال في تقربه من «اسرائيل» وتقليص علاقاته معها ، في ضوء عدم الوضوح في العالم العربي . وفي حديث مع ضيف اجنبي قال الشاه في ٢٦ تشرين ثاني ١٩٦٤ : « لدينا انطباع واضح بأن الولايات المتحدة غير متحمسة لقيام علاقات دبلوماسية كاملة بين «اسرائيل»

وايران . فكلما تشاورنا مع الولايات المتحدة في هذا الموضوع ، قالوا لنا ان الوقت غير ملائم الآن ومن الافضل الانتظار » .

على الرغم من ذلك يبدو ان تطورات داخلية في «اسرائيل» ساهمت في بلورة موقف الشاه في تلك الفترة . فقد ادت استقالة دافيد بن غوريون من رئاسة الحكومة في «اسرائيل» ، في ١٦ حزيران ١٩٦٣ ، الى ابعاد عدد من الشخصيات السياسية الاسرائيلية التي ساعدت في بلورة « سياسة الاطار » التي شملت ايران وتركيا واثيوبيا و«اسرائيل» . كما ان ابعاد تغير الحكم في «اسرائيل» كان قد بحث باسهاب بين الشاه والرئيس الفرنسي الجنرال ديغول ، اثناء زيارة رسمية قام بها الرئيس الفرنسي الى طهران في ١٦ تشرين أول ١٩٦٣ . وكان الشاه قد اجتمع في السابق مرة واحدة مع ليفي اشكول ، بشأن تزويد «اسرائيل» بالنفط . ولكن اشكول بدا الآن في نظر الشاه وكأنه يهتم بالولايات المتحدة فقط ، وانه يهمل سياسة بن غوريون الذي كان يسعى الى خلق توازن بين الولايات المتحدة واوروبا ، وشق طريق الى آسيا وأفريقيا .

لكنه قبيل نهاية عام ١٩٦٤ ، طرأ تحسن على علاقات ايران — «اسرائيل» فقد ادت زيارة نيكيتا خروتشوف الى القاهرة في أيار ١٩٦٤ ، واستلام ليونيد بريجنيف السلطة في ١٥ تشرين أول ١٩٦٤ الى زيادة المساعدات العسكرية السوفياتية لمصر . والغت رغبات عبدالناصر في خلق توازن بين الكتلتين ، التي برزت في علاقات عبدالناصر مع الرئيس كندي . فقد اعتبر عبدالناصر الرئيس الاميركي جونسون مؤيدا «لاسرائيل» لذلك فضل العودة الى الاتحاد السوفياتي ، وعمل على تحقيق اهدافه في افريقيا والشرق الاوسط . وكجزء من رغبات تحقيق الوحدة بين مصر والعراق . وضع عبدالناصر بصورة رمزية بعض الوحدات العسكرية المصرية في بغداد . وزادت هذه الخطوة مخاوف ايران من اشتداد خطورة النشاطات السرية المصرية في اقليم «خوزستان» . وساعد المصريون العراقيين في الدعاية المضادة لايران واشركوا الجامعة العربية ايضا بهذه المهمة . وارغم هذا التطور الشاه على توثيق علاقاقته مع «اسرائيل» ، كوزن مضاد للنشاط السري المصري في منطقة الخليج العربي وعلى الرغم من معارضة وزير الخارجية الايراني عباس ارام ، سمح الشاه للجنرال نعمة الله ناصري قائد الشرطة، بشراء كميات كبيرة من رشاشات عوزى «الاسرائيلية» كما تم تزويد الحرس الشخصي للشاه بأسلحة ومعدات من صنع اسرائيلي . بما ان هذا التقارب لم يترجم الى لغة سياسية حقيقية فقد بعث رئيس الحكومة ليفي اشكول في تشرين ثاني ١٩٦٤ ، رسالة شخصية الى الشاه كرر فيها طلبه بضرورة تنمية العلاقات العلنية بين الدولتين . لكن الشاه خشي ان تؤدي مثل هذه الخطوة الى قطع علاقاته الدبلوماسية مع بقية الدول العربية . لذلك فضل الاستمرار في علاقات متواضعة وسرية مع «اسرائيل» .

في هذه الاثناء ، طرأ تطور ايجابي ايضا في موقف ايران الدولي . ففي اعقاب ازمة الصواريخ الكوبية ، اعلن الشاه ان بلاده لن تسمح ابدا بنصب صواريخ اجنبية على اراضيها . وادى هذا التصريح الى تحسن علاقات ايران مع الاتحاد السوفياتي ، وفي مطلع عام ١٩٦٥ ، زار الشاه موسكو ووقع على صفقة لشراء الاسلحة الخفيفة. كما التزمت موسكو بأن تقيم في اصفهان مصنعا للفولاذ ، مقابل مد انبوب للغاز من ايران الى الاتحاد السوفياتي . وبعد تأمين جناحه مع الاتحاد السوفياتي ، هدأت مخاوف الشاه من العراق ، وبدأ يركز على تثبيت مكانته في الخليج العربي .

لقد استمرت سياسة ضبط النفس في العلاقات مع «اسرائيل» ، حتى بعد اغتيال رئيس الحكومة حسن علي منصور وتعيين امير عباس هويدا بدلا منه . ففي حزيران ١٩٦٦ ، توقف ليفي اشكول رئيس حكومة «اسرائيل» في طهران ، عندما كان عائدا من جولته في افريقيا . وكان الشاه في تلك الفترة في زيارة للمغرب ، واصطحب الجنرال نعمة الله ناصري ، نائب رئيس الحكومة ورئيس مؤسسة السفاك ، اشكول واثنين من مساعديه هما الدكتور يعقوب هرشوع ، وعدى يافه ، الى الاجتماع مع رئيس الوزراء الايراني عباس هويدا ، في مقصورة الضيافة في مطار مهرباد . وكانت تلك اول مقابلة بين هويدا واشكول . واستعرضا خلال المقابلة ، التي استغرقت ساعتين، مجمل العلاقات بين البلدين ومختلف التطورات في الشرق الاوسط . وكانت ايران قلقة في تلك الفترة من الطابع الموالي للسوفيات في نظام الحكم العراقي . وخلال عام ١٩٦٥، كانت قد اندلعت نزاعات حدود بين العراق وايران . وبما ان عبدالناصر كان مشغولا آنذاك في مغامرته اليمنية ، لم يخش الشاه من الوقوف بحزم ضد جارته العراقية . وفي ١٤ نيسان ١٩٦٦ ، توفي الرئيس العراقي عبدالسلام عارف بحادث طائرة وعين مكانه شقيقه رئيس هيئة الاركان العامة الجنرال عبدالرحمن عارف . وبما ان الرئيس الجديد كان ينادي بحل عسكري للمشكلة الكردية ، فقد شن في ايار ١٩٦٦ هجوما واسعا على معاقل الاكراد في شمال العراق ، وكانت ايران تمد يد المساعدة للثوار الاكراد ، وعندما التقى هويدا مع اشكول ، كان باستطاعته القول بأن الجيش العراقي قد هزم مرة ثانية .

لم يكن الوضع في سوريا مماثلا . في ٢٣ شباط ١٩٦٦ ، قام الشباب في حزب البعث بانقلاب عسكري دام تم خلاله الاطاحة بالجنرال امين الحافظ من رئاسة الدولة ، وتم ابعاد واعتقال معظم الزعماء المسنين القدامى والمعتدلين في حزب البعث. وتعاونت الزعامة الجديدة برئاسة الدكتور نورالدين الاتاسي . والدكتور يوسف زعين والجنرال صلاح جديد مع الشيوعيين في سوريا واصبحت سوريا فجأة اكثر دولة موالية للسوفيات في الشرق الاوسط ، الامر الذي زاد القلق في ايران و«اسرائيل» . وكانت العلاقات الدبلوماسية بين ايران وسوريا قد قطعت في عام ١٩٦٥ ، وعندما انضمت لبنان ايضا في عام ١٩٦٦ ، الى الهجمات العربية ضد الشاه ، قطعت

العلاقات معها ايضا وادى تغير النظام في دمشق الى زيادة الدعم السوري للمنظمات الفلسطينية ، مما ادى الى زيادة حدة التوتر على الحدود الاسرائيلية ـــ السورية . وفي اعقاب عدة حوادث اطلاق نار ، حذر ليفي اشكول سوريا في ١٧ ايار من على منصة الكنيست بقوله : « اود ان اوضح لحكام دمشق بأن هذا الوضع لا يمكن ان يستمر » .

على الرغم من ذلك ، لم يتوقع اشكول خلال لقائه مع هويدا في طهران نشوب حرب فورية بين «اسرائيل» وسوريا . وفي ضوء استمرار تدخل عبدالناصر في اليمن. ومعارضة مصر للحلف الاسلامي الذي كانت تنادي به السعودية وتؤيده الاردن وايران، قرر اشكول وهويدا مواصلة تنمية العلاقات بين ايران و«اسرائيل» في جميع المجالات. لكن هويدا طلب من اشكول ابقاء امر زيارته لطهران سرا ، وذلك بسبب التقلبات في العالم العربي . لكن امر الزيارة سرب الى الصحف الاسرائيلية والدولية ، وادى حديث الصحافة عنها الى غضب ايران . وكرد على ذلك ، اجل الايرانيون عدة مرات زيارة وزير الخارجية الاسرائيلي ابا ايبان الى طهران . واخيرا تمت الزيارة في اواخر عام ١٩٦٦ ، بعد التأكيد للشاه باتخاذ اجراءات خاصة لابقائها سرا . وتوجه ابا ايبان الى طهران متنكرا . والتقى ابا ايبان مع الشاه ، واستغرق الحديث بينهما عدة ساعات استعرضا خلاله مواضيع مختلفة ومتنوعة . وتحدث الشاه بارتياح حول نجاح الاكراد بالحاق هزيمة بالجيش العراقي . وعلى الرغم من الاعلان عن مشروع منح الاكراد « الحكم الذاتي » ، الذي اصدره رئيس الحكومة العراقية عبدالرحمن البزاز ، لم يصدق الشاه بأن المشروع سينفذ بالفعل ، واعرب الشاه عن رضاه من موقف ايران و«اسرائيل» القوي في المنطقة ، واستجاب لطلبات ايبان بشأن زيادة الصادرات النفطية «لاسرائيل» . كما اتفق على ان تتم لقاءات سنوية بين وزيري خارجية البلدين لتبادل الآراء حول الوضع في المنطقة . وقبيل نهاية عام ١٩٦٦ ، لم يكن هنالك اي شيء من شأنه تعكير صفو العلاقات بين البلدين ، في المستقبل المنظور . لقد ادت حرب عام ١٩٦٧ ، وانتصار الجيش الاسرائيلي على جيوش مصر وسوريا والاردن والعراق الى خلق واقع سياسي جديد في الشرق الاوسط . «فاسرائيل» لم تبق كما كانت قبل الخامس من حزيران ، كما ان الدول العربية المهزومة لم تبق كما كانت قبل الحرب ايضا .

فاحتلال «اسرائيل» لسيناء منحها العمق الاستراتيجي الذي كانت تعاني منه ، واصبحت قناة السويس تشكل حاجزا طبيعيا بين القاهرة والقدس .

اما هضبة الجولان فقد منحت «اسرائيل» حزاما امنيا حول الحدود السورية . لكن اعادة توحيد القدس تحت السيادة الاسرائيلية واحتلال الضفة الغربية ، خلقا في طهران شعورا بعدم الارتياح وذلك بسبب النظرة الحساسة المتعلقة بسيطرة

يهودية على القدس ، المكان المقدس للاسلام . لكنه لم تمض ايام كثيرة حتى ارغم الشاه على التعامل مع نتائج حرب الايام الستة ، وفقا للاصطلاحات السياسية وليس العاطفيـــة .

على اثر الحرب ، زار وفد عسكري سوفياني برئاسة رئيس هيئة الاركان العامة المارشال ماطي زخروف ، كلا من مصر وسوريا واطلع على اسباب الهزيمة العربية في الحرب . وقامت القطارات الجوية والسفن السوفياتية بانزال الاسلحة والمعــدات العسكرية والمدرعات والدبابات في مطارات وموانيء مصر وسوريا . وكان تزويــد الاسلحة يسير جنبا الى جنب مع عملية اعادة تنظيم بعيدة المدى في الجيش المصري . وكان جمال عبدالناصر قد عزل غداة الحرب جميع طاقم القيادة العليا في الجيش المصري ووزير الحربية المارشال عبدالحكيم عامر . وتوجه رئيس هيئة الاركان العامة الجديد الجنرال عبد المنعم رياض ، على رأس وفد عسكري الى موسكو واجرى مفاوضات مع رئيس الاركان السوفياتي استغرقت حوالي شهر ، حول متطلبات اعادة التنظيم في الجيش المصري . ولم تكن المشكلة متوقفة على الاسلحة والمعــدات العسكرية فقط ، بل شملت ايضا الطاقة البشرية . فقد فقدت مصر في الحرب اكثر من ١٠ آلاف ضابط وجندي ، كما وقع في الاسر حوالي ٥ آلاف جندي من بينهم ٩ جنرالات و ٣٥٠ ضابطا وكانت معنويات الجيش محطمة وكذلك روحه القتالية . لذلك كان الامر يتطلب برامج تدريب مكثفة ، لتعويض الجيش المصري قادته الذين فقدهم في الحرب .

كانت «اسرائيل» قد اعلنت في ذروة المعارك انها لن تعود الى حدود ١٩٦٧ ، ولن تنسحب ، بدون اجراء مفاوضات مباشرة لتحقيق «السلام» ورفض عبد الناصر والدول العربية هذا الشرط ، واتخذت مواقفهم بهذا الشأن صورة فعلية في قرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الخرطوم عاصمة السودان ، في ايلول ١٩٦٧ . وحاولت مصر استئناف الملاحة في قناة السويس ، لكن «اسرائيل» التي كانت ترابط على الضفة الشرقية للقناة تمسكت بحقها في الملاحة في القناة ايضا وبما ان عبدالناصر رفض ذلك ، اتفقت «اسرائيل» ومصر على ابقاء القناة مغلقة .

خلق الوضع الجديد سلسلة من المصالح المتبادلة بين «اسرائيل» وايران . وكان من اهم تلك المصالح تزويد الاسلحة والنفط . كما ان اغلاق قناة السويس منح «اسرائيل» أهمية استراتيجية من الدرجة الاولى ، وذلك بمنع الاتصال المباشر بين وحدات الاسطول السوفياتي في البحر الابيض المتوسط ووحدات الاسطول السوفياتي الاخرى في المحيط الهندي . وسهلت هذه الحقيقة الامر على دول النفط في الخليــج العربي ، ولم تعد تشعر بثقل الضغط السوفياتي . لكنه بالنسبة لايران و«اسرائيل» كان موضوع النفط اهم من ذلك بكثير . فمنذ فقدان «اسرائيل» لمصادر النفط العربية

في عام ١٩٤٨ ، وتوقف تزويدها بالنفط السوفياتي في عام ١٩٥٧ ، كان النفط الايراني يشكل البديل الملائم . وفي غداة انتهاء حرب الايام الستة ، بدأت «اسرائيل» باستغلال النفط في سيناء ، وبعد اكتشاف حقل « علما » ، كان يمكن «لاسرائيل» ان تصل الى درجة الاكتفاء الذاتي وحتى التصدير ، وحسن هذا الوضع وضع «اسرائيل» الاقتصادي ، وعزز قدرتها على مواجهة الدول العربية . لكنه كان يتوجب على «اسرائيل» ان تأخذ في حسابها امكانية الانسحاب من سيناء ، لذلك كان من واجبها تأمين استمرار تدفق النفط الايراني اليها .

ان تزويد النفط الايراني «لاسرائيل» كان يتمشى مع المصلحة التجارية لايران . فمنذ ان أمم مصدق النفط في ايران في أيار ١٩٥١ ، تغيرت الصفة القانونية « للذهب الاسود » في ايران . وبوساطة الولايات المتحدة ، تم في تشرين أول ١٩٥٤ اقامة «شركة النفط الوطنية الايرانية» ، التي استخدمت شركتين تابعتين لها للتنقيب والتكرير . وقام اتحاد الشركات الدولية ، الذي ضم عددا من الشركات من بينها ١٣ شركة اميركية ، بشراء النفط الايراني من الشركة الوطنية ، لكنه ابقى لها كمية معينة للاستهلاك المحلي والتصدير . لكن ايران وقعت في عام ١٩٥٧ على اتفاقيات للتنقيب عن النفط في اراضيها ، مع شركة النفط الوطنية الايطالية « اجيف » ومنح الشاه للشركة الايطالية امتيازا للتنقيب عن النفط في المناطق غير المشمولة في امتياز اتحاد الشركات الدولي وخلقت الاتفاقية الجديدة سابقة هامة بأن منحت ايران في حالة اكتشاف النفط ٧٥٪ من الارباح ، بينما كانت العائدات التي تحصل عليها من اتحاد الشركات الدولي اقل من ذلك بكثير . وفي ايلول ١٩٦٦ ، وقعت ايران على اتفاقية نفط مع فرنسا ايضا ، تحصل بموجبها على ٩١٪ من الارباح . وبناء على ذلك ، تحررت ايران تدريجيا من ارتباطها باتحاد الشركات الدولي ، وبدأت بتسويق نفطها بصورة مستقلة «لاسرائيل» واليابان والارجنتين ورومانيا ويوغسلافيا . لكن اغلاق قناة السويس في اعقاب حرب ١٩٦٧ ، اضر بقدرة ايران على مواصلة تصدير النفط .

اثار هذا التطور فكرة لدى «اسرائيل» بشأن مد انبوب نفط جديد بقطر ٣٢ انشاً من ايلات الى عسقلان ، ومن هناك يتم نقل النفط بناقلات النفط الى اوروبا . وهكذا توجه ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي بعد الحرب ببضعة اشهر الى طهران ، في كانون ثاني ١٩٦٨ ، لابلاغ الشاه بمواقف «اسرائيل» وتقديراتها للوضع الجديد الذي نشأ في الشرق الاوسط . وكان ايبان يعرف بالطبع ان الشاه كان قد دعا «اسرائيل» في ١٠ حزيران ١٩٦٧ بينما كانت الحرب على اشدها ، الى الانسحاب من المناطق التي احتلتها ، بينما دعا العرب الى الاعتراف بوجود «اسرائيل» لكن الحديث في طهران تركز على موضوع انتصار الجيش الاسرائيلي . وروى الشاه لايبان بأنه « قفز من الفرحة » عندما علم بهزيمة عبدالناصر ، وانه أعرب عن فرحته تلك بأن وزع قطعا

ذهبية على مساعديه المقربين . واسهب الشاه في مدح الجيش الاسرائيلي وقادته من امثال رئيس الاركان السابق الجنرال تسفي تسور الذي سبق ان زار طهران في كانون ثاني ١٩٦٣ .

تطرق ايبان الى موضوع انبوب النفط الجديد بشكل عام ، لكنه اكد ان معالجة الموضوع عمليا هي من اختصاص بنحاس سبير ، وان وزير المالية الاسرائيلي يفكر بزيارة طهران لهذا الغرض .

قبل سفر وزير المالية الاسرائيلي الى طهران ، جرت في «اسرائيل» دراسة عميقة بشأن مدى الفائدة من وضع انبوب النفط الجديد بقطر ٣٢ انشاً . واعتقد اشكول بأنه في حالة معرفة المصريين بأمر الانبوب ، سيقومون بمد انبوب مماثل من السويس الى الاسكندرية . وبسبب المقاطعة الاقتصادية العربية ، وامكانية استخدام الانبوب المصري من قبل السعودية وامارات الخليج العربي ، قد يصبح الانبوب الاسرائيلي غير مربح .

توجه سبير الى طهران في ربيع عام ١٩٦٨ ، وبرفقته تسفي دينشتاين ودوف بن درور ، واجتمع هناك بالشاه واعضاء شركة النفط . ومن أجل مد الانبوب في «اسرائيل» ، اقيمت شركة كندية باسم «ترانس آسيايتك اويل كومباني» ، وكانت تلك شركة خط الانابيب ايلات ــ عسقلان . وبدأت اعمال وضع الانبوب الجديد في حزيران ١٩٦٨ ، وانتهت في كانون اول ١٩٦٩ .

اثناء الفترة التى كان تضع «اسرائيل» فيها انبوب النفط ، وقعت في الشرق الاوسط عدة تطورات اثرت بين عشية وضحاها على مكانة ايران الاقليمية والدولية .

ففى اعقاب اعلان بريطانيا اخلاء قواعدها من منطقة الخليج العربي ، قررت ايران في ايار ١٩٦٩ استخدام القوة لتنفيذ حقوقها في شط العرب ، على الرغم من معارضة العراق العلنية . وكانت العراق قد فرضت على ايران تطبيق اتفاقية قديمة ، بين العراق والامبراطورية العثمانية ، يسمح للعراق بموجبها السيطرة على مياه النهر بكاملها وليس بنصفها فقط . وكانت العراق قد حاولت في مطلع الستينات مرتين سلب ايران « حقها » في المرور عبر شط العرب ، باتجاه مصافي التكرير في عبدان ، وميناء خورمشهر في أعلى النهر . لكن ايران غيرت الان الوضع بالقوة : فقد اجتازت سفن ايرانيــة تحت غطــاء جوى مياه شــط العــرب ، بدون رفع علم عراقــى وبدون دفع اجور المرور . وبذلك خلقت ايران حقيقة جديدة في الخليج . لكن ذلك لم يكن كافيا . فبناء على اتفاقية سابقة مع الولايات المتحدة وبريطانيا ، كان الشاه قد تنازل عن مطالبته بالبحرين ، واحتل مقابل ذلك في تشرين ثانى ١٩٧١ الجزر الثلاث المسيطرة على مضيق هرمز . وكاحتجاج على ذلك قطعت العراق علاقاتها مع الشاه

وطردت عشرات الآلاف من المواطنين الايرانيين من اراضيها . لكنه ما عدا تصرف العراق ، هذا الذي كان توقفا منذ البداية ، استقبل العالم العربي تصرفات الشاه تلك باللامبالاة .

ان استعداد ايران قبيل اخلاء القواعد البريطانية من منطقة الخليج العربي وصراعها الشديد مع العراق ، ارغما الشاه على تحسين علاقاته مع امارات الخليج تدريجيا ، بهدف القضاء على نقاط الاحتكاك الاقليمية . وفي اعقاب ذلك ، اصبحت التصريحات الايرانية تجاه «اسرائيل» اكثر شدة فمنذ حزيران ١٩٦٧ ، تبنت ايران موقفا سياسيا يدعو «اسرائيل» الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية التي احتلتها في ١٩٦٧ . وبنفس الوقت يدعو العرب الى الاعتراف بحقيقة وجود «اسرائيل» ، وفي مقابلة مع صحيفة واشنطن بوست ، في ٨ حزيران ١٩٦٩ ، صرح الشاه بأنه من حيث المبدأ يجب عدم التسليم بضم مناطق بالقوة ، لكن «اسرائيل» موجودة ، ويجب « تأمينها » بحدود معترف بها . وقال الشاه ايضا ان المجتمع الانساني سيعتمد في المستقبل على العلم والتكنولوجيا ، وان «اسرائيل» قوية في هذين المجالين . واستشف من أقواله ان تفوق اسرائيل العلمي يؤتي ثماره في ايران ايضا .

في ضوء تعزيز التعاون المشترك بين «اسرائيل» وايران ، حاول فلسطينيون في ٦ آب ١٩٦٩ مهاجمة مبنى البعثة الدبلوماسية الاسرائيلية في طهران . ولم تقع اصابات أو أضرار في المبنى ، لكن أمر المحاولة بالذات ، أشعل ضوءا أحمر لدى «اسرائيل» والحكومة الايرانية معا .

في تشرين أول ١٩٦٩ . وفي أعقاب حريق المسجد الاقصى في القدس ، اشتركت ايران في مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط ، والتقى هناك الشاه مع ياسر عرفات لاول مرة . واحتج الشاه في المقابلة على المساعدة التي يقدمها الفلسطينيون للحركات السرية في ايران ، لكنه لم يحصل من عرفات على جواب ملزم . وفي ربيع عام ١٩٧٠ ، عقد مؤتمر لوزراء الخارجية للدول الاسلامية في جدة . وطلب في هذا المؤتمر من ايران قطع علاقاتها مع «اسرائيل» ، ورفضت ايران الطلب ، لكنها لم تترك مجالا للشك في موقفها من القدس ومستقبل الاراضي المحتلة بأيدي «اسرائيل» . فقد اعلن اردشير زاهدي وزير الخارجية في حكومة هويدا اثناء زيارته للاردن في ربيع عام ١٩٧٠ ، انه يجب على «اسرائيل» الانسحاب من جميع الاراضي التي احتلتها في حرب الايام الستة ، ويجب عودة القدس الى السيادة العربية . لكن التطور الهام جدا في تلك الفترة كان في علاقات مصر مع ايران . فكجزء من اعادة تقييم الوضع في منطقة الخليج العربي ، حثت السعودية ايران ومصر على تحسين العلاقات بينهما . ولم يرفض الشاه هذه الفكرة نهائيا ، لكنه ادعى بأنه ما دام ان مصر هي التي بدأت بقطع علاقاتها يجب على عبدالناصر القيام بالخطوة الاولى في اتجاه التصالح .

وكان مؤتمر قمة الرباط فرصة مناسبة لذلك . ففي عشية انعقاد المؤتمر الاسلامي . « اصيب عبد الناصر بنوبة قلبية لكن المقربين منه قرروا اخفاء الامر . لذلك تقرر ان يمثل السادات مصر في ذلك المؤتمر . وقبل مغادرة السادات . امره عبدالناصر بأن لا يعود الى القاهرة بدون التصالح مع الشاه . فمنذ قطع العلاقات المصرية مع ايران في تموز ١٩٦٠ ، عمقت «اسرائيل» علاقاتها مع الشاه . وهذه الحقيقة ألحقت الضرر بالمصالح الوطنية بمصر » .

فور وصول السادات الى الرباط . اتصل مع الحسين وطلب منه ترتيب مقابلة في غرفته بينه وبين الشاه . وبعد حوالي ساعة ، ابلغ الملك حسين السادات رفض الشاه الاجتماع معه في « منطقة محايدة » . وانه مصر على ان يأتي السادات اليه . وادعى الشاه بأنه ما دام السادات ليس رئيس دولة فليس من العدل اجراء اللقاء في غرفة الملك حسين . لذلك وبمقتضى المراسيم يجب ان يأتي نائب الرئيس المصري اليه . لكن السادات رفض ذلك .

لقد شهدت مباحثات مؤتمر القمة الاسلامي في الرباط جدالا كلاميا بين الشاه ونائب الرئيس المصري وقال السادات في خطابه ، وهو يرمز الى الشاه دون ذكر اسمه بوضوح ، انه يجب على المشتركين في المؤتمر وضع حد لخلافاتهم والتصرف كمسلمين حقيقيين ، وقام الشاه بعد ذلك ليلقي كلمته . ورفض خلالها اقتراحات عربية بشأن قطع علاقاته مع «اسرائيل» ودعا المؤتمر الى اتخاذ قرار واقعي . وطلب السادات من الملك الحسن ملك المغرب رئيس المؤتمر حق الكلام مرة ثانية . وقال السادات بلهجة حادة جدا ان اقتراحات الشاه ضعيفة جدا . وان على مؤتمر القمة الاسلامي النظر الى موضوع حريق المسجد الاقصى في القدس بخطورة اكثر . وذكر السادات الشاه بما جرى لوالده في الحرب العالمية الثانية ، وقال : انني اقدر والدك رضا شاه . لترى ما حدث له . فعندما تجرأ على معارضة رغبات الدول العظمى . عزل من قبل بريطانيا والاتحاد السوفياتي وارغم على مغادرة ايران والموت في المنفى . لكنه عندما تذكر السادات وصية عبدالناصر بدأ يتخذ موقفا اكثر تساهلا . وقرأ للشاه باللغة الفارسية قصيدة لشاعر ايراني مشهور . يدعو فيها الى علاقات اخوة بين الناس . وعندما شاهد الشاه حسن حديث السادات بالفارسية صفق له بحماس . وبذلك تم الصلح بينهما . وادى هذا التصالح الى تحسن الجو في العلاقات بين البلدين لكنه لم يؤد الى استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما .

في ذلك الجو المركب ، تم الانتهاء من وضع خط انبوب النفط ايلات — عسقلان وقد استكمل مد الخط في اوج حرب الاستنزاف على جبهة السويس . لكنه في شباط ١٩٧٠ ، تغلبت ايران على ترددها وضخت في الانبوب الجديد حوالي ١٠ ملايين طن من النفط في السنة . وفي تموز ١٩٧١ ، اعلنت «اسرائيل» عن عزمها زيادة كمية النفط

التي نضخ عبر الانبوب تدريجيا ، حتى تصل الى ٤٥ مليون طن سنويا . وفي المقابل زادت القدرة على التفريغ في ايلات حيث اصبحت الناقلات سعة ٢٥٠ الف طن . القادمة من ميناء التصدير الايراني في جزيرة خرج . تستطيع الرسو في ميناء ايلات . في حين اقيمت في اشدود مصفاة تكرير صغيرة . خصصت لانتاج ٣ ملايين طن من النفط سنويا . وكان الاسطول الايراني يحمي بصورة دائمة خط ملاحة النفط في الخليج العربي ، حتى مضايق هرمز . في حين يتولى سلاح البحرية الاسرائيلي حماية خطوط النفط في مضايق تيران من قواعده في شرم الشيخ . لكنه كانت توجد بين هذين المضيقين نقطتان حساستان رأس الحد . مقابل الساحل الجنوبي ــ الشرقي لعمان . وباب المندب في مخرج البحر الاحمر الى المحيط الهندي . لكنه بما ان امارات النفط العربية كانت معنية « بأمن خطوط النفط في الخليج العربي . لم تكن هنالك مشاكل «امنية» تواجه ناقلات النفط ، وهي في طريقها من ايران الى «اسرائيل» . ومرة واحدة فقط . حاول فلسطينيون ضرب ناقلة نفط « كورال سي » التي كانت تحمل العلــم الليبرى . وكان على ظهرها ملاحون اسرائيليون . وحدث ذلك في حزيران ١٩٧١ . واستعمل الفلسطينيون في ذلك الحادث زورق حراسة سريعا واطلقوا طلقة بازوكا واحدة باتجاه الناقلة . واعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزعامة جورج حبش مسؤوليتها عن الحادث . وادعت الجبهة ان عناصر فلسطينية ركبت قارب حراسة سريعا وخرجت من جزيرة فريم . وبعد ضرب ناقلة « كورال سي » انسحبت الى شواطيء اليمن . وكان ذلك حادثا فريدا . ويبدو انه بتدخل من امارات النفط العربية، لم يحاول الفلسطينيون توسيع نطاق نضالهم ليشمل هذا المجال ايضا .

كان مصدر النفط الايراني يبدو « امينا » للغاية . لذلك لم تتردد «اسرائيل» في انفاق الاستثمارات المطلوبة . لكنه على الرغم من ذلك . بدأت «اسرائيل» في عام ١٩٧٠ البحث عن مصادر بديلة للنفط . وذكرت صحيفة « وورلد بتروليوم » في عددها الصادر في نيسان ١٩٧٠ ، ان ادارة الطاقة في «اسرائيل» حصلت على امتياز للتنقيب عن النفط في غانــا . وكانت هنالك عدة عناصر دفعت «اسرائيل» الى البحث عن مصادر جديدة للنفط . فقد كانت ناقلات النفط الضخمة . التي تدور حول رأس الرجاء الصالح ، تدخل الى البحر الابيض المتوسط عن طريق مضيق جبل طارق بدون صعوبات خاصة ، وبذلك كانت تخفض اسعار النفط بالمقارنة مع اسعار النفط الذي كان يضخ عبر انبوب ايلات ــ عسقلان . لكنه بعد نجاح الانبوب الاسرائيلي ، فكرت امارات النفط العربية ايضا بمد انبوب نفط مماثل من السويس الى الاسكندرية .

في صيف ١٩٧٠ كان وضع عبدالناصر خطيرا جدا . حيث استنزفت حــرب الاستنزاف قوة مصر والحقت بها خسائر فادحة . وظهر ان التدخل السوفياتي في جبهة القناة لا يكفي لوقف الهجمات الاسرائيلية في عمق الاراضي المصرية . ففي اعقاب اقتراح وليام روجرز ، وزير الخارجية الامريكي ، بشأن وقف اطلاق النار

والبدء بالمحادثات . وصل جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الاميركية لشؤون الشرق الاوسط الى القاهرة ، في اول زيارة منذ قطع العلاقات بين البلدين في حزيران ١٩٦٧ ، وقدم سيسكو اقتراحا بوقف اطلاق النار في جبهة قناة السويس . وتوجه عبدالناصر الى موسكو لاجراء محادثات مع زعماء الكرملين واجراء فحوصات طبية . ولم تكن الزعامة السوفياتية ترغب في زيادة تدخلها العسكري ضد «اسرائيل» ، خشية تورطها في حرب مع الولايات المتحدة . لذلك ابلغ عبدالناصر السوفيات بقراره الاستجابة للمبادرة الاميركية وانهاء حرب الاستنزاف ، كما استجاب في تلك الاثناء الى وساطة السعودية والاردن والمغرب وبادر في تحسين علاقاته مع ايران .

وبناء على طلب مصر ، انضمت ايران الى مبادرة تركيا والباكستان وارسلت المجموعة رسالة مشتركة الى الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، بشأن قيام الدولتين الاعظم بفرض تسوية في الشرق الاوسط على اساس قرار رقم ٢٤٢ . وفي حزيران ١٩٧٠ ، توجه موظف مصري كبير الى طهران لاجراء محادثات مع المسؤولين في وزارة الخارجية الايرانية . وفي ٢٣ آب ، وصل الى القاهرة دبلوماسي ايراني كبير هو امير محمود اسفندياري لاجراء محادثات سياسية . وبعد اجراء محادثات مع وزير الخارجية المصرية محمود رياض ، اعلنت مصر وايران عن استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين وجاء الاعلان عن استئناف العلاقات المصرية — الايرانية في وقت كان التوتر يسود العلاقات المصرية — العراقية في اعقاب موافقة مصر على وقف اطلاق النار على جبهة القناة وانهاء حرب الاستنزاف ، لقد اثار استئناف العلاقات الايرانية — المصرية مخاوف لدى «اسرائيل» من احتمال تقليص الشاه لعلاقاته مع «اسرائيل» لكن الحوادث الداخلية اندلعت في تلك الاثناء في الاردن . واجتذبت انتباه واهتمام المنطقة والعالم . ووقف عبدالناصر الى يمين الملك حسين ، وحاول التوسط لحل الازمة . وحظي موقف مصر هذا بتأييد طهران . وبمبادرة من عبدالناصر ، عقد في القاهرة مؤتمر قمة عربي لبحث الازمة الاردنية . وفي ٢٨ ايلول ١٩٧٠ ظهرت بوادر انفراج الازمة في الاردن ، واتخذت الاستعدادات لاقامة قوة ردع عربية لترابط في عمان وتفصل بين قوات الجيش الاردني وبين المنظمة الفلسطينية واستنزف هذا الجهد ما تبقى من قوة عبدالناصر . وعندما كان عبدالناصر يودع آخر رئيس عربي في المطار ، اصيب بنوبة قلبية وتوفي وانتخب انور السادات رئيسا لمصر .

ادى موت عبدالناصر الى منح الشاه مجالا واسعا للمناورة في علاقاته مع «اسرائيل» . ففي مقابلة مع صحيفة يهودية المانية غربية الجميناه ووكنتستونغ ، قال الشاه ان ايران لن تتنكر ابدا «لاسرائيل» نتيجة لضغط دول اخرى . كما ان تسلم السادات الحكم في مصر منح قوة جديدة لجهود السعودية ، بشأن تحسين العلاقات بين القاهرة وطهران . في تلك الفترة حلقت في سماء الشرق الاوسط افكار وزير الخارجية الاسرائيلي موشه دايان ، بشأن تسوية جزئية في جبهة قناة السويس ونظر

السادات الى هذه الفكرة بايجابية . فبالاضافة الى احتمال اعادة فتح قنـــاة السويس للملاحة امل السادات بأن يحصل على تمويل ايراني لوضع خط أنابيب نفط من السويس الى الاسكندرية ، بحيث يشكل رديفا لحركة ناقلات النفط في القناة ؛ ويقلل من اهمية انبوب النفط الاسرائيلي بين ايلات وعسقلان .

في تلك الايام كان السادات يفكر في نسف الاحلاف بينه وبين موسكو ، لذلك كان يؤمن بأن الطريق الى واشنطن يجب ان تمر عبر الرياض وطهران . وكان السادات يعتقد بأن مصر موالية للولايات المتحدة ستعيد لنفسها اهميتها الاستراتيجية . وكدولة تسيطر على مدخلي قناة السويس ستكون مصر قادرة على مراقبة تحركات الاسطول السوفياتي من البحر الابيض الى البحر الاحمر .

وهكذا في غداة اعلان السادات ؛ في ٤ شباط ١٩٧١ . عن استعداده لقبول تسوية جزئية في جبهة قناة السويس ؛ اجتمع وزير الخارجية المصري محمود رياض مع السفير الايراني في القاهرة خوسرو خوسرواني وقدم له تفاصيل من « سياسة السلام » المصرية . وبعد المقابلة توجه السفير الى طهران لاطلاع الشاه على ذلك في اجازته في سويسرا ، وفي ٧ نيسان ١٩٧١ ، وصل رياض الى طهران في زيارة رسمية لايران وسلم الشاه رسالة شخصية من الرئيس السادات . وطلب السادات في رسالته من الشاه التدخل لدى الرئيس الاميركي نيكسون بشأن فرض تسوية في الشرق الاوسط ، وبعد طلب السادات ذلك ، ارسل الشاه رسالة الى الرئيس نيكسون طلب فيها منه استخدام نفوذه في «اسرائيل» ، من اجل العمل على انجاح مبادرة السادات بشأن تسوية جزئية في جبهة قناة السويس . وجاء طلب الشاه عشية قدوم وزير الخارجية الاميركي وليام روجرز ونائبه جوزيف سيسكو ، في زيارته الى القاهرة والقدس . وكان له وزن في بلورة الاجراءات الاميركية في الشرق الاوسط . وفي ١١ أيار وصل وزير الخارجية الايراني اردشير زاهدي الى القاهرة حاملا نسخة من رد الرئيس نيكسون على طلب الشاه وتلقى زاهدي تقريرا حول محادثات روجرز في القاهرة ، ووعد زميله المصري بأن يستخدم الشاه نفوذه في «اسرائيل» لحمل رئيسة الحكومة جولدا ميئير على الاستجابة لمبادرة السادات ، بشأن فتح قناة السويس للملاحة الدولية الحرة . لكن فشل المفاوضات حول هذا الموضوع اثارت خيبة امل عميقة في طهران ، ولم يخف الشاه هذا الشعور عن ابا ايبان لدى قدومه الى طهران لابلاغ الشاه بالموقف الاسرائيلي . وبعد عودته قال ايبان لجولدا مئير « ان الشاه لم يعد نفس الشاه بعد استئناف علاقاته مع مصر » .

في تشرين أول ١٩٧١ ، بدأ التصالح بين ايران ومصر يؤثر على العلاقات الاسرائيلية ــ الايرانية . ففي مطلع عام ١٩٦١ ، زار طهران مدير مكتب رئيسة الحكومـــة الاسرائيلية تدي كوليك كي يقدم النصائح للحكومة الايرانية بشأن تطوير السياحة .

ومن ضمن الاقتراحات ، اقترح كوليك كيفية تنظيم الاحتفالات بمناسبة مرور ٢٥٠٠ سنة على ارتقاء الملك كورش العرش الفارسي ، من خلال الافتراض بأن ذلك سيشجع السياحة الى ايران . وقبل الشاه الاقتراح بحماس بالغ ، وشكل طاقما خاصا يتولى التحضير للاحتفالات التي لم تشهد ايران لها مثيلا . واقيمت مدينة من الخيام المزينة بالقرب من الموقع السياحي في فرسفوليس . ووجهت الدعوات الى جميع رؤساء الدول في العالم لحضور هذه الاحتفالات كما خصص لكل رئيس دولة خيمة مزينة ومؤثثة بشكل فاخر . وتولى خبراء اسرائيليون اقامة شبكة الكهرباء في « المجلس الجديد » وأجهزة الاتصال في المدينة الملكية ، التي اريد بها تجسيد استمرارية الحكم منذ أيام الملك كورش وحتى سلالة بهلوي . لكنه على الرغم من كون الفكرة اسرائيلية في أساسها لم تدع اسرائيل للمشاركة في الاحتفالات بسبب تصلبها وعدم مرونتها في علاقاتها مع العالم العربي . كما ان الشاه لم يدع العراق ايضا للمشاركة بسبب علاقاتــه المتوترة معها . بينما دعيت مصر للاشتراك في الاحتفالات . غير ان السادات لم يكن قادرا على الحضور .

في ضوء اعلان السادات بأن عام ١٩٧١ ، سيكون « عام حسم » توجه السادات لاجراء محادثات سياسية في موسكو . وتوقف السادات وهو في طريقه الى موسكو في طهران ، لاجراء محادثات مع الشاه استغرقت ثلاث ساعات وكانت تلك اول زيارة لرئيس مصري الى ايران ، منذ استئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين . وقد اعجب الشاه من لغة السادات الفارسية . ونظرياته الاستراتيجية واخلاصه في قراره بشأن الاشتراك في الجهاز الدفاعي الغربي في الخليج العربي . وقد جرت محادثات السادات ــ الشاه في مطار طهران . قبل افتتاح احتفالات فرسفوليس بيوم واحد . وكشف السادات فيما بعد ان تلك المحادثة هي التى مهدت الطريق امام قيام صداقة شخصية بينه وبين الشاه . كما ان الشاه ايضا تأثر بشخصية السادات . وبعد مغــادرة السادات الى موسكو قال الشاه لوزير بلاطه اسد الله علام : « يوجد لدينا الكثير مما نستطيع تعلمه من السادات . فهذا الرجل ذو آفاق واسعة ويعرف ماذا يريد . انني ارغب في ان يزور ابنى القاهرة ليتعلم ويتأثر من شخصية الرئيس المصري » .

لقد ادت احتفالات فرسفوليس ، والتبذير الذي تلاها ، الى شن هجمة عنيفة على الشاه في وسائل الاعلام العالمية . وكتب الممثل الدبلوماسي الايراني في «اسرائيل» الدكتور فاروخ تقريرا مفصلا عن احتفالات فرسفوليس ، ومن ضمن ما جاء في التقرير: « انه على الرغم من ان «اسرائيل» تسيطر على معظم الصحف العالمية ، فانها لم تفعل شيئا من اجل منع الاساءة الى ايران والهجوم على الشاه » وادى هذا التقرير الى توتر شديد في العلاقات الايرانية ــ الاسرائيلية .على اثر ذلك ، ارسل وزير الخارجية الاسرائيلي مدير دائرة الاعلام في الوزارة العميد هار ايفن ، ونجح هار ايفن خلال محادثاته مع المسؤولين في وزارة الخارجية الايرانية في اقناعهم . بان ادعــاء

الدبلوماسي الايراني في «اسرائيل» لا اساس له من الصحة . وان «اسرائيل» لا تسيطر على الصحف ومحطات التلفزيون في العالم . وعلى الرغم من ذلك . فقد ادى هذا الحادث الى فتور في العلاقات بين البلدين .وتوقف الاتصالات التى كانت تجرى على مستوى عال بين الدولتين مدة شهور كثيرة .

من أجل انصاف الشاه نقول انه كان يفصل تماما بين مواقفه السياسية وبين الوسائل الاقتصادية وكان بذلك يقلد الولايات المتحدة والدول الغربية الكبرى ، التي كانت تختلف مع «اسرائيل» بشأن سياستها في المناطق المحتلة . لكنها تمتنع عن فرض عقوبات اقتصادية ضدها . وبناء على هذه السياسة ، زار وزير الزراعة الاسرائيلي حاييم جيبتي طهران في كانون اول ١٩٦٨ ، واجرى محادثات موسعة بشأن التعاون المشترك في المجال الزراعى ، كما ان الشاه لم يكن على استعداد لاستخدام سلاح النفط ضد « الدولة اليهودية » . وقال الشاه ردا على سؤال لمراسل صحيفة « جان افريك » التونسية التى تصدر باللغة الفرنسية ، في عددها يوم ٧ تموز ١٩٧١ - « في اللحظة التي تغادر فيها ناقلات النفط الموانيء الايرانية لا ندرى اين سيكون هدفها الاخير : فالناقلات تغير وجهتها في وسط الطريق بناء على تعليمات اصحابها . لذلك من منا يستطيع الجزم بأن النفط العربى لا يصل الى «اسرائيل» ؟ » .

في ربيع ١٩٧٢ . قرر الرئيس المصرى نقض حلفه مع الاتحاد السوفياتي والانتقال الى المعسكر الاميركي ، ومرت سنة ١٩٧١ (عام الحسم) ولم يحدث شيء . وتكونت لدى السادات قناعة بأنه بالاضافة الى رغبة الدولتين الاعظم في عدم المجابهة المباشرة بينهما ، بسبب الالتزام العربي — الاسرائيلى ، توجد هنالك اعتبارات استراتيجية ومصالح اقتصادية تفرض عليهما استمرار التنافس فيما بينهما . وهذا الامر يتعلق بصورة رئيسية في منطقة الخليج العربى . حيث كانت كل دولة عظمى تحاول منع الدولة الاخرى من تحقيق مكاسب استراتيجية فيها . لذلك . وبعد تحسين علاقاته مع السعودية وايران ، قرر السادات ان اى خير او فائدة لن تجنيها مصر من استمرار علاقاتها مع موسكو . وجاء هذا الاستنتاج على اساس التطورات التى حدثت في الشرق الاوسط في تلك الفترة ، قبيل انعقاد مؤتمر القمة الاميركي — السوفياتى الاول في ايار ١٩٧٢ ، عقد في موسكو في الاسبوع الاخير من كانون ثاني مؤتمر لوزراء خارجية ودفاع دول حلف وارسو . وتم في المؤتمر بلورة مواقف الكتلة الشرقية بالنسبة لاوروبا والشرق الاوسط وجنوب شرق اسيا . وبعد ذلك جاء على الفور وفد عسكري عراقي الى موسكو . ووقع هناك على صفقة اسلحة جديدة لتصعيد الحرب ضد الاكراد . وفي شهر آذار توجه وزير الدفاع السوفياتى ، اندريه غريتشكو ، لاجراء محادثات سياسية في الصومال وجمهورية اليمن الجنوبية . بينما توجه نائب وزير الدفاع السوفياتي ورئيس هيئة الاركان العامة الى دمشق ، لاجراء محادثات مع الرئيس حافظ الاسد . وفي نيسان ١٩٧٢ ، وصل رئيس الحكومة السوفياتية اليكسى

كوسيجين الى بغداد في زيارة رسمية لمدة خمسة ايام . وفي ختام الزيارة وقع كوسيجين مع العراق على اتفاقية تعاون وصداقة ، على غرار الاتفاقية التي وقعت مع مصر في عام ١٩٧١ . وقد ابرزت هذه الاجراءات الاهداف الجديدة للسياسة السوفياتية الخارجية ، نحو الخليج العربي والمحيط الهندي ، واعتبرت الولايات المتحدة والسعودية وايران الاتفاقية العراقية ـ السوفياتية تهديدا لمصادر وممرات النفط التابعة لها . لذلك اعطى الشاه هذا التطور افضلية عليا في النصف الاول من عام ١٩٧٢ .

في هذه الاثناء ، توجه السادات في نيسان ١٩٧٢ الى موسكو في زيارته الرابعة، واراد السادات ان ينسق مواقفه مع مواقف الكرملين قبل وصول الرئيس نيكسون لموسكو ، وتأمين استمرار تدفق الاسلحة السوفياتية على مصر . ورافق السادات في زيارته تلك وزير خارجيته مراد غالب ، والجنرال حافظ اسماعيل المستشار لشؤون الامن القومي ، وقائد سلاح الجو حسني مبارك ، وجرت المحادثات في موسكو في جو صعب ولم تسفر عن نتائج فورية . وفي ضوء رفض ليونيد بريجنيف تزويد مصر بصواريخ ارض ـ ارض بعيدة المدى من نوع سكاد ، وطائرات ميغ/٢٣ ، قدم السادات موعد انهاء زيارته لموسكو بيوم واحد ، حتى ان بريجنيف لم يذهب الى المطار لوداعه . ولدى عودته ابلغ السادات الشاه بنتائج محادثاته في موسكو ، واوضح له بأنه يطمح الآن الى تحقيق هدفين فوريين :

١ ـ الحصول على تأييد الشاه لمواقف مصر تجاه «اسرائيل» . ولم يطلب السادات وقف تصدير النفط الايراني «لاسرائيل» ، ولا حتى تقليص العلاقات معها . لكنه اعتقد ان هذه العلاقات تمنح الشاه نفوذا معينا في «اسرائيل» ، وهو ما يريد استغلاله .

٢ ـ اقناع الشاه باستخدام نفوذه لدى الولايات المتحدة من اجل تليين موقف «اسرائيل» ، ففي ضوء موقف ايران القوي في منطقة الخليج ، اعتقد السادات بأن الولايات المتحدة ستظهر اهتماما بمواقف ايران من النزاع العربي ـ الاسرائيلي .

استجاب الشاه فورا لطلب السادات ، وبناء على طلب من الشاه وصلت جولدا ميئير رئيسة الحكومة الاسرائيلية الى طهران في منتصف شهر ايار ١٩٧٢ ، في اول وآخر زيارة لها الى هناك وتوجهت جولدا الى طهران على متن طائرة خاصة، يرافقها مستشارها السياسي ومدير عام وزارة الخارجية سمحا دينتس ورئيس مكتبها آلي مزراحي ، وعدد من المسؤولين الاخرين ، الذين كانوا يعملون في مجال تنمية العلاقات مع ايران . ووصلت طائرة جولدا كالعادة الى مطار مهرباد وهبطت في مدرج جانبي ، حيث استقبلها في المطار نائب رئيس الحكومة الايرانية والمسؤول عن جهاز الاستخبارات الجنرال نعمة الله ناصري . وتوجه موكبها ، يحيط به رجال

الامن الايرانيون والاسرائيليون ، الى دار الضيافة الرسمية لحكومة ايران في شمال مدينة طهران . وكان يحيط بدار الضيافة سور عال يحجب اية حركة داخلة عن انظار المارة . وكان العاملون في الدار جميعهم من الموثوق بهم « امنيا » . كما كانت هوية الضيوف الذين يحلون في هذه الدار تبقى سرية تماما .

عقد اجتماع جولدا مع الشاه في قصر نيافران واستغرق عدة ساعات بما فيها وجبة غداء ، وكان الشاه يقدر كثيرا شخصية رئيسة حكومة «اسرائيل» ، ويعرف مدى تأثيرها على اليهود في الولايات المتحدة ، وتحدث الشاه لجولدا باسهاب عن علاقاته مع السادات ، وطلب منها تفهم مواقف مصر . ومع ذلك لم يستخدم الشاه طيلة الاجتماع مع جولدا اي تلميح لتهديد او لاستخدام النفط ضد «اسرائيل» ، لكن الشاه وجولدا خصصا جزءا كبيرا من محادثاتهما لموضوع الحرب العراقية مع الاكراد . وكانت «اسرائيل» قد قررت في عام ١٩٦٠ مد يد المساعدة للثوار الاكراد ، حتى ان رئيس الحكومة الاسرائيلية آنذاك ليفي اشكول كان قد بعث نائب وزير المالية نوفا الياف ، على رأس وفد طبي اسرائيلي الى الملا البرازاني . ومع مرور الايام بدأت «اسرائيل» تزويد الاكراد بأنواع مختلفة من الاسلحة والذخيرة ، وساعدتهم في اعمال التدريب والاستشارة العسكرية .

لم تر جولدا ميئير الآن ضرورة لتقليص هذا الدعم للاكراد ، كما ان الشاه كان مصرا على ضرورة الاستمرار في مساعدة الاكراد . وبعد ذلك بأسبوعين أبلغ الشاه الرئيس الاميركي نيكسون ، الذي توقف فى طهران وهو في طريق عودته من قمة موسكو ، بموقفه هذا . ومنذ ذلك الموعد ، بدأت الولايات المتحدة ايضا بتقديم مساعدة فعالة للثوار الاكراد .

لقد سبب البيان الاميركي — السوفياتي المشترك ، الذي صدر في موسكو في ختام مؤتمر القمة ، خيبة امل للسادات . فكجزء من سياسة «الوفاق» بينهما قرر نيكسون وبريجنيف تجميد النزاعات المحلية والامتناع عن التدخل في نزاعات اقليمية قد تؤدي الى نشوب حرب عالمية ثالثة . وكان هذا البيان بمثابة ضربة مميتة لآمال السادات ، بشأن قيام الدولتين الاعظم بفرض تسوية في الشرق الاوسط . وبعد ذلك بشهرين اي في تموز ١٩٧٢ ، طرد السادات المستشارين العسكريين السوفيات من مصر وادى طرد المستشارين والفنيين السوفيات من مصر الى نقل ثقل النشاط السوفياتي من القاهرة الى دمشق وبغداد . وزاد الاتحاد السوفياتي شحنات الاسلحة الى العراق ، وتم نقل هذه الاسلحة عبر موانيء ومطارات سوريا ، وذلك بسبب اغلاق قناة السويس ، وكوزن مضاد لحلف ايران مع الباكستان ارسلت الهند الموالية للسوفيات مستشارين عسكريين الى العراق ، بينما خففت سوريا علاقاتها مع الصين الشعبية لكي تحظى بمساعدات سوفياتية .

في ربيع عام ١٩٧٣ ، بدأ الشاه يخشى حقا اندلاع حرب جديدة في الشرق الاوسط وفي اعقاب فشل محادثات الجنرال حافظ اسماعيل ، مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي ، مع الرئيس نيكسون والدكتور هنري كيسنجر في واشنطن في شباط ١٩٦٣ ، بدأت مصر وسوريا تعدان لحرب يوم الغفران . ومارست السعودية الضغط على الولايات المتحدة في موضوع النفط ، وحاولت اشراك ايران في هذا الجهد ايضا . بينما توجه الملك حسين الى طهران يطلب وقف تزويد «اسرائيل» بالنفط ، واستخدام نفوذه في واشنطن بهدف ارغام «اسرائيل» على ابداء مرونة في علاقاتها مع العالم العربي ، كما ان السادات طلب من الشاه ذلك ايضا .

في تلك الاثناء توجه ابا ايبان في صيف ١٩٧٣ الى طهران . لاجراء محادثات اخرى مع الشاه . وتحدث الشاه مع ايبان عن علاقة «اسرائيل» مع مصر . وقال انه يثق بأقوال السادات ، وانه معني ، اي السادات ، بالتوصل الى حل سياسي للنزاع العربي ــ الاسرائيلي . واحتج الملك الايراني على ان «اسرائيل» لا تفهم التطورات الجديدة التي تمر في الشرق الاوسط . وانها لم تدرك وزن ايران في الشرق الاوسط ايضا . كما انتقد الشاه بشدة الولايات المتحدة التي لم تستجب على حد قوله ، لبرامجه من مشتريات الاسلحة . كما انها لا تزود امبراطور اثيوبيا هيلا سيلاسي بالاسلحة الضرورية له لحربه مع الصومال . وقال : « انني لا افهم الرئيس نيكسون . ما الذي سيحدث اذا حصلت ايران على ٢٠ طائرة زيادة على ما تعتقد اميركا اننا بحاجة له ! وكانت لهجة الشاه تدل على رغبته في مساعدة «اسرائيل» باستخدام نفوذها في الكونغرس الاميركي ، لحمل الادارة الاميركية على تلبية طلباته من الاسلحة .

في صيف ١٩٧٣ . توجه الشاه الى واشنطن في زيارة رسمية . وركز الشاه في حديثه مع الرئيس نيكسون في ٢٥ تموز على النزاع العربي ــ الاسرائيلي ، واعرب عن رأيه بأن استمرار النزاع في المنطقة قد يؤدي الى الحاق الضرر « بالسلام » والاستقرار في منطقة الخليج العربي . وتحدث الشاه لنيكسون عن زيارته للرياض ومحادثاته مع الملك فيصل . كما ابلغ نيكسون عن اتصالاته مع السادات وجولدا مئير. وحذر بان « زعماء يائسين قد يبدأون بشن اعمال عدائية » . لذلك حث الرئيس نيكسون على اتباع سياسة اكثر توازنا بين «اسرائيل» وجاراتها العربية . واستذكر الشاه علاقاته الودية مع «اسرائيل» ودورها في الاستقرار الاقليمي في المنطقة . لكن المشكلة بالنسبة لايران كانت اكثر تعقيدا . فالتواجد السوفياتي في اليمن الجنوبية والصومال والعراق تعزز اكثر واصبح يشكل خطرا على ممرات النفط في الخليج العربي .

وقال انه في الوقت الذي يتزود فيه العراق بالاسلحة السوفياتية بدون انقطاع ، والباكستان ضعيفة بسبب فقدانها جزأها الشرقي ، والهند تزداد قوة بفضل حلفها مع موسكو ، اشتدت خطورة وضع ايران الاستراتيجي بسبب الانقلاب الموالي للسوفيات

في افغانستان . وهذا الوضع يتطلب من الولايات المتحدة التركيز على ايجاد حل للنزاع العربي — الاسرائيلي ، لكي تتمكن ايران والسعودية من التفرغ للدفاع عن منطقة الخليج العربي . تجدر الاشارة هنا ، الى ان الشاه كان في تلك المرحلة قد بدأ يفكر في خلق تعاون اقليمي جديد يضم «اسرائيل» ومصر . ففي حديث مع مسؤولين اميركيين في واشنطن . قال الشاه : « ان وجود اطار يضم اكبر دولة عربية هي (مصر) واغنى دولة اسلامية (ايران) واجرأ دولة في الشرق الاوسط «اسرائيل» . سيكون قادرا على فعل العجائب ويساهم في استقرار الشرق الاوسط كله » .

أبلغ الرئيس نيكسون الشاه بأنه يوافقه تماما على تقديراته بالنسبة للوضع في الشرق الاوسط . وان الولايات المتحدة ستكون على استعداد للقيام بدور اكثر فعالية في حل النزاع العربي — الاسرائيلي . لكن هذا الامر يجب ان يتم فقط في اعقاب انتخابات الكنيست في «اسرائيل» وتحدث نيكسون للشاه عن محادثاته مع جولدا ميئير التي جرت في واشنطن في شباط ، وقال انه بسبب اعتبارات اسرائيلية داخلية ، لا تستطيع جولدا ميئير تقديم تنازلات لمصر قبل انتخابات الكنيست .

ولدى عودة الشاه الى طهران أبلغ السادات بنتائج محادثاته في واشنطن . غير ان الرئيس المصري لم يرغب بالانتظار اكثر من ذلك . ودخلت استعدادات مصر وسوريا لحرب رمضان مراحل متقدمة . وبدأ « العد العكسي » في الشرق الاوسط .



حرب رمضان وتكوّن محور

طهران ــ القاهرة ــ الرياض

في جو من التحسين التدريجي في علاقات ايران ــ مصر ، وضغط متزايد من جانب دول النفط في الخليج العربي ، من اجل ايجاد حل سريع للنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، جرى في مطلع ايلول ١٩٧٣ تبديل في رئاسة البعثة الاسرائيلية في طهران . فقد عين اورى لوفرني سفيرا «لاسرائيل» في طهران بدلا من ميئير عزرى الذي اشغل ذلك المنصب مدة ١٢ سنة متواصلة . وفي صيف ١٩٧١ ، كان لوفرني قد انهى مهام منصبه كسفير «لاسرائيل» في اثيوبيا . ولدى عودته الى «اسرائيل» ، عين عضوا في ادارة اتحاد شركات «كور» . كما اقام شركة «كور للمشاريع الدولية» التي بدأت تعمل في دول اجنبية لايجاد اسواق جديدة للمنتجات الاسرائيلية .

ان التطورات الجديدة في علاقات ايران ــ مصر ، والدور الزعامي الذي اراد الشاه اشغاله في منطقة الخليج العربي ، ارغمت «اسرائيل» على الخروج على الروتين ومحاولة دراسة ابعاد الوضع الجديد على مستقبل العلاقات الاسرائيلية ــ الايرانية . لقد كانت السفارة الاسرائيلية في طهران تزيد في اهميتها على كثير من السفارات الاسرائيلية في اوروبا . لذلك توصلت جولدا ميئير ، رئيسة الحكومة ، الى استنتاج بأنه من الضروري اجراء تبديل بين مسؤولي السفارة في طهران ، ووافقت على توصية ابا ايبان بتعيين اورى لوبراني لهذا المنصب .

لم تكن ايران بالنسبة للوبراني بلادا مجهولة ، فقد سبق ان زار تلك الدولة في ربيع عام ١٩٦١ برفقة مدير عام مكتب رئيس الحكومة آنذاك ، ورئيس بلدية القدس حاليا ، تيدي كوليك ، وفي صيف عام ١٩٧٢ ، زار لوبراني طهران مرة ثانية ، بصفته ممثلا لشركة «كور» لدراسة امكانيات تجارية في هذه الدولة .

قبل توجه لوبراني الى مكان منصبه الجديد ، تقرر في «اسرائيل» استغلال عملية تبديل السفراء لمحاولة خلق حقائق مراسيم جديدة ربما تطور مكانة «اسرائيــل» الدبلوماسية في دول النفط ذات الاهمية ، وبما ان ايران لم تعترف رسميا «باسرائيل» لم يكن السفراء الاسرائيلين يقدمون اوراق اعتمادهم للشاه في الماضي . لكنه تقرر الآن في القدس محاولة تغيير هذا الوضع . لذلك زود لوبراني بكتاب تعين عادي موقع من رئيس دولة «اسرائيل» وموجه الى الشاه . كما حمل رسالة شخصية من وزير الخارجية ابا ايبان الى زميله الايراني عباس خلعتبري .

منذ وصول السفير الاسرائيلي الجديد الى مطار مهرباد ، عرف ان آمــال «اسرائيل» كان مبالغا فيها ، اذ لم يحضر الى المطار أي مسؤول في وزارة الخارجية الايرانية لاستقبال السفير كالعادة وكان اول لقاء له مع وزير الخارجية الايرانيــة قد اشتمل على حديث مع فورسارتيف ، مدير دائرة الشرق الاوسط ، حول التطورات في المنطقة . وكان سارتيف على وشك انهاء مهام منصبه والتوجه الى دمشق ليعمل كسفير لبلاده هناك ، بعد ان اتفق الشاه والرئيس حافظ الاسد على استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما .

بعد ذلك توجه لوبراني لاجراء لقاء تعارف مع رئيس التشريفــات في وزارة الخارجية الايرانية . كانت احدى المشاكل المزعجة بالنسبة «لاسرائيل» في تلك الفترة ، هي مشكلة الهوية الدبلوماسية . فعلى الرغم من ان جميع موظفي الســفارة الاسرائيلية في طهران الذين كانوا يصلون الى ايران يحملون جوازات سفر دبلوماسية . الا انه لم يكن بحوزة اي منهم وثيقة ايرانية تدل على حصانتهم الدبلوماسية . لذلك كان الدبلوماسيون الاسرائيليون يواجهون المشاكل ادى تعرضهم لاي حادث ولو حادث طرق مثلا . وكان ذلك يؤدي الى اعتقالهم في كثير من الحالات . لكنه كان لدى السفارة الاسرائيلية هاتف معين يتم عن طريقه حل جميع المشاكل . وكان الوضع لا يحتمل ، لذلك بذلت جهود كثيرة ومستمرة لتغيره . وبعد صراع دام حوالى عامين ، نجــح لوبراني بصورة جزئية فقط ، فقد وافقت وزارة الخارجبة الايرانية على منح موظفى السفارة الاسرائيلية في طهران وثائق هوية خاصة ، ذكر فيها ان حاملها يتمتع بصفة دبلوماسية ، ولكن بدون ذكر اسم الدولة التي يمثلونها . بعد وصول لوبراني الى طهران ببضعة ايام ، اجتمع مع وزير الخارجية الايرانى وسلمه رسالة ابا ايبان وفي ختام اللقاء ، طلب السفير الاسرائيلى تمكينه من مقابلة الشاه « ليقدم له تحيات حكومة (اسرائيل) » . ووعده خلعتبرى بالعمل على ترتيب لقاء له مع الشاه في اسرع وقت ممكن . وخرج لوبراني من الاجتماع راضيا جدا . واعتقد بأن تحولا ما قد طرأ وسيأتي الآن دور تطبيع العلاقات على الصعيد الدبلوماسى . لكن مقابلته مع الشاه لم تتم الا بعد مضي حوالي اربع سنوات ، وجاءت بمبادرة الشاه نفسه . ومع ذلك عندما اتضح للوبراني ان مركز القوة الوحيد في الدولة يوجد في القصر الملكى ، اقام علاقة مع وزير البلاط اسد الله علام .

كان وزير البلاط من اصل بلوشي وصديقا حقيقيا «لاسرائيل» . وسبق ان زار «اسرائيل» مرة واحدة . وتعرف على زعماء اسرائيليين كثيرين . وقرأ علام الكثير عن « التاريخ اليهودي » وكان يؤمن بأنه توجد «لاسرائيل» والايرانيين مصالح مشتركة كثيرة تتطلب التعاون الوثيق بين الدولتين وكان علام قد تعرف الى الشاه منذ ايام الدراسة في المدرسة . كما ان اخلاصه المطلق للعرش رفعه تدريجيا الى دفة الحكم . فقد تسلم عدة مرات رئاسة الحكومة ووظائف وزارية مختلفة . وكان يستدعى للوقوف الى جانب الملك كلما نشأت أزمة في البلاد . ومنذ لقائه الاول وجد لوبراني في علام الصديق المخلص والناصح الذكي . ووعد علام بتقديم المساعدة للوبراني بقدر استطاعته ؛ لكنه نصحه في اقامة علاقات مع عناصر اخرى في الحكم . وكانت تلك النصيحة نابعة من اسلوب عمل الشاه الخاص . فقد تعود الشاه على توزيع صلاحيات الحكم بين عناصر مختلفة . دون ان يعرف اي عنصر عمل العناصر الاخرى فمثلا ، كانت هنالك مواضيع يعالجها علام شخصيا . بدون معرفة وزراء الحكومة بها. وكان مكتب وزير البلاط مركز قوة كبيرا جدا في الدولة ؛ بفضل قربه من الشاه . لكنه كانت هنالك مراكز قوة اخرى : السفاك الذى كان يعالج جميع شؤون الامن الداخلي والاستخبارات ، ورئيس الحكومة الذي كان لا يطلع وزراء حكومته على الشؤون المتعلقة «باسرائيل» الجيش ووزارة الدفاع . واخيرا رئيس شركة النفط الوطنيـــة .

كانت البعثة الدبلوماسية الايرانية في « اسرائيل» مقيدة في مجال عملها . وكانت درجة الممثل الدبلوماسي الايرانى في «اسرائيل» . الدكتور مرتضى مرتضاى . اقل من درجة السفير لوبرانى . وبسبب عدم وجود اعتراف رسمى «باسرائيل» لم يدرج اسمها في السجل الدبلوماسي الايراني . لكن هذه الحقيقة لم تمنع الدبلوماسيين الاسرائيليين من اجراء اتصالات دائمة مع السلك الدبلوماسى في طهران . ومع مرور الوقت عرف الاسرائيليون كيف يستغلون هذه الحقيقة لصالحهم . ففي اعقاب حرب رمضان ، على سبيل المثال اقتصر السفير لوبراني في اتصالاته الدبلوماسية على الاتصال مع سفراء الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا وفرنسا وهولندا . فهذه الدول كانت تتمتع بمكانة صلبة في ايران ، وكانت تؤيد «اسرائيل» ومفهوم بالطبع ؛ ان العلاقة القوية كانت للسفير الاسرائيلي مع السفير الاميركى ريتشارد هيلمس ؛ الذى كان يعمل في السابق رئيسا لوكالة الاستخبارات الاميركية ، والذى قصد بتعيينه سفيرا لبلادهفي طهران ابراز اهمية منطقة الخليج العربى في نظر الدبلوماسية الاميركية . وكان هيلمس محترفا ويمتاز بقدرة فائقة على العمل ، وكان شكاكا في طبعه . وكان يستطيع الخروج من المواقف المعقدة بسهولة . وكانت تلك ميزة هامة لرجل يخدم في ايران . وكان هيلمس قد زار «اسرائيل» في وقت سابق ؛ وتفهم جيدا مصالحها في اقامة علاقات وثيقة مع طهران . ومع مرور الوقت تكوّنت بين هيلمس ولوبراني علاقات ثقة متبادلة مكنتهما من تبادل الآراء بينهما .

في مطلع ايلول ١٩٧٣ ، كانت الدبلوماسية الايرانية موجهة لشراء صداقة الدول العربية الموالية للغرب ، كجزء من اعادة تقييم الوضع العام في منطقة الخليج العربي .

منذ أول زيارة للرئيس نيكسون في طهران في ايار ١٩٧٢ ، والمساعدة الفعالة التي تقدمها اميركا للثوار الاكراد ، بزعامة المــلا مصطفى البرازاني ، تعتمد اداريا على المؤخرة الايرانية . فباشراف رئيس السفاك الجنرال نعمةالله ناصرى ، مكّنت ايران من نقل الاسلحة والمستشارين الاجانب الى مقر قيادة البرازاني واعداد قادة وتدريب جنوده كما سمحت للمقاتلين الاكراد بالقدوم الى كردستان الايرانية . وكانت العراق تعتبر العدو الرئيسي لايران ، لذلك كان الهدف من مساعدة الاكراد اضعاف القدرة العسكرية لحكومة بغداد . وفي المقابل سعى الشاه الى تحسين علاقاته تدريجيا مع العالم العربي ، وزاد جهده في هذا المجال في اعقاب طرد المستشارين الروس من مصر في تموز ١٩٧٢ ، وتطلب تحقيق اهداف ايران تلك انخفاض مستوى العلاقات الايرانية ـــ الاسرائيلية من جديد . على الرغم من ذلك لم يؤد « الخيار العربي » ، في سياسة الشاه الشرق أوسطية ، الى فتور العلاقات مع «اسرائيل» . «فاسرائيل» كانت تبدو الدولة القوية والحليفة للغرب في المنطقة . اضف الى ذلك ان السادات كان يعرف حجم العلاقات بين ايران و«اسرائيل» ، ولم يصر على تقليص علاقات طهران مع «اسرائيل» كشرط لتحسين علاقاته مع الشاه .

لكن حرب رمضان ونجاح مصر في اجتياز قناة السويس ، اديا الى زعزعة في ايران وصدمة لدى المسؤولين الايرانيين . كما ان القدرة على المفاجأة التي اظهرها الجيش المصري والجيش السوري ، وحقيقة عدم قدرة الجيش الاسرائيلي على منع احتلال خط بارليف ، اضرت بسمعة «اسرائيل» وادت الى تراجع جدى في مكانتها في ايران . وانفجرت مشاعر العداء التي كانت مكبوتة طيلة الوقت لدى الرأي العام الايراني . وبدأت الصحف والتلفزيون الايراني بتقديم وصف كامل لانتصارات العرب ورافق هذا الوصف مظاهرات بتشجيع من رجال الدين الايرانيين . واقيمت في مسجد عزيز الله في طهران صلاة شكر باشتراك جميع السفراء العرب ، لنصر جنود الاسلام. وشكل ذلك اداة ضغط هائلة على الشاه . وارغم على التصرف بحكمة فيما يتعلق بتعامله مع «اسرائيل» ، ولم يتغير ذلك الشعور حتى بعد ان نجح الجيش الاسرائيلي في ترجيح الكفة لصالحه ، واشارت النتائج في المنطقة الى نصر عسكري اسرائيلي .

منذ اندلاع الحرب ، كانت «اسرائيل» قد طلبت من سفيرها في طهران العمل على تأمين استمرار تزويدها بالنفط الايراني ، على الرغم من فرض حصار مصري على مضيق باب المندب . واجتمع لوبراني لهذا الغرض مع رئيس شركة النفط الايرانية الدكتور منصور اقبال ، لكنه اكتشف ان نظرة اقبال «لاسرائيل» فاترة ومتحفظة . فقد جرى الاجتماع في ظل الانتصارات العربية . وخلال الاجتماع طرح اقبال اكثر من مرة السؤال التالي : «ماذا جرى لكم ؟ كيف تمكنوا من مفاجأتكم ؟» ولم يسفر الاجتماع عن نتائج جيدة في موضوع النفط . لذلك اضطر لوبراني الى التوجه الى وزير البلاط

اسدالله علام ، كما ان علام ايضا كان مندهشا من سير المعارك ، وتساءل : « ماذا جرى لكم ؟ اكنتم نائمون ؟ » . لكنه وعد بتسوية الامور . وبعد يومين ابلغه علام بأنه لا يوجد «لاسرائيل» ما تخشاه فالشاه وعد بأن تفي ايران بكامل التزاماتها ، وسيستمر تدفق النفط على «اسرائيل» طالما بقي الامر محكما .

من الناحية العملية لقد اشعل هذا الرد ضوءا أحمر لدى «اسرائيل» لانه كان يعني بأن الشاه يشك في قدرة «اسرائيل» على تأمين نفسها بالنفط من « الناحية العمليـــة » . لكنه لم تمض أيام كثيرة حتى ظهر ان مخاوف «اسرائيل» لم يكن لها أساس . فالشاه قام بتنفيذ جميع التزاماته . وعندما اغلق مضيق باب المندب ، دارت ناقلات النفط حول رأس الرجاء الصالح ، وافرغت حمولتها في ميناء حيفا . وهكذا على الرغم من حظر تزويد النفط الذي فرضه العرب على اوروبا والولايات المتحدة ، ظلت «اسرائيل» تتمتع بتزويد نفطي مستمر من النفط الايراني .

لم يكن النفط هو الموضوع الوحيد الذي عالجته السفارات الاسرائيلية خلال الحرب . فالمفاجأة الكبيرة التي اندلعت فيها المعارك ، اثارت في البلاد قلقا بالنسبة لاحتياطي السلاح والمعدات العسكرية . وبعد فشل الهجوم المضاد الاسرائيلي في جبهة قناة السويس ، في الثامن من تشرين أول ١٩٧٣ ، بدا واضحا ان هذه الحرب ستكون أطول من حرب الايام الستة . في اعقاب ذلك اعاد الشاه قسما من الاسلحة التي كان قد اشتراها من «اسرائيل» وفي المقابل رفض الشاه محاولات الولايات المتحدة بشأن تعويض «اسرائيل» بطائرات فانتوم من ايران ، بدلا من الطائرات التي فقدتها في الحرب . وجاءت المحاولات الاميركية تلك في اعقاب اقتراح طرحه السناتور هنرى جاكسون على وزير الدفاع الاميركي جيمى شليزنغر ، حيث اقترح من اجل توفير الوقت دراسة امكانية نقل دبابات اميركية من تركيا الى «اسرائيل» وطائرات فانتوم من ايران . ولم ير الشاه امكانية في الاستجابة لطلب الولايات المتحدة بهذا الشأن ، خشية تشويش جهوده الرامية الى تحسين علاقاته والتقارب مع العالم العربي .

لقد خلقت حرب رمضان سياسة ايرانية متزنة في الشرق الاوسط . فمقابل قرار الشاه بالاستمرار بتزويد «اسرائيل» بالنفط ، ورفضه اغلاق السفارة الاسرائيلية في طهران ، اتخذ قرارات مضادة ساعدت العرب في «الادعاء» بأنهم حظوا هذه المرة بدعم ايراني لمواقفهم . فقد استغرب السادات نفسه موافقة ايران على تزويد مصر بـــ ٦٠٠ الف طن من النفط خلال الحرب ، الامر الذي رفضت ليبيا القيام به . بينما نقلت طائرات نقل ايرانية كتيبة سعودية ومعدات عسكرية الى سوريا ، ومصابيـــن سوريين من هضبة الجولان الى المستشفيات في طهران . وذكرت صحيفة الحيـــاة اللبـــنانية ، في عددها يوم ٢٢ تشرين ثانى ١٩٧٣ ان حوالي ١٠٠ طيار ايراني كانوا مشتركين في هذه العملية كما سمح الشاه بمرور القطار الجوي السوفياتي الذي ينقل الاسلحة لسوريا والعراق ، بالمرور عبر الاجواء الايرانية . وكانت موافقة الشاه تسمح بمرور طائرات نقل مدنية فقط .

كأعتراف بالجميل ، في ضوء الموقف الايراني خلال حرب رمضان ، قررت العراق استئناف العلاقات الدبلوماسية مع طهران . مقابل ذلك ، منعت ايران مرور متطوعين يهود من استراليا الى «اسرائيل» عبر أراضيها .

لقد خلقت حرب رمضان وضعا جديدا في العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية . وبدون تقليص علاقاتها الاقتصادية مع «اسرائيل» بدأت ايران تبلور افكارا سياسية جديدة من شأنها زيادة اهمية مصر الاستراتيجية والتقليل من مكانة «اسرائيل» . ففي حديث لمراسل صحيفة الحوادث اللبـنانية ، في ١ كانون اول ١٩٧٣ ، قال الشاه : لقد اثبت العرب انهم قادرون على الحرب وان «اسرائيل» لم تعد القوة التي لا تهزم . وان دور «اسرائيل» كحارس للمنطقة « قد انتهى » .

وقال الشاه ، في حديث للمراسلين الاجانب ، انه يجب على «اسرائيـل» الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة بما فيها القدس . كما تبنى الشاه موقف الرئيس السادات بأن حرب رمضان اثبتت فشل نظرية الحدود «الآمنة» . وقال ان «اسرائيل» كانت دائما تقول انه لا يوجد لديها حدود اكثر «امنا» من قناة السويس وها هي القناة لم تجد نفعا ، وان الجيش المصري اجتاز القناة بسهولة وسيطر على خط بارليف بسرعة . وقد تصرفت «اسرائيل» حتى الان بصلافة ، وكان من غير الممكن اجراء مفاوضات منطقية معها . لكن «اسرائيل» اصيبت بصدمة الان ، فربما يساعد هذا الامر موضوع «السلام» .

وفي مقابلة مع صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور » ، يوم ١ نيسان ١٩٧٤ ، قال الشاه : « ان تزويد مصر وسوريا بصواريخ ارض ـ ارض من نوع سكاد قضى على النظرية الاسرائيلية بشأن « حدود آمنة » وقال ان الجيش السوري نجح تقريبا في احتلال كل هضبة الجولان في الساعات الست الاولى للحرب . كما ان الشاه ايد بعد ذلك ايجاد حل سياسي للقضية الفلسطينية ، حتى ولو في اطار كيان مستقل . وذلك على الرغم من عداء ايران التقليدي لمنظمة التحرير الفلسطينية ومقاومتها الصلبة لمنظمات المخربين . وبقيت العلاقات الايرانية متوترة مع ليبيا فقط . حيث اتهم الشاه العقيد معمر القذافي بتمويل الحركة السرية الايرانية ضده .

في نطاق جهوده لكسب تأييد الدول العربية ، زاد الشاه من نشاط بلاده في اطار المؤتمر الاسلامي العالمي . ففي اعقاب حرب رمضان ، تقرر عقد مؤتمـر قمة اسلامي في لاهور في الباكستان ، لبحث استمرار النضال ضد «اسرائيل» لكن بسبب توتر العلاقات الايرانية ـ الليبية قرر الشاه ورئيس حكومته . امير عباس هويـدا مقاطعة المؤتمر ، وارسال وفد ايراني برئاسة وزير الخارجية خلعتبري . وتوجـه تانكـو عبدالرحمن ، رئيس حكومة ماليزيا سابقا ، الى طهران في محاولة لاقناع الشاه

بتغير قراره . لكنه لم يفلح . ومن طهران توجه عبدالرحمن الى الرياض لاجـراء محادثات مع الملك فيصل ملك العربية السعودية . وتقدم للملك فيصل مشروع قرار يدعو الى تهنئة الدول الاسلامية لمصر وسوريا ، على انتصارهما في الحرب ، مع اعلان تأييد المؤتمر لاجراء مفاوضات مباشرة مع «اسرائيل» في اطار مؤتمر جنيف . لكـن الملك فيصل رفض هذا الاقتراح نهائيا . وفي ضوء الموقف السعودي هذا ، توجـه عبدالرحمن الى القاهرة لاجراء مشاورات . وعلى الرغم من اشتراك مصر في الجلسة الاولى لمؤتمر جنيف . في ١٨ كانون اول ١٩٧٣ . اقترح رئيس الحكومة المصرية محمد حسن التهامي تأجيل مؤتمر القمة الاسلامي حتى شهر شباط ١٩٧٤ وعندما عقد المؤتمر في ذلك الموعد كان الجيش المصري قد عزز مواقعه على ضفتي قناة السويس ، فبناء على اتفاقية فصل القوات بين مصر و«اسرائيل» . انسحبت قوات الجيش الاسرائيلي من الضفة الغربية للقناة ، وبدىء بتطهير القناة تمهيدا لفتحها امام الملاحـة الدولية الحـرة .

عقد مؤتمر لاهور وسط جو من الانتصار العربي . وطرحت خلاله افكار متطرفة من بينها الدعوة الى الجهاد لاكمال النصر الاسلامي وتحرير القدس . لم تنجرف ايران مع هذا التيار المتطرف ، واستغلت التحسن الذي طرأ على مكانتها لتوثيق علاقاتها مع العالم العربي ، وكانت قد نشأت في ذلك الوقت علاقات جيدة بين وزير الخارجية الايراني عباس علي خلعتبري وبين الرئيس السوري حافظ الاسد . وكانت ايران وسوريا قد قررتا قبل الحرب استئناف العلاقات الدبلوماسية بينهما . وانضمت الان الى الدائرة الدبلوماسية الايرانية العراق والسودان ايضا . وكان الشاه يأمل في ان يتحول العالم العربي الى سوق جيدة للصناعات الايرانية . لذلك وخلال مؤتمر لاهور برز التغير في النظرة الايرانية تجاه «اسرائيل» . ففي مجال رده على سؤال احد المراسلين في المؤتمر الاسلامي ، قال وزير الخارجية الايراني عباس خلعتبري : « ان العالم العربي هو الزوجة الشرعية لايران ، بينما «اسرائيل» تمثل العشيقة الفتاة». لكن الجهد الرئيسي الايراني كان موجها نحو القاهرة . فمنذ وقف اطلاق النار في ٢٢ تشرين اول ١٩٧٣ ، أيدت ايران انعقاد مؤتمر جنيف واجراء مفاوضات مباشرة بين «اسرائيل» وجاراتها العربية . وفي ختام زيارة قام بها رئيس الحكومة المصرية عبدالعزيز حجازي لطهران ، وقع في ايار ١٩٧٤ اتفاق حول تقديم مساعدة اقتصادية لمصر بقيمة حوالي مليار دولار . وخصصت اموال المساعدة الايرانية لتوسيع قناة السويس . ومد انبوب نفط السويس ـــ الاسكندرية ، واعادة بناء مدينة بورسعيد . كما جرت خلال زيارة حجازي لطهران مباحثات بشأن امكانية اقامة مشاريع صناعية مشتركة ، وتم تشكيل جهاز لتنسيق النشاطات الاقتصادية بين البلدين . كانت تلك فترة انحطاط في المكانة الاسرائيلية السياسية في ايران ، وحافظ الطرفان على علاقاتهما على نار هادئة .. وادى التحسن الكبير الذي طرأ على وضع ايران الاقتصادي ، بفضـل

عائداتها النفطية ، الى توسيع علاقات التجارة مع «اسرائيل» ، لكنه لم يؤد الى تحسن مماثل في العلاقات السياسية .

في حزيران ١٩٧٤ ، تم التوصل الى اتفاقية فصل قوات بين «اسرائيل» وسوريا في هضبة الجولان بوساطة مصر ، وبذلك انتهت المرحلة الاولى من الجهود التي بذلت برعاية الولايات المتحدة ، من اجل تسوية النزاع العربي — الاسرائيلي بالطرق « السلمية » .

لقد حددت اتفاقيات الفصل حدودا عسكرية جديدة بين «اسرائيل» وكل من مصر وسوريا . ولكنها لم تتضمن اية ميزات سياسية لاي من الاطراف على الرغم من ذلك ، فقد أبرزت الاتفاقية مع مصر اكثر منها مع سوريا نتائج الحرب . فقد ضمنت مصر لنفسها وجودا عسكريا دائما في الضفة الشرقية لقناة السويس . وبذلك وجدت الظروف المناسبة لتطهير القناة واعادة فتحها امام الملاحة الدولية الحرة . بينما عادت القوات السورية في هضبة الجولان الى خطوط وقف النار السابقة . وكان التنازل الاسرائيلي الوحيد هو الانسحاب من القنيطرة . ولكن ليس من التلال المسيطرة عليها . وفي اعقاب تلك الاتفاقيات ، استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة وكل من القاهرة ودمشق . واحتفل الرئيس نيكسون بانجاز ادارته بزيارة قام بها للقاهرة والقدس ، بعد انتهاء هذه المرحلة اخلت حكومة جولدا ميئير مكانها لحكومة اسحق رابين ، حيث شغل في الحكومة الجديدة كل من يجئال الون منصب نائب رئيس الحكومة ووزيرا للخارجية ، وشمعون بيرس وزيرا للدفاع . وكان هؤلاء الثلاثة يعرفون جيدا الاهمية الاستراتيجية لايران ، وكانوا ينوون زيارة طهران في مواعيد مختلفة .

تبنت الحكومة الاسرائيلية الجديدة لنفسها سياسة مبنية على مبدأ «قطعة ارض مقابل قطعة سلام» . وكانت على استعداد لتنفيذ انسحاب عميق في سيناء مقابل انهاء حالة الحرب مع مصر . وكانت هذه النظرية تعتمد على سياسة الخارجية و«الامن» الاسرائيلية في تلك الفترة . وبسبب حساسية وضع الضفة الغربية ، التزم رابين باجراء انتخابات برلمانية جديدة ، قبل التوقيع على اتفاقية مع المملكة الاردنية بهذا الشأن .

على الرغم من ان حكومة رابين كانت تتمتع بمجال مناورة اكبر بالنسبة لمستقبل سيناء ، فقد كانت مصرة على عدم الانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ ، واصرت كذلك على اجراء تعديلات حدود في منطقة رفح وشرم الشيخ . وبسبب تلك القيود ، لم تكن حكومة رابين واثقة بأنها ستتوصل الى تسوية شاملة مع مصر والدول العربية الاخرى . لذلك فضلت اسلوب التسويات المرحلية . فقد كانت حكومة رابين على استعداد للانسحاب من سيناء الى خط العريش — رأس محمد ، مقابل انهاء حالة الحرب مع مصر . بينما كانت على استعداد لانسحاب «رمزي» في هضبة الجولان .

لقد حمل اسحق رابين هذه الفكرة اثناء زيارته الاولى لواشنطن ، في ايلول ١٩٧٤ ، بصفته رئيسا للحكومة ، وبما ان اسحق رابين سبق ان خدم سفيـرا «لاسرائيل» في واشنطن ، مدة خمس سنوات ، فقد تعرف جيدا على الرئيس الاميركي جيرالد فورد ووزير خارجيته الدكتور هنري كيسنجر .

لقد حاولت الادارة الاميركية الجديدة ، التي جاءت في اعقاب استقالة الرئيس نيكسون بسبب علاقته بفضيحة ووترغيت ، تعزيز مكانتها في الداخل . لكن وجود هنري كيسنجر في وزارة الخارجية ضمنت استمرار السياسة الخارجية الاميركية ، ومنحتها دفعة جديدة لمواصلة جهود « السلام »في الشرق الاوسط . واستمعـت الادارة الاميركية جيدا لافكار رابين حتى كانت على استعداد لتأييدها .

غير ان الرئيس فورد والدكتور كيسنجر كانا متتنعين بأن السادات لن يوافق على انهاء حالة الحرب ، مقابل انسحاب جزئي في سيناء . أما بالنسبة لسوريا ، فلم يسمح مجال المناورة الضيق في الجولان للرئيس السوري حافظ الاسد بالانضمـام لمحادثات تسوية مرحلية اخرى بينه وبين «اسرائيل» . في تلك الاثناء ، حاول كيسنجر بلورة مواقف الولايات المتحدة في المفاوضات المنتظرة بين «اسرائيل» ومصر . وكعادته في السنوات الاخيرة ، حاول كسب تأييد الشاه الايراني ايضا . وحاول كيسنجر ايضا اختبار امكانية تحقيق تسوية مرحلية بين «اسرائيل» والاردن . وكانت فكرة كيسنجر تدعو الى انسحاب اسرائيلي رمزي من غور الاردن ، وتسليم مدينة اريحا للحكـم الاردني . ولكن بسبب التزام رئيس حكومة «اسرائيل» باجراء انتخابات جديدة في حالة انسحاب اسرائيلي من الضفة الغربية رفض رابين هذه الفكرة . في ضوء الجهود المختلفة التي كانت تبذل في هذا المجال ، توجه اسحق رابين في تشرين ثاني ١٩٧٤ الى طهران في زيارة عمل لاجراء محادثات مع الشاه . وكانت زيارة رابين سرية ، ولم يعلم بأمرها سوى وزيري الخارجية والدفاع ورافق رابين في زيارته رئيس مكتبه آلي مزراحي وسكرتيره العسكري العميد الثاني افرايم بورن . وهبطت طائرة رابين في مطار طهران مساء يوم الجمعة ، في ذروة عاصفة ثلجية قوية ادت الى انهيار سقف مباني المطار في مهرباد . وفي مدرج جانبي ، استقبل رابين وحاشيته من قبل رئيس السفاك الجنرال نعمةالله ناصري ومن هناك نقلوا الى دار الضيافـة الرسمية في شمال شرقي طهران . وحددت المقابلة مع الشاه يوم السبت الساعة الحاديـة عشرة صباحا . وكان رابين متوترا جدا قبيل اللقاء مع الشاه ، لكنه خرج معه راضيا . وبما ان رابين كان على اطلاع بالوضع في الولايات المتحدة ، اراد الشاه ان يستمع منه الى تقديراته حول الرئيس فورد وعدد من المسؤولين في الادارة الاميركية . وتبادل الاثنان طيلة ساعتين من الزمن الآراء حول الوضع الدولي ، وتصرف الدول العظمى ومكانة «اسرائيل» وايران في الشرق الاوسط . واطلع رابين الشاه على محادثاته مع فورد وكيسنجر ، وشرح له التقديرات القائمة في «اسرائيل» ، بالنسبة

لامكانيات التسوية مع الاردن وسوريا . وحث الشاه رابين على ابداء المرونة ، واعرب عن ثقته بأن مصر تريد بالفعل التوصل الى تسوية سلمية شاملة مع «اسرائيل» .

لم تكن زيارة رابين لطهران مقصورة على المواضيع السياسية ، بل تعدت ذلك لتشمل مواضيع اخرى من ضمنها مساعدة ايران «لاسرائيل» في مجال التطوير ومن خلال الافتراض بأن الشاه يريد «اسرائيل» قوية ، وبما ان حرب رمضان كشفت عدة نقاط ضعف في «اسرائيل» طلب رابين من الشاه منح «اسرائيل» قرضا بمبلغ مليار دولار ، من اجل توسيع شبكة الطرق وتنفيذ مشاريع تطويرية اخرى . ولم تمض أيام كثيرة ، حتى اتضح ان ايران لا تنوي الاستجابة لطلب رابين . فنتائج حرب يوم رمضان لم تشكل دافعا كافيا بالنسبة لايران يجعلها تمنح «اسرائيل» قرضا ماليا ، وخاصة في الوقت الذي يحاول فيه الشاه تحسين علاقاته مع العالم العربي . وعلى الرغم من ان زيارة رابين لطهران لم تجن فائدة فورية الا انها كانت حيوية من اجل تعزيز مكانة «اسرائيل» في ايران وخاصة في تلك الفترة التي أعقبت حرب رمضان بالذات . وكما كان متوقعا ، لم توقف زيارة رابين لطهران جهود التقارب بين مصر وايران . وكنتيجة لتعزيز القوة العربية وتبلور معسكر عربي معتدل ومعاد للسوفيات ، حاول الشاه دمج مصر في المعسكر الموالي للغرب ، ففي كانون اول ١٩٧٤ ، زار رئيس هيئة الاركان العامة الايراني الجنرال غولام رضا ازهري القاهرة. وفحص امكانيات التعاون المشترك العسكري بين الدولتين . وذكرت صحف غربية في ذلك الوقت ان مصر طلبت من ايران تزويدها بأجهزة رادار حديثة ، من الاجهزة التي حصلت عليها من الولايات المتحدة ، بهدف اغلاق الفجوات في جهاز الدفاع الجوي المصري . وكان السادات بحاجة لهذه المعدات بعد ان قرر الاتحاد السوفياتي وقف تزويد مصر بالاسلحة والمعدات العسكرية . وتوجه طيارون مصريون الى ايران لفحص طائرات الفانتوم وطائرات اف/٥.اى ، استعدادا للتوجه الى الولايات المتحدة كي تزود مصر بمثل هذه الطائرات .

لقد مهدت زيارة رئيس الاركان الايراني للقاهرة ، لزيارة الشاه لمصر لاول مرة بعد ٢٤ سنة من الحكم الجمهوري في القاهرة . ووصل الشاه الى القاهرة في كانون ثاني ١٩٧٥ ، ودلت حفاوة الاستقبال على مدى تحسن العلاقات بين الدولتين. واطلع الشاه الرئيس السادات على زيارة رابين لطهران ، واستمع منه الى تفاصيل حول الاستعدادات لمفاوضات التسوية المرحلية مع «اسرائيل» برعاية الولايات المتحدة . ومن خلال معرفة السادات لعمق العلاقات الايرانية ــ الاسرائيلية ، طلب من الشاه استخدام نفوذه لدى حكومة رابين لحملها على تليين موقفها في المحادثات المقبلة . وطلب السادات هذه المرة من الشاه وقف استخدام انبوب ايلات ــ عسقلان، من أجل ضخ النفط الايراني من ايلات الى البحر المتوسط . ودعت ايران ومصر في بيان مشترك ، صدر في ١٢ كانون اول ١٩٧٥ الى انسحاب اسرائيلي كامل من الاراضي

العربية التي احتلت في حرب الايام الستة . كما ايد الزعيمان اعادة الحقوق الوطنية الشرعية للشعب الفلسطيني ، وعارضا تغيير معالم القدس . كما ندد الشاه والسادات بسياسة الاستيطان الاسرائيلية ، في المناطق المحتلة . وفي ختام البيان ، دعيا الى استئناف عقد مؤتمر جنيف باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية . وبذلك يكون الشاه قد أيد قرارات مؤتمر القمة العربي الذي عقد في الرباط في تشرين ثاني ١٩٧٤ تلك المقررات التي منحت منظمة التحرير الفلسطينية حق معالجة القضية الفلسطينية . وكان ذلك تحولا بعيد الاثر في الموقف الايراني ، بحيث كان من شأنه اشعال الضوء الاحمر في «اسرائيل» .

ان البيان المشترك المصري — الايراني اظهر التغيير التدريجي الذي طرأ على موقف الشاه من القضية الفلسطينية . وقال الشاه في حديث لصحيفة الحوادث اللبنانية ، في ١ كانون اول ١٩٧٣ انه طالما لم تحل القضية الفلسطينية لن يكون هناك «سلام» في الشرق الاوسط . وفي مؤتمر صحفي في قصر نيافران في ٩ تشرين ثاني ١٩٧٤ ، قال الشاه ان رفض «اسرائيل» التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية من شأنه عرقلة «السلام» في الشرق الاوسط . كما أيدت ايران في تلك الايام قرار ٣٢١٠ ، الذي قبلت بموجبه منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في الامم المتحدة كما دعي ياسر عرفات لالقاء خطاب من على منصة الجمعية العامة للامم المتحدة . وقال الشاه في حديث آخر لمجلة الحوادث اللبنانية ، يوم ١٣ كانون اول ١٩٧٤ ، انه على الرغم من ان بعض مجموعات ارهابية فلسطينية قامت بتدريب مخربين ايرانيين تسللوا الى بلادنا من اجل قتل اشخاص وتخريب منشآت ، الا ان ايران وقفت وما زالت تقف الى جانب الفلسطينيين . ونحن نعرف كيف نميز بين عدالة القضية الفلسطينية وبين اولئك الذين يسيئون لنا . وايران تخشى ان يصبح الفلسطينيون نتيجة لضغط الظروف الدولية اداة بأيدي السياسة السوفيانية . وستفعل مصر والسعودية وسوريا ودول عربية اخرى ، خيرا اذا ما حاولت منع الفلسطينيين من الوقوع في «المصيدة الشيوعية» .

كانت زيارة الشاه للقاهرة تهدف الى دراسة امكانية بلورة جبهة موالية للغرب في الشرق الاوسط ، وكانت تلك الجبهة يمكن ان تشمل مصر والسعودية وايران . وكان الشاه يعتقد بأن ايران تستطيع ان تقوم بدور هام في الاطار الجديد ، ليس فقط في وقت التوسع الشيوعي باتجاه الخليج العربي ، بل لمحافظته ايضا على بقاء انظمة الحكم في هذه الدول . وحظيت هذه الفكرة بتأييد الولايات المتحدة ، وادت الى تعاون مشترك في عدة مجالات ، بما في ذلك تبادل معلومات بين اجهزة الاستخبارات في تلك الدول . وكان احد الانجازات ، التي كان من الممكن ان يحققها هذا الاطار ، هو قرار الصومال طرد المستشارين السوفيات من اراضيها ونقل ولائها الى الولايات المتحدة. ويذكر بأن السوفيات اقاموا في الصومال قاعدة بحرية كبيرة ومطارا حديثا في مدينة

بربرة . كانت طائرات الاستطلاع السوفياتية تقلع منه لمراقبة تحركات الاسطـول الاميركي السابع في المحيط الهندي . وجاءت الجهود المصرية ـ السعودية ـ الايرانية ، في الصومال ، مكملة للمساعدات التي كانت تقدمها ايران لسلطان عمان في قمع التمرد الشيوعي في ظفار ، فقد كانت النشاطات الشيوعية في تلك المنطقة تشكل تهديدا حقيقيا لممرات النفط الدولية في الخليج العربي .

كانت الولايات المتحدة وايران واثقتين بأنه في اعقاب تحقيق تسوية شاملة في الشرق الاوسط وخاصة بعد احلال «السلام» بين مصر و«اسرائيل» ، سيكون من الممكن دمج «اسرائيل» أيضا في هذا الجزء الدفاعي . لذلك مارست ايران ضغطا مستمرا على «اسرائيل» ، كي تبدي مرونة في علاقاتها مع القاهرة . كما ان الرئيس السادات نفسه أعطى اهمية كبيرة « لمؤامرته الايرانية » لتكون بمثابة اداة ضغط على «اسرائيل» من جهة و « بطاقة دخول» الى واشنطن من جهة اخرى . وكان المسؤول عن توجيه السياسة في هذا الموضوع أشرف مروان صهر الرئيس المصري الراحل . جمال عبدالناصر ، ورئيس مجلس ادارة صناعة الاسلحة العربية فيما بعد ، بينما كان الشخص المسؤول عن الجانب السعودي كمال ادهم . وفي ايران رئيس السـافاك الجنرال نعمة الله ناصري .

عندما اقيمت هيئة التصنيع الحربي العربي باشتراك مصر والسعودية ودولـة اتحاد الامارات العربية ، حاول اشرف مروان ضم ايران لهذه الهيئة ، لكن نائب وزير الدفاع الايراني لشؤون مشتريات الاسلحة والصناعة العسكرية ، الجنرال حسن توخنيان ، رفض الطلب المصري بهذا الشأن .

في تلك الاثناء ، فتح باب لتعاون اسرائيلي ـ ايراني في مجال حساس جدا هو الاعلام . فكلما زاد ثراء ايران زاد العداء لنظام حكم الشاه . وكان الطلاب الايرانيون يقومون بمظاهرات معادية للشاه في كل زيارة يقوم بها لدولة اجنبية . بينما كانت المعارضة الايرانية تسرب للصحف الاجنبية معلومات واسعة عن عمليات اعتقال وقمع للحريات في ايران . وكان من ابرز المعارضين العاملين في هذا المجال طالب جامعي في كلية الاقتصاد في باريس ، أبو الحسن بني صدر ، الذي تسلم فيما بعد منصب رئيس لاول جمهورية اسلامية في ايران . فقد اقام بني صدر علاقة دائمة مع الصحف الفرنسية وتحول بالتدريج الى الناطق بلسان المعارضـة الايرانية في اوروبا . بينما شغل هذا المنصب في الولايات المتحدة الدكتور ابراهيم يازدى ، الذي تسلم فيما بعد منصب وزير للخارجية في حكومة مهدي بازرغان .

كلما كانت تزداد الهجمات على طابع النظام الايراني الدكتاتوري ، كان يتضح ان علاقة الشاه مع «اسرائيل» تتأثر في بعض الاحيان من نظرة الصحف الاميركية تجاهه . فقد كان الشاه واثقا في ضوء كثرة عدد الصحفيين اليهود في الولايات المتحدة،

ان اسرائيل تستطيع اذا ارادت ذلك تخفيف الهجمات ضده في الصحف الاميركية . وكان المسؤولون الاسرائيليون يفاجأون في بعض الاحيان ، عندما كان المسؤولون الايرانيون يصرحون بأن مهاجمة ايران على أيدي الصحف الاميركية من شأنها التأثير على علاقة ايران مع «اسرائيل» . وكان الدبلوماسيون الاسرائيليون يقولون ان الحكومة الاسرائيلية ليس لديها نفوذ على الصحف الاسرائيلية ، فكيف الحال بالنسبة للصحف الاميركية والدولية . لكن المسؤولين الايرانيين كانوا لا يصدقون ذلك . وكانوا يذكرون أسماء صحفيين يهود ويتساءلون : هل لا تستطيعون ضبط هؤلاء ؟ وكان يختفي وراء هذا الاسلوب شعور لدى الشاه بأن «اسرائيل» صاحبة المبادرة في الحملة المعادية له . وعندما كان دبلوماسيون اسرائيليون يسألون ما هي مصلحة «اسرائيل» في تشجيع شن حملة على ايران ، كان المسؤولون الايرانيون يجيبون بهز اكتفاهم . وكانوا يلمحون الى ان الشاه نفسه يعتقد بأن «اسرائيل» تقف وراء الحملة ضده ، سواء عن طريق مبادرة مباشرة او عن طريق الموافقة السرية .

ومن أجل القضاء على هذه الفكرة واخراجها من رأس الشاه ، أجرى السفير لوبراني في صيف ١٩٧٤ محادثات محددة وصريحة مع اسداالله علام . وعلى الرغم من ان اسدالله كانت لديه قناعة بأنه لا توجد «لاسرائيل» مصلحة في حملة ضد الشاه، الا انه كان مقتنعا بأن «اسرائيل» قادرة على وقف حملة الانتقادات الموجهة ضد الشاه في الصحف الاميركية . وأوضح لوبراني لعلام بأن «اسرائيل» لا تستطيع التأثير على ادارات تحرير الصحف الاميركية ، او على سياسة محطات التلفزيون في الولايات المتحدة . لذلك اقترح ان تبدأ ايران بحملة معينة في الولايات المتحدة ، من شأنها تحسين صورة ايران في نظر الرأي العام والكونغرس الاميركي . وتحمس علام لهذه الفكرة ، وقال انه اذا ما تعاونت «اسرائيل» وايران في هذه العملية ، فقد تحققان مكاسب جيدة . ووعد علام بدراسة هذه الفكرة مع الشاه ، وابلاغ لوبراني بقراراته في أسرع وقت .

في اعقاب تلك المحادثات مع علام ، كان واضحا انه يجب على «اسرائيل» ان تكون حذرة من مشاكل داخلية في ايران . فقد كان الجهاز الاعلامي يخضع لرئيس الحكومة ، بينما كان لعلام نزاع شخصي مع رئيس الحكومة امير عباس هويدا . لذلك لم يكن من الغريب ان يشن علام حملة انتقادات على جهاز الاعلام ، بشأن عدم قدرته على تحسين صورة الشاه في نظر الرأي العام العالمي . وعلى ضوء هذا النزاع بين هويدا وعلام ، خشيت «اسرائيل» حدوث مشاكل في علاقاتها مع الشاه . وكانت هنالك شكوك حول امكانية نجاح عملية الاعلام في الولايات المتحدة . كما ان لوبراني قد وبخ من قبل وزارة الخارجية الاسرائيلية لتقديمه هذا الاقتراح ، بدون اخذ موافقتها لكن موقف وزارة الخارجية الاسرائيلية لم يردع السفير لوبراني ، الذي اعتقد بأن مثل هذه الحملة الاعلامية المشتركة مفيدة للدولتين ، كيف لا ومثل هذا التعاون من شأنه فتح باب للتقرب الى مراكز القوى الرئيسية في الدولة والشاه .

مرت اسابيع ولم يتلق لوبراني رد الشاه على اقتراحه . واجتمع لوبراني بأحد المسؤولين المقربين من علام ، وتساءل لماذا لم يتلق الرد على اقتراحه بشأن تحسين صورة ايران في الولايات المتحدة ، على الرغم من وجود احتمال لنجاح مثل هذه العملية . ووعد المسؤول الايراني بأن يبحث الامر مع علام .

بعد اجتماع آخر عقده لوبراني مع وزير البلاط الايراني ، أبلغ بالفعل بموافقة الشاه على الخطة . وبناء على تعليمات الشاه اقيم في القصر « وحدة للمهام الخاصة » برئاسة الدكتور منصور جودا رزي ، الذي كان مرتبطا بصورة مباشرة مع علام . ووضع تحت تصرف الوحدة الجديدة مبلغ مليون دولار . واعلن عن تشكيلها رسميا بموجب امر خاص من الشاه .

ومن أجل وضع خطة اعلامية فعالة ، اشتركت وزارة الخارجية الاسرائيلية بالعملية . وبناء على اقتراح شلومو ارجوب ، نائب مدير عام وزارة الخارجية الاسرائيلية لشؤون الاعلام ، كلف لهذه العملية وان نيكلوفنتش ، وهو احد الخبراء البارزين في اجراء استفتاء للرأي العام في الولايات المتحدة . وبناء على طلب من علام وجودارزي ، وصل ارجوب ونيكلوفنتش الى طهران ، لدراسة الخطة وأهدافها، ومن اجل التعرف على نقاط الضعف في صورة ايران في الولايات المتحدة ، طلب نيكلوفنتس اعطاءه الحرية الكاملة في اجراء استفتاء للرأى العام الاميركي .

واكد نيكلوفنتش بأنه اذا لم يسفر الاستفتاء عن نتائج ايجابية ، ويظهر المواقف الحقيقية للرأي العام الاميركي ، فلن تكون هنالك أية خطة يمكن ان تنجح وستبقى صورة ايران في اميركا كما هي . وقبل علام بهذا الطلب ، وبعد اعداد الاموال اللازمة لذلك ، بدأ نيكلوفنتش باجراء الاستفتاء في الولايات المتحدة . وبعد مضي عدة اسابيع عاد الخبير الاميركي الى طهران حاملا نتيجة الاستفتاء ، التي اذهلت علام وجودارزي . فقد اتضح انه لا توجد في الولايات المتحدة هيئة واحدة تتعاطف مع الشاه او حكومته .

تأثر علام كثيرا من النتائج وسأل لوبراني هل يثق بنيكلوفنتش والمعلومات التي توصل اليها ، وأجاب لوبراني بأن نيكلوفنتش يعتبر من أفضل العاملين في هذا المجال ، وان جميع الاستفتاءات التي كان يجريها قبل الانتخابات الاميركية كانت تظهر تماما نتائج الرأي العام الاميركي . وقال علام انه يخشى تقديم هذه النتائج للشاه . لذلك اقترح ان يقدم نيكلوفنتس نفسه نتائج استفتائه .

ذهب نيكلوفنتش لمقابلة الشاه . وبعد اجراء مقابلة استغرقت ساعة كاملة شرح خلالها للشاه كيفية اجراء الاستفتاء ، والجهات التي طرحت عليها الاسئلة ونتائجها ، خرج نيكلوفنتش من المقابلة شاحبا ومتأثرا . وأبلغ علام ان الشاه رفض قبول هذه

النتائج ، وقال انه حسب المعلومات المتوفرة لديه فان ايران تتمتع بسمعة طيبة في الولايات المتحدة . واجاب علام على ذلك بقوله « اذا كان الشاه قد قال ذلك ، فنحن نواجه مشكلة حقيقة » .

استدعى علام لوبراني لاجراء محادثة اخرى . وقال له لوبراني انه يجب مواجهة الواقع بشجاعة ومحاولة اقناع الشاه بتصديق نتائج الاستفتاء . وأجاب علام بأنه يوافقه على هذا الرأي ، وانه يتحيَّن الفرصة المناسبة ليتحدث مع الشاه بهذا الموضوع . واشار علام على نيكلوفنتش بالعودة الى نيويورك ، على أن يبلغه بقرار الشاه بأسرع وقت . وبعد ثلاثة أسابيع ، أبلغ علام نيكلوفنتش بأن الشاه قرر الاستمرار في العملية . وقال انه على الرغم من عدم تصديق الشاه لنتائج الاستفتاء ، الا انه قرر منح نيكلوفنتش فرصة اخرى لتحسين صورة ايران في الولايات المتحدة . وبناء على اقتراح نيكلوفنتش عقدت اتفاقية مع شركة للعلاقات العامة في نيويورك ، وتمت الترتيبات لارسال ستة صحفيين للقيام بجولة في ايران . وكان الهدف من ذلك دراسة هذا الاسلوب والوقف على مدى نجاعته . لكن اصداء الجولة كانت ضعيفة ، لذلك قرر القصر تغيير هذا الاسلوب .

بعد خروج الشاه الى المنفى في ١٦ كانون ثاني ١٩٧٩ ، وبعد اعدام هويدا في ١٧ نيسان ١٩٧٩ عثر في مكتب رئيس الوزراء السابق على رسائل سرية تكشف بأنه بالاضافة لجهود علام بشأن تحسين صورة ايران في الولايات المتحدة ، كان يعمل في هذا المجال ايضا كل من السفير زاهدي في واشنطن وهويدا نفسه . غير انه ، كما كانت العادة المتبعة في ايران في تلك الايام ، لم يكن هناك تنسيق بين جهد علام وهويدا والسفير زاهدي .

جاء في « وجهة نظر » كان قد كتبها هويدا للشاه في ١٨ كانون ثاني ١٩٧٥ ، « ان فكرة اقامة لوبي ايراني في الكونغرس الاميركي تبدو في نظري منطقية ومفيدة » وكانت الفكرة قد طرحت من قبل السيدة ماريون يعفتس ، زوجة السناتور اليهودي الجمهوري من ولاية نيويورك يعقوب يعفتس ، التي كانت تعمل في شركة « رودرات فين » للعلاقات العامة ، والتي كانت تسعى لاقامة لوبي ايراني في اميركا . ومن اجل اخفاء الطابع الحقيقي للعملية ، اقترح ان يتم توقيع الاتفاقية مع شركة «رودرات فين» في نيويورك ، من قبل شركة الطيران الايراني « ايران اير » . فقد ورد في رسالة كتبها فاربيز ردجي ، وهو موظف ايراني كبير من اجل توقيع الاتفاقية ، لهويدا في ٢١ حزيران ١٩٧٥ انه من اجل منع حدوث بلبلة في حالة اكتشاف الاتفاقية في المستقبل ، اقترح ان توقع الاتفاقية بين الشركة الاميركية وبيننا من قبل شركة « ايران اير » . وان التوقيع مع شركة الطيران الايرانية ما هو الا غطاء بالطبع ، وان الشركة الاميركية على استعداد لتنفيذ كافة بنود الاتفاقية التي اتفق عليها .

وبرر فاربيز توصيته بقوله : « انه خلال المحادثات التي أجراها مع السيدة يعقوب يعفتس ، وموظفين آخرين في الشركة قبل التوقيع على الاتفاقية ، اكد مرارا على ضرورة احاطة هذا التعاون بالسرية التامة . على الرغم من ان السبب الحقيقي لتوقيع الاتفاقية من قبل شركة ايران اير ، يجب ان يعتمد على قصة غطاء مقنعة .

فقد تم الاتصال مع السيدة يعفتس بتشجيع من زاهدي . كما ان عملية علام نيكلوفنتش كانت تنفذ بدون علم هويدا وزاهدي . أما بالنسبة «لاسرائيل» ، ففي أعقاب خلق الاتصال بين علام ونيكلوفنتش لم تعد تتدخل في العملية بصورة فعلية . لكنها كانت تطلع على ما يجري نتيجة للاتصال الدائم مع جودارزي . في النهاية اكتشفت « قضية يعفتس » وصاحبتها ضجة كبيرة .

ففي ١٦ كانون ثاني ١٩٧٦ ، نشر في الصحف الاميركية ان السيدة يعفتس تلقت مبلغ ٧٦ الف دولار بصفتها مستشارة لشركة « ايران اير » . وادعت السيدة يعفتس في البداية ان ذلك عمل كأي عمل آخر وستواصل القيام به . لكن بعد بضعة أيام ، وخشية تفسير الاتفاقية بشكل يتنافى مع تعهدات زوجها في مجلس الشيوخ الاميركي ، استقالت السيدة يعفتس من منصبها في شركة « رودرات فين » ، وتوقفت عن العمل لصالح ايران . وفي المقابل بقيت تفاصيل العملية التي قام بها علام — نيكلوفنتش سرية حتى اليوم .

قبيل نهاية عام ١٩٧٢ ، زاد الضغط الايراني على «اسرائيل» في موضوع النفط . فعلى الرغم من حذر الايرانيين من ربط موضوع النفط بأية تبريرات سياسية نقد كان واضحا ان المساعدة التي وعد بها الشاه في ايار ١٩٧٤ في مد انبوب النفط السويس — الاسكندرية ، وزيارة الشاه المنتظرة لمصر في كانون ثاني ١٩٧٥ ، قد اثرتا على مواقف الايرانيين بهذا الشأ ن. لذلك قررت «اسرائيل» اثارة هذا الموضوع مع الشاه ، وكلف بهذه المهمة وزير الخارجية يجئال الون ، وتوجه الى طهــران في شباط ١٩٧٥ مع مساعده حاييم بارأون . ووصل يجئال الون الى طهران على متن طائرة تابعة لشركة العال الاسرائيلية في رحلة عادية بينما كان يرتدي «باروكة» ونظارات شمسية ، مما جعله يقارب من حيث المظهر المستشار الالماني هيلمت شميدت لقد جاءت زيارة وزير الخارجية الاسرائيلي بعد وقت قصير فقط من زيارة الشاه الرسمية للقاهرة وقبل افتتاح المفاوضات الاسرائيلية المصرية حول تسوية مرحلية في سيناء برعاية الولايات المتحدة ببضعة اسابيع . وكان واضحــا من خلال التصريحات المصرية ، والمحادثات التي اجراها الدكتور هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركية تمهيدا للمفاوضات ، ان السادات سيصر على مطلبين رئيسيين : انسحاب «اسرائيل» من ممري متــلا والجدي ، واخلاء حقول النفط في ابو رديس . وبما ان نفط سيناء كان يسد قسما كبيرا من احتياجات «اسرائيل» النفطية ، فقد كان واضحا ان الضغط الايراني بشأن النفط قد أخذ بعين الاعتبار من قبل «اسرائيل» ، بالنسبة

لمدى استعدادها الاستجابة لمطالب السادات ، ولكي يقضي كيسنجر على مخاوف «اسرائيل» بهذا الشأن ، فقد قدم تعهدا من قبل الشاه بعدم وقف صادرات النفط الايرانية «لاسرائيل» . وهكذا اصبحت ايران منذ الان العنصر المؤثر على اعتبارات حكومة «اسرائيل» ، وعلى مدى استجابتها للمطالب المصرية . لذلك طرح الون على الشاه مسألة الضغط الذي يمارسه الدكتور اقبال في موضوع النفط ، وفي اعقاب ذلك اللقاء ، امر الشاه شركة النفط الايرانية بأن تستمر في تزويد «اسرائيل» بالنفط كالمعتاد . ولم يكن لدى اقبال ، الذي يترأس شركة النفط الايرانية ، اي خيار سوى مواصلة ضخ النفط في انبوب ايلات ـــ عسقلان .

على الرغم من كل ذلك ، فقد كانت الفترة التي تلت ذلك مملوءة بالعراقيل في العلاقات الايرانية ـــ الاسرائيلية ، فقد فشلت محادثات التسوية المرحلية مع مصر. وبتوصية من الدكتور كيسنجر ، اعلن الرئيس الاميركي جيرالد فورد « اعادة نظر » في سياسة الولايات المتحدة تجاه «اسرائيل» . وادى ذلك فورا الى ممارسة ضغط ايراني على «اسرائيل» . وفي ضوء حساسية موضوع النفط ، فقد حذرت ايران من المس به . وفي المقابل جمدت تقريبا مشتريات ايران « الامنية » من «اسرائيل» . ومرت فترة كان من الصعب اجراء محادثات مع المسؤولين الايرانيين حيث كان الجميع يقولون بأنه يجب على «اسرائيل» ان تبدي مرونة اكثر تجاه مصر . ولم يتردد بعض المسؤولين الايرانيين الكبار من القول بأنه طالما بقيت هنالك ازمة في العلاقات المصرية ـــ الاسرائيلية ، يجب على «اسرائيل» ان تعتاد على تجميد علاقاتها مع ايران ايضا . كما ان الشاه لم يتردد في تصريحاته العلنية في اتهام «اسرائيل» بافشال المفاوضات مع السادات .

لقد جاء الضغط الايراني على «اسرائيل» بناء على طلب شخصي من الرئيس السادات . ففي ٢٤ نيسان ١٩٧٥ ، وصل السادات الى طهران في زيارة مجاملة ولاجراء محادثات سياسية مع الشاه . وفي مؤتمر صحفي مشترك عقد في قاعة مطار طهران ، قال الرئيس السادات : « لقد حان الوقت الان لحل النزاع العربي ـــ الاسرائيلي . وان ما يؤخر الاتفاقية هو رفض «اسرائيل» الانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها في عام ١٩٦٧ » .

بينما اعلن الشاه في نفس الموقف : تأييده الكامل لسياسة الرئيس السادات . وقال : ان السياسة المصرية تعتمد على الذكاء والعدل ، في حين تعتمد السياسة الاسرائيلية على التصلب وهي غير منطقية .

لقد غضب الشاه نتيجة لوقف المحادثات المرحلية ، حتى ان المسؤولين الاسرائيليين خشوا قطع العلاقات الايرانية مع «اسرائيل» . وتوقفت صفقات الاسلحة مع «اسرائيل». وامتنعت ايران عن اجراء اي نوع من المحادثات السياسية مع «اسرائيل» بالعودة الى المحادثات مع مصر بأسرع ما يمكن .

يمكننا الوقوف على مدى الحساسية الاسرائيلية بالنسبة للعلاقات مع ايـران في تلك الفترة كما يلي :

لقد زار محمد حسنين هيكل ، رئيس تحرير صحيفة الاهرام المصرية ، طهران في تلك الايام ، واجرى مقابلة مع الشاه . وسأل هيكل الشاه هل يوجد حقا تعاون مشترك عسكري واستخباري بين ايران و«اسرائيل» ؟ .

ورد الشاه بالايجاب . وقال ان هذا التعاون بدأ منذ عهد جمال عبدالناصر . وجاء بناء على المثل القائل « عدو عدوي صديقي » . وبما ان الايرانيين لم يكونوا يعلمون كيف ستنشر الصحف المصرية حديث الشاه هذا ، اراد وزير الخارجية الايراني خلعتبري اطلاع السفير الاسرائيلي لوبراني على مضمون الحديث . وعندما ابلغ السفير الاسرائيلي في ساعة متأخرة من الليل بأنه مطلوب منه الحضور فورا لاجراء محادثات مع وزير الخارجية الايراني ، كانت لديه قناعة بأن الموضوع يتعلق بابلاغه قطع العلاقات مع «اسرائيل» . لذلك كم كانت فرحة لوبراني كبيرة عندما ابلغ بالسبب الحقيقي للدعوة العاجلة .

في صيف ١٩٧٥ ، بدا واضحا بأن الضغط الاميركي على «اسرائيل» بدأ يجني ثماره . ففي حزيران ١٩٧٥ ، اجتمع الرئيس السادات مع الرئيس الاميركي فورد في سالسبورغ في النمسا ، وقرر الاثنان استئناف الجهود من أجل التوصل الى تسوية مرحلية مع «اسرائيل» ، واستغل السادات اجتماع سالسبورغ لشرح موقف مصر في الشرق الاوسط ، والامكانيات الكثيرة لتعاون اميركي ــ مصري في منطقة الخليج العربي . وتحدث السادات عن لقائه مع الشاه في طهران ، كما قدم للرئيس فورد طلبه بشأن تزويده بأسلحة اميركية ، لكي تستطيع مصر القيام بدورها في اطـار الاستراتيجية الغربية في الشرق الاوسط .

في اعقاب محادثات سالسبورغ ، وصل كيسنجر الى «اسرائيل» لاكمال الاستعدادات من اجل استئناف المفاوضات بين مصر و«اسرائيل» . وكان اطار المحادثات في هذه المرة اكثر واقعية من الجولة الاولى . فقد ظلت مصر مصرة على رفضها الغاء حالة الحرب مقابل انسحاب جزئي من سيناء ، لكنها أعربت عن استعدادها لوقف اطلاق النار مدة ثلاث سنوات . وفي المقابل أصرت مصر على مطالبتها بانسحاب «اسرائيل» من ممري متلا والجدي واخلاء حقول النفط في ابو رديس . ومن اجل القضاء على مخاوف «اسرائيل» بشأن موضوع النفط ، حصل كيسنجر مرة اخرى على وعد من الشاه بعدم المس بتزويد النفط «لاسرائيل» . لكن الحكومة الاسرائيلية لم تكتف بذلك ، وارادت الحصول على تعهدات اوضح بشأن الموضوع . وقالت صحيفة تصدر في نيويورك ، بتحرير صحفي يهودي ــ لبناني يدعى توفيق حزرامي ، انه قبل توقيع الاتفاقية المرحلية مع مصر بأسبوعين اجتمع

رابين بالشاه في طهران . وحصل منه على وعد بشأن استمرار تدفق النفط الايراني على «اسرائيل» . وان رابين وصل الى طهران في ١٦ آب ١٩٧٥ ، وادت تعهدات الشاه بشأن موضوع النفط الى الغاء المعارضة الاسرائيلية للتوقيع على الاتفاقية المرحلية مع مصر .

لقد اثبتت زيارة رابين الثانية لايران . انه على الرغم من وسائل الحذر التي اتخذتها اجهزة «الامن» الايرانية والاسرائيلية ، فقد تسرب امر الزيارة . ففي تلك الايام كان الشاه يقضي اجازة نهاية الاسبوع في مقره الصيفي في نوشاهر ، وكان يسكن في فندق «رامسار» . وكان يسكن في الفندق في نفس الفترة عدد من اليهود الاسرائيليين العاملين في مشاريع التطوير الايرانية . وقد تعرف هؤلاء فورا على رئيس حكومة «اسرائيل» ، وانتشر نبأ زيارة رابين بين الاسرائيليين بسرعة . ومنعت السلطات الايرانية نشر النبأ في الصحف والتلفزيون في ايران ، لكن يبدو انها لم تستطع منع تسرب النبأ الى الخارج ، حيث نشر في نيويورك .

على الرغم من عدم نشر تفاصيل محادثات نوشاهر بصفة رسمية ، فقد كان بالامكان ادراك موقف الشاه في تلك المحادثة من خلال تصريحاته العلنية . ففي حديث مع الصحفيين ، في منتصف آب ١٩٧٥ ، قال الشاه : « ان سياسة «اسرائيل» غير ذكية ولا منطقية وتعارض قرارات الامم المتحدة و«اسرائيل» لن تستطيع أبدا الانتصار على العالم العربي . فلو وصلت اسرائيل الى القاهرة ودمشق ، سيبقى عليها ان تحارب ١٠٠ مليون عربي . فالعالم العربي قادر على تحمل الخسائر ، لكن «اسرائيل» لا تستطيع ذلك . فهل تعتقد «اسرائيل» حقا بأنها ستكون قادرة على احتلال الجزائر والسعودية لكي توقف الدعم الذي تقدمانه لدول المواجهة العربية ؟ » . وفي مقابلة مع محمد حسنين هيكل ، نشرت في تشرين اول ١٩٧٥ ، قال الشاه : « لقد قلت لزعماء «اسرائيل» يجب ا نتكونوا واقعيين ، فلن تستطيعوا ابدا احتلال العالم العربي » . واعترف الشاه في نفس المقابلة بوجود تعاون عسكري واستخباري مع «اسرائيل»، لكنه ادعى بأن ذلك حدث بعد موجة النشاطات السرية ، التي كان يمارسها عبد الناصر في العالم العربي .

في اعقاب التوقيع على الاتفاقية المرحلية مع مصر في ايلول ١٩٧٥ ، طرا تحسن فوري على العلاقات الايرانية ــ الاسرائيلية . ولكي تؤكد ايران اهتمامها بوجود سلام في الشرق الاوسط ، ارسلت كتيبة مشاة للخدمة في اطار قوات الطوارىء الدولية في هضبة الجولان .

في صيف عام ١٩٧٦ ، زاد الضغط الايراني على «اسرائيل» مرة اخرى ، بشأن النفط وضخه في انبوب ايلات ــ عسقلان . وفي ضوء نجاح الون في الماضي بمعالجة موضوع النفط ، كلفه رابين من جديد في آب ١٩٧٦بالتوجه الى طهران لاجراء محادثات

بهذا الشأن مع الشاه . وكعادته فضل الون الوصول الى طهران برحلة عادية ، وليس على متن طائرة خاصة . وعندما هبط في مطار مهرباد لم يستطع احد التعرف عليـــه .

لقد كان الجنــرال نعمة الله ناصـــري يحرص دائما على اســتقبال الزوار الاسرائيليين في المطار هو شخصيا ، بصفته نائبا لرئيس الحكومة . لكن في هذه المرة تضمن برنامج لقاءات يجئال الون لقاء مع وزير الخارجيـــة الايراني عباس علي خلعتبري . لذلك كان ينتظر الون في دار الضيافة الرسمية في شمال طهران .

كان خلعتبري دبلوماسيا قديما وخبيرا ، ذا ثقافة فرنسية واسعة ، وتقاليــد اوروبية . وكان قليل الكلام بشكل عام . وكان يعتبره الجميع ممثلا لآراء الشاه ، فيما يتعلق بالسياسة الخارجية . وكانت صداقته وتعاطفه مع «اسرائيل» ظاهرا . كما كان خلعتبري على اطلاع واسع بعلاقات اسرائيل — ايران وكان وزير الخارجية الايراني الوحيد الذي زار «اسرائيل» في آذار ١٩٧٧ ، وحل ضيفا على يجئال الون في كيبوتس غينوسار .

كان يجئال الون يعرف كيف يصغي جيدا ، وكان دائما مفتوحا لافكار جديدة، فقد كان يعرف تماما حقيقة ان الشاه يعيش ذروة قوته ، فثراء ايران الاقتصادي منحها قدرة التأثير السياسي . وكانت جميع الدول الاوروبية تطمع في الحصول على جزء من « كعكتها النفطية » . وكان الشاه يشعر بذلك جيدا ويستغله لتعزيز مكانته . واصبحت مواقفه اكثر عدوانية ، وكان يؤمن بأنه خلال فترة قصيرة ستصبح ايران دولة عظمى . وكان مصرا على ان تساهم بلاده في استغلال ثرواتها الطبيعية . ففي ضوء الموقف الايراني المتصلب ذاك ، قرر الون التصرف بتكتيك وادب ، لكن بدون التنازل عن موقفه بشأن استمرار بقاء العلاقات الايرانية — الاسرائيلية في موضوع النفط كما هي .

جرت المقابلة بين الون والشاه في قصر نياخران ، وهو قصر الملك الجديد الذي اقامه في شمال المدينة ، وكان يقيم فيه معظم اشهر السنه . ويوجد فيه مكتبه ايضا . ورافق وزير الخارجية الايراني خلعتبري زميله الاسرائيلي الى القصر وبعد فحص وتفتيش السيارة ، ركب احد رجال الامن الايرانيين في السيارة وارشد الضيوف حتى باب القصر ، حيث انتظرهما هناك رئيس التشريفات الذي كان مسؤولا عن ترتيب زيارات سرية كهذه ، وقادهما الى غرفة الاستقبال في الطابق الثاني من القصر وبعد تناول الشاي الفارسي ، استدعى ألون الى مكتب الشاه .

استغرقت محادثات الون مع الشاه مدة ساعتين نجح خلالهما وزير الخارجيـــة الاسرائيلي في ايجاد التوازن المطلوب ، بين خلق جو مريح للمحادثات وبين جو يسوده الخنوع . واستطاع الون مناقشة الشاه في بعض الاراء التي لم تكن مريحة بالنسبة

«لاسرائيل» وكانت المحادثات تتركز بالطبع على مشاكل النفط . واوضح الون للشاه بانه لا يعقل ان تلغى اتفاقيات تزويد النفط ، التي كانت مريحة بالنسبة لايران في السابق ، بمسحة يد الآن .

وعرض الون على الشاه ، نظرينه بشأن اهمية الدور الذي سيساهم به التعاون المشترك الاسرائيلي ـــ الايراني في منطقة الخليج العربي . حتى انه الح بأن استمرار العلاقات مع «اسرائيل» ربما يكون فيه عبء على ايران . لكن الامور قد تنقلب غدا راسا على عقب . لذلك فمن الافضل ان تكون العلاقات بين الدولتين مبنية على اسس ثابتة وصلبة . وقد قنع الشاه بالفعل من اقوال الون ، ووعده باستمرار تزويـــد «اسرائيل» بالنفط الايراني .

كان وزير الخارجية الاسرائيلي فخورا جدا بالانجازات التي حققها في محادثاته مع الشاه . بعد ذلك توجه الضيف الاسرائيلي ومرافقوه الى منزل خلعتبري ، حيث اقام له مأدبة غداء حضرها عدد كبير من المسؤولين الايرانيين . وبعد انتهاء المأدبـــة توجه الون وجماعته الى مكتب رئيس الوزراء الايراني للاجتماع مع هويدا . وفور وصول الون الى مكتب هويدا ، ادرك بسرعة ان هويدا قد احيط علما بتفاصيل ونتائج محادثات الون مع الشاه وخلعنبري . كان هويدا من اصل بهائي ، وقد ولد في مدينة عكـــا في فلسطين ابان الحكم العثماني ، وبعد خدمة جيدة في وزارة الخارجية الايرانية، عين في منصب كبير في شركة النفط الايرانية الوطنية . ومن ثم وصل بفضل ولائه المطلق للشاه الى رئاسة الحكومة . كان هويدا رجلا مثقفا وذا حضارة غربية . وكان يتقن جيدا اللغات الانجليزيدة والفرنسية والالمانية والعربية . وكان من بين الشخصيات الايرانية القليلة الذي يطالع كثيرا ، حيث كانت في منزله مكتبة كبيرة وغنية واشتملت على احدث الكتب التي صدرت في اميركا ومختلف الدول الاوروبية وكان يطالع عن قرب التطورات الدولية ، ويعرف جيدا التيار الادبي في الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا . وكان بيته مفتوحا دائما بوجه رجال العلم الايرانيين ، حتى اولئك الذين لم يكونوا على علاقة مع الشاه .

تناولت محادثة الون ـــ هويدا مواضيع كثيرة ، لكنه بما ان المواضيع التي قدم الون من اجلها سبق ان حلت في محادثته مع الشاه ، فلم يكن لمحادثته مع هويـــدا نتائج عملية .

بعد مقابلة هويدا ، اقفل الون مسرعا في العودة الى «اسرائيل» على متن طائرة تابعة لشركة العال الاسرائيلية .

منذ حرب رمضان ، وبعد ان ارتفعت اسعار النفط اربعة اضعاف ، زادت واردات ايران بكمية كبيرة ، ولم تعد تحتاج قرضا اسرائيليا لشراء اسلحتها من «اسرائيل» ، وبدلا من ذلك ، بذلت جهود اسرائيلية للاشتراك في برامج مشتريـــات

الاسلحة الايرانية . فمنذ انسحاب بريطانيا من منطقة الخليج العربي ، ومنذ ان اخذ الشاه على نفسه القيام بدور « شرطي الخليج » ، أصبح برنامج التسلح الايراني يثير الاهتمام . وبعد جهود دبلوماسية مكثفة ، وقعت ايران مع الولايات المتحدة على اتفاقية بشأن تجميع صواريخ مضادة للدبابات من نوع « تاو » ، وطائرات هليكوبتر من نوع « بال » . ومع بريطانيا وقعت ايران على اتفاقية لانتاج صواريخ "رانبيار" .

بدأت القاعدة الامنية الايرانية بالاتساع بسرعة ، وبمساعدة الواردات المالية الكبيرة التي كانت متوفرة لديها ، سعت ايران للوصول بسرعة الى قدرة الانتاج الذاتي من الاسلحة الحديثة والتكنولوجيا المتقدمة . وخلق هذا الوضع لدى «اسرائيل» المخاوف من توقف ايران عن مشتريات الاسلحة منها ، سواء بسبب حصول الشاه على احتياجاته من الولايات المتحدة ، او من جراء قدرة الصناعة العسكرية الايرانية على تلبية احتياجات الجيش الايراني بالتدريج ، من الذخيرة وانواع معينة من الاسلحة .

كان المناخ السياسي في تلك الفترة مريحا ، فمنذ التوقيع على الاتفاقية المرحلية مع مصر ، ساد نوع من الهدوء المجابهة العربية — الاسرائيلية . وركز الانتباه في الشرق الاوسط على الحرب الاهلية في لبنان والتدخل السوري فيها . وزاد الدور الذي قام به الفلسطينيون ، في «زعزعة» استقلال لبـنان . من تحفظات الشاه تجاه منظمة التحرير الفلسطينية .

ورفض الشاه طلبا جديدا لمنظمة التحرير الفلسطينية بشأن فتح مكتب لها في طهران . وواصلت ايران المناداة باشراك الاردن في حل القضية الفلسطينية . وفي مقابلة مع صحيفة عكـاظ السعودية في ٢٨ ايار ١٩٧٦ ، قال الشاه : « كيف يستطيع العرب واليهود والمسيحيون العيش «بسلام» في نطاق دولة علمانية بعد المذبحـة البشعة التي تجري الآن بين المسيحيين والمسلمين في لبنان » . واسرائيل هي حقيقة قائمة ، ولا ارى اي ضرر من الاعتراف العربي بها » . كان ذلك الجو مناسبا لان يقوم الرجل الثالث في القيادة الاسرائيلية ، وهو شمعون بيرس ، بزيارة لطهران بصفته وزيرا للدفاع .

وقبل توجه بيرس الى طهران ، في ايلول ١٩٧٦ ، استعد للزيارة وقرأ كتب الشاه وجميع ما كتب عنه . ودرس طباع وميول واحاسيس الملك الايراني . وتوجه بيرس والوفد المرافق له الى طهران على متن طائرة «وستدوند» من انتاج الصناعة الجوية في «اسرائيل» ، ولدى وصولهم حلوا ضيوفا على دار الضيافة الرسمية في ايران . وفي غداة وصول الوفد الاسرائيلي ، توجه بيرس الى قصر نيافران للاجتماع بالشاه . وتحدث الشاه بصراحة مدهشة ، حيث لم يسبق له ان هاجم الولايات المتحدة هكذا ، مدعيا انها لم تدرك بعد ما يجري الان في الشرق الاوسط . واوضح الشاه المخاطر التي تحيق ببلاده على ايدي الاتحاد السوفياتي . وقال انه يسود الان الهدوء بالفعل ،

لكنه في ضوء اطماع موسكو الدائمة ، فان هذا الهدوء مؤقت فقط . وقال الشاه ان المساعدات السوفياتية للعراق تهدف الى تحويل الهلال الخصيب الى هلال احمر ، الامر الذي من شأنه زيادة التهديد على منطقة الخليج العربي وتعريض المصالح الغربية الحيوية للخطر . وأوضح ان سيطرة الاتحاد السوفياتي على بلوخستان ، ستجعل الوجود الشيوعي من افغانستان حتى ايران حقيقة قائمة .

وتحدث الشاه عن عدم الاستقرار في الهند ، ورغبات انديرا غاندي في التعاون مع موسكو ، واعرب عن شكه في استعداد اوروبا الغربية لمنع تطور من هذا النوع . لذلك يجب على ايران بناء قوتها الذاتية لكي تستطيع الدفاع عن نفسها . لكن اللوبي اليهودي بالذات في الولايات المتحدة لا يدرك ذلك ، ولا يحاول منع الهجمات التي تشنها الصحف الاميركية عليه وعلى بلاده ، لذلك فكل طلب ايراني لشراء الاسلحة الاميركية يواجه صعوبات واجراءات بطيئة ، من قبل لجان الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ والنواب الاميركيين . وسأل الشاه بيرس بقوله : انني لا اعلم ماذا يريد الكونغرس مني ؟ الرضوخ للارهاب ؟ فقد اعتقلنا مؤخرا حوالي (١٠٠ مخرب) ولا انوي الاستسلام للابتزاز . فالفلسطينيون يسممون جميع الابار ويسعون للاطاحة بالانظمة الموالية للغرب في المنطقة . والعراق لا تزال تطمع بالكويت . كما ان الاتحاد السوفياتي يذكي نار الثورة في عمان ؛ لذلك ليس لايران سوى الاعتماد على نفسها .

كان الشاه يتحدث بمصطلحات ايجابية عن السادات ، وبدا متأثرا جدا من شخصية الرئيس المصرى ، وقراره الصلب بشأن الاشتراك في الجهاز الدفاعي الغربي في المنطقة . ومن خلال الحديث حاول الشاه اشعار بيرس بأنه يتوجب على «اسرائيل» المحافظة على السادات والتصرف معه بمرونة ، على الرغم من عدم قوله ذلك بوضوح حاول الشاه الاستماع من وزير الدفاع الاسرائيلي الى تقدير « اسرائيل » للوضع . وقال بيرس ان الاتحاد السوفياتي مرتبك الان في ضوء التدخل السوري في لبنان ، ولم يقرر بعد ان يدعم منظمة التحرير الفلسطينية ام دمشق . واعرب بيرس عن رضاه بشأن تنفيذ الاتفاقية المرحلية مع مصر ، وشارك الشاه في تقديراته بشأن خطر التوسع السوفياتي في منطقة الخليج العربي . وقال ان مخاوف السعوديين من الاتحاد السوفياتي اكثر من مخاوفهم من «اسرائيل» .

وقال الشاه معلقا على ذلك ، انه في اعقاب موت الملك فيصل . اصبحت لديه لغة مشتركة مع الملك خالد والامير فهد . وقال ان فيصل كان يتحدث دائما عن الصلاة في القدس . لكن خالد وفهد اكثر واقعية منه .

بما ان معركة الانتخابات الاميركية كانت في ذروتها . خصص بيرس جزءا كبيرا في حديثه حول هذا الموضوع . وتبادل مع الشاه الاراء حول شخصية الرئيس جيمي كارتر ، ولم يكن يعرف اي منهما نوعية سياسة المرشح الديمقراطي ، في الشرق

الاوسط ، وكان كارتر قد صرح خلال حملته الانتخابية بأنه سيعطي اهمية اكثر في سياسته لموضوع حقوق الانسان ، وهاجم سياسة بيع الاسلحة الى منطقة الخليج . وقال بيرس للشاه انه على الرغم من المعركة الانتخابية في الولايات المتحدة ، تستطيع ايران و«اسرائيل» الاعتماد على الولايات المتحدة ، لكن يجب الاعتراف بأن اميركا لن تعمل بدلا منهما ، ولهذا يجب عليهما ان تكونا قويتين . وهدأ بيرس الشاه بقوله : ان اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة يدرك اهمية التعاون الاسرائيلي — الايراني لحماية المصالح الغربية في منطقة الخليج العربي . وان المؤسسة اليهودية في الولايات المتحدة تعرف ان الشاه لا يستخدم النفط كسلاح سياسي ضد «اسرائيل» .

خرج بيرس من لقائه مع الشاه فرحا وسعيدا . وكان لديه شعور بأن هذا الحديث سيساعد في المستقبل على تطوير العلاقات الاسرائيلية — الايرانية .

~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~
~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~~

دور الشاه في مسيرة السلام

الاسرائيلية ــ المصرية

أدى الانقلاب السياسي في «اسرائيل» في ١٧ أيار ١٩٧٧ الى حدوث هزة في طهران فقد ادت هزيمة (همعراخ) وانتصار الليكود في انتخابات الكنيست الاسرائيلية الى اثارة الدهشة لدى الحكومة الايرانية . وبرزت في اوساط كثيرة في ايران مخاوف بالنسبة لاحتمالات «السلام» في الشرق الاوسط . وفعلت الصحف المحلية الايرانية ، شأنها شأن جميع صحف العالم ، حيث نشرت تاريخ حياة مناحيم بيغن وافكاره بالنسبة للضفة الغربية والمسألة الفلسطينية . وارسل الممثل الايراني في «اسرائيل» الدكتور مرتضى مرتضاى تقارير مفصلة الى حكومته ، حول التشكيل المحتمل لحكومة بيغن . وحلل جيدا البرنامج السياسي لحزب الليكود . وعرضت صورة مناحيم بيغن اثناء وجوده في الون موريه غداة الانتخابات ، عدة مرات عبر شاشة التلفزيون الايراني ، وخلق انطباع لدى الشعب الايراني بأن حكومة بيغن قد قررت الاستيلاء على الاراضي العربية . ادى هذا التطور الى حدوث غليان في الاوساط الدينية ، الايرانية ، ومرة ثانية وجد الشاه نفسه مضغوطا فيما يتعلق بالعلاقات مع «اسرائيل» .

في تلك الايام ، كان السفير الاسرائيلي لوبراني يرد عدة مرات على مكالمات هاتفية تصله يوميا من المسؤولين الايرانيين ، للاستفسار عن اهمية التطور الاخير في «اسرائيل» . أما الشاه نفسه فقد اعرب في لقاء مع المراسلين عن مخاوفه من السياسة الاسرائيلية في المستقبل . وقال انه بناء على تصريحات بيغن ، يتضح ان حكومة «اسرائيل» تريد انتهاج سياسة غير معقولة . ومع ذلك قال انه يجب الانتظار الى ما بعد تشكيل الحكومة الجديدة قبل ان تصدر بحقها الحكم .

في ذلك الجو ابلغ هويدا لوبراني في مطلع شهر حزيران ١٩٧٧ ، بأن الشاه يرغب في التحدث اليه . منذ وصول لوبراني الى طهران في ايلول ١٩٧٣ لم يجتمع

بالشاه ، واقتصرت اتصالاته مع وزير البلاط ورجال مكتب الشاه واعضاء الحكومة فقط . والآن قبيل انهاء فترة خدمته . ها هو يطلب لمقابلة الشاه . أثار ابلاغ هويدا له شعورا خاصا ، مما دفعه الى الاتصال هاتفيا «باسرائيل» على وجه السرعة ، طالبا تزويده بالتوجيهات . لكنه بسبب الانقلاب السياسي الذى حدث في «اسرائيل»، لم يكن اي شخص في وزارة الخارجية الاسرائيلية على استعداد لاعطاء اي التزام بالنسبة لسياسة «اسرائيل» الجديدة . لذلك كان على لوبراني الاعتماد على نفسه .

جرت المقابلة مع الشاه في قصر نيافران واستغرقت ساعة كاملة . وبدا ان الشاه على اطلاع تام ببواطن الامور بالنسبة لمواضيع كثيرة ، حتى التفاصيل التي كانت تتعلق بأسرة لوبرانى ، وحمل لوبراني انطباعا بأن الشاه قد تبنى لنفسه شخصية انسان «منصلب» . وانه حافظ على هذه الشخصية طيلة ٣٦ سنة من حكمه . وان تلك الشخصية كانت بالنسبة له لبست طبيعية في الحقيقة .

بعد بضع دقائق من بدء المحادثة . سأل الشاه فجأة . وماذا الان ؟ فقد اراد معرفة سبب هزيمة الحركة العمالية في الانتخابات الاسرائيليه . وما الذى يريده بيغن وما هي السياسة التى سيتبعها ؟

كان واضحا من طبيعة الحديث ان الشاه خبير بتفاصيل البرنامج السياسى لحزب الليكود . وانه قرأ عن بيغن وعرف الفرق بين الكتلتين السياسيتين الكبيرتين في «اسرائيل» . لكن السؤال الذى كان يتكرر كثيرا خلال الحديث هو ما هي سياسة بيغن في المستقبل . وهل بنوى بيغن حقا تطبيق السيادة الاسرائيلية على الضفة الغربية وقطاع غزة . واوضح لوبرانى للشاه بأن بيغن ليس ارهابيا متعصبا كما تصوره اجهزة الاعلام في العالم ، وانه يعتقد بأنه لن يحدث تغيير جوهرى على سياسة «اسرائيل» الخارجية . وقال لوبراني للشاه ان حكومة بيغن أيضا سترى في ايران العمود الفقرى للاستقرار في المنطقة . وفي ختام المقابلة ، نهض الشاه مودعا لوبراني بقوله : ان بابي مفتوح دائما وتستطيع القدوم متى تريد » .

في اليوم التالي قال هويدا للوبراني ان الشاه كان راضيا عن المقابلة . وانه امر بترتيب مقابلات له مع الشاه كلما دعت الضرورة ذلك .

بعد تشكيل الحكومة الاسرائيلية الجديده ببضعة ايام . وفي ٢٠ حزيران . وصل لوبراني الى «اسرائيل» في زيارة قصيرة . وكانت اسرته في «اسرائيل» كما كان على وشك انهاء مهام منصبه في ايران . ولكن بعد محادثة قصيرة مع وزير الخارجية الجديد موشه دايان ، طلب منه دايان الاستمرار في مهمته الى حين ايجاد بديل مناسب له . وبعد ان تحدث لدايان عن لقائه مع الشاه ، اقترح لوبراني على دايان أن يزور طهران لتجديد التعاون مع الشاه . ولتهدئة مخاوف الحكومة الايرانية من اهداف

حكومة بيغن الجديدة ، وتم بالفعل ترتيب لقاء بين دايان والشاه بالطرق الخاصة واحدث ذلك استياء لدى وزير الخارجية الايراني ، الذي لم يكن لديه علم بهذه الزيارة. لكنه اتفق فيما بعد ان تتم جميع الترتيبات للزيارات القادمة عن طريق خلعتبري ، بدون معرفة موظفي وزارة الخارجية .

وصل دايان الى طهران في ٧ تموز ١٩٧٧ ، على متن طائرة اسرائيلية خاصة . واستقبل في المطار من قبل الجنرال ناصري كالمعتاد ، ومن ثم استدعي لمقابلة الشاه في قصر نيافران . وتبادل الشاه ودايان مدة ثلاث ساعات الاراء حول سياسة حكومة بيغن في المستقبل ، والوضع في الشرق الاوسط والمصاعب التي تقف عائقا في الطريق الى عقد مؤتمر جنيف من جديد . وتحدث دايان للشاه عن شرطه للانضمام الى حكومة الليكود ، وان بيغن قبل شرطه وهو انه طالما كانت هنالك احتمالات «للسلام» ، لن يتغير الطابع القانوني للضفة الغربية . واثيرت خلال الحديث بعض المواضيع الجانبية مثل تزويد «اسرائيل» بنفط ايراني وتزويد ايران بأسلحة اسرائيلية . وخرج دايان من المقابلة مقتنعا بأنه لن يطرأ اي تغير على سياسة الشاه بشأن هذين الموضوعين . ولم تطرح امكانية عقد لقاء بين السادات وبيغن في نفس اللقاء ، على الرغم من ان الشاه لم يخف رأيه بأن السادات رجل ذكي ومعتدل ، ويسعى باخلاص لحل النزاع مع «اسرائيل» بالطرق السياسية . وقال الشاه انه يجب مساعدة السادات في التغلب على خصومه في العالم العربي ، لانهم ينتقدونه بسبب اتفاقية التسوية المرحلية وسياسته الموالية للغرب .

وبعد اللقاء عاد دايان الى «اسرائيل» . وكانت اهم المخاوف لدى «اسرائيل» هي امكانية توسط الشاه بينها وبين مصر . فمن خلال معرفة الواقع الايراني والعلاقات الوثيقة بين الشاه والسادات خشيت «اسرائيل» ان يؤدي توسط ايران بينها وبين مصر الى خلق ضغط في مواضيع يصعب على «اسرائيل» الصمود امامها . وكانت تلك مواضيع تزويد النفط وبيع الاسلحة ، التي اصبحت عنصرا هاما في الصادرات الاسرائيلية الى ايران . وكانت «اسرائيل» في الماضي كلما طرح هويدا او خلعتبري فكرة توسط ايران في النزاع العربي ـ الاسرائيلي ، ترفض ذلك بلطف . وكان موظفون اسرائيليون يقولون ان تدخلا ايرانيا في حل النزاع الاسرائلي ـ العربي قد يشوش « مسير انتعاش » العلاقات الايرانية ـ الاسرائيلية ، التي جاءت في اعقاب فترة الانحطاط التي سبقت التوقيع على التسوية المرحلية في سيناء . شهدت الاشهر الاولى من فترة حكم حكومة بيغن نشاطا سياسيا ، احتل مكان الصدارة فيه موضوعان رئيسيان جهود الولايات المتحدة من اجل استئناف اعمال مؤتمر جنيف ، وجهود دايان في كسر طوق العزلة التي احاطت « اسرائيل » في السنوات الاخيرة ، والتي قلصت الى درجة كبيرة مجال المناورة الاسرائيلية في الحلبة الدولية . ولتحقيق ذلك بدأ دايان يحاول توثيق العلاقات مع دول مسلمة موالية للغرب مثل ايران وتركيا والمغرب . ومحاولـــة

خلق حوار مع الهند التي لم يكن يشك في مكانتها الهامة في القارة الاسيوية . فعن طريق رجل اعمال يهودي يدعى ع. عيناف توجه دايان لمقابلة رئيس حكومة الهند السيد مورارجي دساي . الذي كانت سياسته الخارجيه تبدو اقل ولاء للسوفيات من سياسة انديرا غاندي . لكن لم تطرأ اية تطورات حقيقية في العلاقات الدبلوماسية بين «اسرائيل» والهند .

وصل دايان الى بومباى على متن طائرة مدنية تابعة لشركة اليطاليا . وكان متخفيا . وبات دايان الذى كان يرافقه اثنان من رجال «الامن» الاسرائيليين ليلة واحدة في بومباي ، ثم توجـــه غداة اليوم التالي الى نيودلهي على متن طائرة اليوشن تابعة لسلاح الجو الهندي . لمقابلة رئيس حكومة الهند . وحل دايان ضيفا في دار الضيافة الرسمية في نيودلهي ، ومكث في الهند اربعة ايام ، اجتمع خلالها مرتين مع مورارجي داساي .

استعرض دايان ، خلال لقائه مع داساى ، الوضع في الشرق الاوسط وشرح سياسة حكومة بيغن واعرب عن مخاوفه بأن يعرقل الاتحاد السوفياتي ، مسيرة السلام بين «اسرائيل» ومصر . وابلغ داساي دايان بأنه طالما لم تنسحب «اسرائيل» من الاراضي العربية التي احتلتها في حرب الايام الستة فلن تستطيع الهند اقامة علاقات دبلوماسية منظمة معها .

طيلة تلك الشهور ، اقامت ايران اتصالا وثيقا مع الولايات المتحدة ومصر ، وكانت تؤيد بصورة مطلقة مواقف الرئيس كارتر بشأن القضية الفلسطينية . وكانت ادارة كارتر تسعى الى ايجاد « وطن فلسطيني » في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وكانت تطمع في اشراك فلسطينيين معتدلين في « مسيرة السلام » .

خلال زيارة سايروس فانس لاسرائيل في تلك الفترة ، طرح السؤال التالي : كيف يمكن حل مشكلة دمج الفلسطينيين في محادثات مؤتمر جنيف . والى اي مدى تكون «اسرائيل» على استعداد لاشراك « زعماء معتدلين » لا ينتمون رسميا لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في « مسيرة السلام » . لكن بيغن ودايان رفضا الموقف الاميركي هذا وسعيا الى ايجاد حوار مع مصر خارج الافق الاميركي . كما ان الرئيس السادات كان يقيم في تلك الفترة اتصالات وثيقة مع الولايات المتحدة ، وانه تبادل عدة رسائل شخصية مع الرئيس كارتر . ففي شهري آب وايلول تبادل الرئيس السادات مع الرئيس كارتر ثلاث رسائل بخط اليد ، كي لا يتسرب مضمونها حتى لاقرب المساعدين لهمـــا .

بعد زيارة سايروس فانس «لاسرائيل» ، اعلن موشه دايان عزمه على الذهاب في «اجازة» لمدة بضعة ايام . وكانت محطته الاولى طهران . فقد وصل دايان الى

طهران في ١٨ آب ليشرح للشاه مواقف «اسرائيل» بالنسبة لقضية فلسطين . واتخذت اجهزة «الامن» الايرانية كافة الاجراءات للمحافظة على سرية الزيارة . لكن امر زيارة دايان تسرب في طهران ودول اخرى . وفور عودة دايان من اجازته توجه بيغن في زيارة رسمية الى رومانيا استغرقت خمسة أيام وبدات الزيارة في ٢٥ آب في جو متوتر جدا . فقد خرج الرئيس الروماني نيكولاي تشاوشيسكو عن حدود اللياقة الدبلوماسية المعتادة ودعا «اسرائيل» اثناء مأدبـــة اقامها على شرف ضيفه الى الانسحاب الى حدود عام ١٩٦٧ والموافقة على اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة . ورفض بيغن هذه الفكرة نهائيا ، وطلب من تشاشيسكو محاولة ترتيب لقاء بينه وبين الرئيس المصري .

أدت النشاطات السياسية المكثفة والعلاقات المعقدة بين « اسرائيل » وايران، الى اتخاذ قرار بتمديد فترة خدمة اورى لوبراني في طهران . ففي تلك الاثناء استمر النشاط السياسي وبلغ ذروته . وفي منتصف ايلول توجه دايان الى الاجتماع مع زعماء الجالية اليهودية في اوروبا ، في بروكسل بينما كان في طريقه الى حضور اجتماعـــات الجمعية العامة للامم المتحدة في نيويورك . وكانت عناصر كثيرة تتبع خطوات دايان في العاصمة البلجيكية . وبعد غياب دام ٢٤ ساعة في بروكسل . ظهر دايان في باريس عائدا الى القدس . لم يكن هنالك شك في ان امرا هاما حدث في جعل دايان يغير برامجه ويعود الى «اسرائيل» ، لاجراء اجتماع عاجل مع رئيس الحكومة في ١٧ ايلول. وكانت الدهشة كبيرة بعد ان كان من المقرر ان يجتمع دايان في ١٩ ايلول مع الرئيس كارتر في البيت الابيض في واشنطن . ولم تمض أيام قلائل حتى اتضح ان هروب دايان من بروكسل الى باريس سرا في ١٦ ايلول ، كان من اجل الاقلاع في طائرة مغربية خاصة لاجراء محادثات مع الملك حسن ومبعوث مصري خاص هو الجنرال محمد حسن التهامي في طنجـــه .

بعد لقاء موشه دايان مع الرئيس كارتر ، طرأت في الولايات المتحدة تطورات جديدة . فقد اقترحت الولايات المتحدة حل قضية التمثيل الفلسطيني في جنيف بواسطة السماح لممثلين صغار من قبل منظمة التحرير الفلسطينية بالاشتراك في محادثات المؤتمر . ورفض دايان هذا الاقتراح فورا . وقبيل اختتام الجولة الثانية من المحادثات وفي ختام المشاورات التي اجراها وزير الخارجية الاميركي مع زميله السوفياتي اندريه غروميكو ، أصدرت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في ١٥ تشرين أول بيانا مشتركا حدد ثانية اطار التسوية في الشرق الاوسط . ولم يذكر البيان اسم منظمة التحريـــر الفلسطينية ، لكنه دعا الى اقامة « وطن فلسطيني » والى انسحاب «اسرائيل» الكامل الى حدود عام ١٩٦٧ . وكان السفير الاميركي لدى «اسرائيل» ، صموئيل لويس ، قد أبلغ بيغن بمضمون البيان قبل اصداره رسميا . وقد رفض بيغن مضمون البيان رفضا قاطعا . وبعد ساعات قلائل ادخل بيغن الى المستشفى مصابا بنوبـــة قلبيـــة .

ادى البيان المشترك الاميركي ــ السوفياتي الى حدوث زعزعة عميقة في «اسرائيل» فعلى الرغم من جميع تعهدات الرئيس كارتر السابقة ، بدا الان وكأنه على استعداد للمساعدة في فرض تسوية في الشرق الاوسط .

بعد اعلان البيان المشترك استقبلته سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية بارتياح كبير . وتوجهت الانظار الان الى القاهرة . ولكن الرد المصري كان محدودا جدا . وفي الثالث من تشرين أول اجتمع « مجلس الامن القومي » في القاهرة برئاسة الرئيس السادات ، وبعد مناقشات طويلة بعث الرئيس السادات رسالة شخصية الى الرئيس كارتر ، بواسطة وزير الخارجية المصري اسماعيل فهمي الذي كان موجودا آنذاك في نيويورك ، لحضور اجتماعات الجمعية العامة للامم المتحدة ، كما اجتمع السفير المصري في ايران بوزير الخارجية الايراني واطلعه على موقف حكومته ، وعلى الرغم من عدم نشر فحوى رسالة السادات لكارتر ، فقد كان واضحا ان مصر ترفض البيان الاميركي ــ السوفياتي المشترى وتعارض اشتراك موسكو من جديد في مسيرة «السلام» في الشرق الاوسط .

في ذلك المناخ المتوتر ، اجتمع موشه دايان مع سايروس فانس في الخامس من تشرين اول ، واجريا حديثا انضم اليه ايضا الرئيس كارتر . وفي ختام سبع ساعات من المحادثات ، وضع دايان وفانس صيغة « لورقة عمل » نالت موافقة بيغن الهاتفية . واهم ما ورد في تلك الوثيقة هو موافقة «اسرائيل» على اشتراك وفد عربي موحد يضم ممثلين فلسطينيين في مؤتمر جنيف . على ان ينقسم المؤتمر بعد الجلسة الافتتاحية الى لجان فرعية على اساس جغرافي . كما اتفق ايضا ان تبحث قضية وضع الضفة الغربية وقطاع غزة مع الوفد العربي الموحد ، الذي يضم ممثلين عن مصر والاردن والفلسطينيين وعلى ان يشترك في المؤتمر بعد بدء اعماله وفد فلسطيني مستقل لبحث مواضيع محلية محدودة . في تلك الاثناء جرى تبادل رسائل مكثف بين الرئيس كارتر والسادات ورئيس حكومة «اسرائيل» . وكشف بيغن عن انه تبادل مع الرئيس كارتر خلال شهري تشرين اول وتشرين ثاني ١٤ رسالة . أما اتصالات كارتر مع السادات فقد كانت يومية . وفي ٢١ ، ٢٣ تشرين اول بعث الرئيس كارتر رسالتين الى الرئيس المصري وتلقى منه ردودا فورية . وعلى كل حال ، فقد تبادل الرئيس السادات مع الشاه الرسائل قبل سفر الشاه الى واشنطن . ويعتقد بأن الرسائل كانت تتعلق بفحوى اتصالات السادات ــ كارتر ولم يكن من الصعب في تلك الفترة الاحساس بالجمود الذي ساد الشرق الاوسط . وفي ٢٤ تشرين اول هدد السادات بخطاب علني باستئناف المعارك . وقال ان مطالبته بانسحاب اسرائيلي كامل من جميع المناطق المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية واقامة دولة فلسطينية « لا تقبل المساومة » . .

في تلك الفترة ، انتقل الاهتمام الدولي من واشنطن الى مكان آخر . فقد اعلن الرئيس السادات عزمه على زيارة رومانيا وايران والسعودية وقبل نهاية الشهر .

وقبل وصول السادات الى طهران ، طلب بيغن من السفير الاسرائيلي لوبراني أن يشرح للحكومة الايرانية موقف «اسرائيل» ومعارضتها للبيان الاميركي ــ السوفياتي المشترك وأعرب لوبراني خلال لقاءاته مع المسؤولين الايرانيين عن أمل «اسرائيل» في ان يعمل الشاه على تليين مواقف السادات ، وخاصة فيما يتعلق بتهديداته بشأن استئناف الاعمال الحربية .

خلال وجبة العشاء التي اقيمت على شرف السادات في بوخارست في يوم ٣٠ تشرين أول. قال السادات : «ان احد الاسباب الرئيسية التي حملتني على زيارة رومانيا هو العلاقات الوثيقة بين رومانيا و«اسرائيل» ونحن بحاجة لمثل هذه العلاقات لانها تفتح امامنا بابا جديدا للضغط على «اسرائيل» . ورومانيا هي الدولة الاشتراكيــة الوحيدة التي تقيم علاقات مع «اسرائيل» ، كما ان مناحيم بيغن كان قد زارها في شهر آب . واستمعت اليوم الى تقارير حول تفاصيل محادثات رئيس حكومة «اسرائيل» مع الرئيس تشاوشيسكو وقد استمعت الى اشياء هامة في الحقيقة » .

لدى وصول السادات الى طهران ، اطلع الشاه على نتائج محادثاته في رومانيا وطلب منه استخدام نفوذه لدى الولايات المتحدة للتأثير على «اسرائيل» من اجل تخفيف حدة مواقفها . واستعرض السادات التطورات الاخيرة في الشرق الاوسط ، واوضح للشاه معارضته لاشراك الاتحاد السوفياتي في « مسيرة السلام » في المنطقة .

بعد عودة السادات الى القاهرة ، طلب انعقاد « مجلس الامن القومي » في ٧ تشرين ثاني وطرح امامه اقتراحه بشأن زيارته للقدس .

قال السادات في لقاء له مع اعضاء لجنة الخدمات المسلحة التابعة للكونغــرس الاميركي ، انه عندما سمع مساعدوه اقتراحه ، ذهلوا . لكنه هدأ من روعهم بقوله انه حان الوقت لكشف نوايا «اسرائيل» الحقيقية ، والاثبات للراي العام العالمي من يريد «السلام» حقا .

عارض اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصري فكرة السادات بشدة ، وقدم استقالته من منصبه . وفي ١٩ تشرين ثاني ، اعلن السادات اثناء خطاب له امام البرلمان المصرى عن استعداده للذهاب الى «اسرائيل» واجراء مفاوضات «سلام» معها . وحظيت فكرة السادات تلك بتأييد كبير في طهرا ن. وقال بعض المسؤولين الايرانيين . « لقد قلنا لكم كثيرا بان السادات يريد «السلام» . وها هو البرهان امامكــم » وبدت خطوة السادات تلك بالنسبة لطهران « بادرة حسن نية » من طرف واحد . ذات اهمية بعيدة المدى . وبدأت شخصيات ايرانية مختلفة تضغط على «اسرائيل» . من اجل ابداء مرونة بالنسبة للقضية الفلسطينية .

استقبلت مبادرة السادات في واشنطن بالترحيب ، وجرت دراستها ودراسة استجابة رئيس حكومة «اسرائيل» الفورية لها ، بشكل واسع خلال اجتماع كارتر مع الشاه في واشنطن في ١٦ تشرين ثاني . وفي ختام الاجتماع اصدر الناطق بلسان البيت الابيض البيان التالي : « نحن نرحب بزيارة السادات للقدس كونها مساهمة حقيقية من قبل الزعماء المشتركين في النزاع ، من اجل التقدم نحو مفاوضات لايجاد تسوية شاملة في الشرق الاوسط . ونحن على ثقة بأن تبادل التصريحات بين الرئيس المصري وبين رئيس حكومة «اسرائيل» ، يظهر هدفهما المخلص للسعي من اجل وضع نهاية سريعة للنزاع الذي دام ثلاثين سنة . وستعمل الولايات المتحدة كل ما بوسعها من اجل انجاح الاتصالات التي اعتبرتها دائما امرا ضروريا . ومع ذلك يجب على اطراف النزاع تسوية الخلافات فيما بينهم في مفاوضات مباشرة ، في اطار مؤتمر جنيف . ونحن نأمل ان تساعد الخطوات الاخيرة الجهود المشتركة للطرفين ، من اجل استئناف اعمال مؤتمر جنيف في أسرع ما يمكن » .

لقد بثت وقائع زيارة السادات الى القدس بثا حيا ومباشرا في التلفزيون الايراني وكانت جميع التقارير الواردة من القدس تشير الى ان السادات هو بطل اليوم . لكنه على الرغم من محاولة ابراز الزيارة كحدث ايجابي ، الا ان الغليان ساد الاوساط الدينية في ايران ، حتى انه جرت في بعض احياء طهران مظاهرات معادية لزيارة الرئيس المصري «لاسرائيل» . وفي اليوم الذي وصل فيه السادات الى القدس ، تعرض مكتب شركة الطيران الاسرائيلية «العال» في طهران الى هجوم من قبل حوالي مئة شخص . وفي اعقاب هذا الهجوم عززت الشرطة الايرانية الحراسة على المؤسسات الاسرائيلية في المدينة .

لقد تحول التفاؤل ، الذي رافق زيارة السادات للقدس ، بسرعة الى تشاؤم . فبعد زيارة رئيس الحكومة مناحيم بيغن للاسماعيلية ، وصل دايان الى طهران ، على متن طائرة خاصة يوم ٢٦ كانون اول ، لابلاغ الشاه نتائج محادثات بيغن في مصر . وكان دايان متشائما جدا بعد فشل محادثات الاسماعيلية . وقال للسفير لوبراني انه يجب ان لا يصدق كثيرا التقارير الواردة في الصحف ، حول نتائج محادثات الاسماعيلية واكد له ان الفجوة بين مواقف السادات وبيغن كبيرة جدا . واوضح انه ظهرت خلال محادثات الاسماعيلية خلافات جوهرية سواء بالنسبة لمراحل الانسحاب من سيناء ، أو بالنسبة للقضية الفلسطينية . فقد اقترح بيغن على السادات انسحاب «اسرائيل» من سيناء على مرحلتين حيث تنسحب القوات الاسرائيلية في المرحلة الاولى الى خط العريش — رأس محمد خلال شهر واحد . ثم تأتي المرحلة الثانية حيث تنسحب القوات الاسرائيلية الى الحدود الدولية خلال فترة من ٣ — ٥ سنوات . كما اقترحت « اسرائيل » بقاء المستوطنات الاسرائيلية في سيناء وتسليم المطار في مشارف رفح الى ادارة مصرية — اسرائيلية مشتركة ، كي يستطيع مستوطنو يميت

العمل فيه في المستقبل . لكن السادات رفض الاقتراح بشدة ، وقال انه لن يوافق على بقاء اسرائيلي واحد في سيناء .

جرت المقابلة بين دايان والشاه في جو ودي ؛ وشرح دايان للشاه الفرق بين مواقف مصر و«اسرائيل» ، بالنسبة للقضية الفلسطينية ، كما اطلعه على تفاصيل مشروع الحكم الاداري الذاتي للضفة الغربية وقطاع غزة . لكن الشاه لم يظهر ميلا لقبول هذه الايضاحات وابدى تأييدا كاملا لموقف الرئيس المصري . وقال ان السادات قام بخطة جريئة ، لكن «اسرائيل» لم ترد بنفس «المستوى» . على الرغم من ان التقارير التي كانت ترد الى طهران تفيد بأن السادات يشعر بالتفاؤل على الرغم من فشل محادثات الاسماعيلية ، الا انه لم يكن من السهل تجاهل وجود معارضة « مسيرة السلام » الساداتية في مصر ، بزعامة اسماعيل فهمي وزير الخارجية المصرية السابق . كما ان الشاه كان قلقا من موقف العربية السعودية المتصلب ، وكان يعتقد بأن الامير فهد « مغلق امام اية افكار جديدة » . وكانت السعودية تخشى من حدوث استقطاب في العالم العربي ، واعتبرت خطوة السادات خطرا شديدا على استقرار المنطقة كلها .

قوبلت مبادرة السادات باستنكار وعداء كبيرين في العالم العربي ، وخاصة في دول جبهة الرفض . ففي اعقاب اختتام مؤتمر الاسماعيلية اجتمعت الحكومة السورية في جلسة خاصة دعت فيها السادات الى الاستقالة ، بينما وصف ياسر عرفات المبادرة المصرية بالاستسلام . وقال الملك حسين ملك الاردن ان مشروع « الحكم الاداري الذاتي » ، الذي طرحه بيغن ، هو فكرة تدل على الغباء ولا يمكن ان تكون مقبولة عند الفلسطينيين . كما ان الولايات المتحدة ايضا غيرت موقفها بالتدريج . ففي كلمة توضيحية قدمها الرئيس كارتر امام اعضاء الكونغرس الاميركي قبيل قيامه بزيارة للرياض وطهران اشار الى خطأين رئيسيين في مشروع « الحكم الذاتي الاداري » الذي طرحته «اسرائيل» هما :

١ ــ المطالبة باستمرار تواجد الجيش الاسرائيلي في الضفة الغربية وقطاع غزة . وقال ان الولايات المتحدة تعترف بالفعل ، باحتياجات «اسرائيل الامنية» في هذه المناطق ، لكنه بدلا من تواجد عسكري اسرائيلي دائم فيها ، يمكن التفكير بترتيبات «امنية» اخرى ، مثل مرابطة قوات دولية ، او قوة اسرائيلية ــ اردنية مشتركة ، ومحطات انذار على غرار تلك التي في سيناء .

٢ ــ موضوع السيادة المفتوحة ، ومن اجل الحيلولة دون حدوث ضم من طرف واحد اقترحت الولايات المتحدة ان تلتزم «اسرائيل» باتخاذ قرار نهائي بشأن موضوع السيادة خلال الفترة الانتقالية والتي مدتها خمس سنوات ، وليس في نهايتها .

وفي حديث مع المراسلين الصحفيين ، في ٣٠ كانون اول ١٩٧٧ ، قال الرئيس كارتر بوضوح ان الولايات المتحدة لا تعترف بأي وجود عسكري اسرائيلي ، سواء في الضفة الغربية او في قطاع غزة .

وصل الرئيس الاميركي وعقيلته الى طهران في ٣١ كانون اول واستقبل استقبالا حافلا . وامتدح كارتر زعامة الشاه واعتبره دعامة صلبة لسياسة الولايات المتحدة في منطقة الخليج العربي . واعرب كارتر خلال محادثاته في طهران عن رأيه بأن نتائج قمة الاسماعيلية اظهرت عدم قدرة السادات على التوصل الى اتفاقية منفردة مع «اسرائيل» واكد ان قوة السادات تقوي مكانة العالم الحر في الشرق الاوسط وشرق افريقيا . لذلك يجب المحافظة على مكانـــة مصر في العالم العربي . لذلك ستعمل الدبلوماسية الاميركية خلال الفاصل الزمني المتبقي لانعقاد اللجان السياسية والعسكرية في منتصف شهر كانون ثاني ١٩٧٨ ، في القدس والقاهرة ، من أجل تخفيف حدة الهجمة العربية على السادات .

في الثالث من كانون ثاني وصل الرئيس كارتر الى الرياض واستقبله الملك خالد . واعرب كارتر في كلمة قصيرة القاها في المطار عن امله في ان تساعد العربية السعودية في جهود السلام في الشرق الاوسط . لكن الملك خالد وولي العهد الامير فهد انتقدا بشدة ، في محادثات خاصة مع كارتر ، موقف الولايات المتحدة بسبب تأييدها للمشروع الاسرائيلي . ورد الرئيس كارتر بأن الولايات المتحدة لم تتبن المشروع الاسرائيلي . واذا كان يعتبره خطوة كبيرة نحو الامام ، فهذا لا يعني عدم ادخال تعديلات عليه وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

وكبادرة حسنة تجاه مصر ، وبناء على تفاهم مسبق مع شاه ايران ، قرر كارتر التوقف في أسوان وهو في طريقه الى باريس . وطلب مناحم بيغن رئيس الحكومة الاسرائيلية ايضا من كارتر التوقف في القدس لكن كارتر رفض ذلك بحجة ان برنامج جولته مكتظ ، وليس لديه متسع من الوقت للتوقف مرة ثانية .

وصل كارتر الى اسوان في ٤ كانون ثاني ، لكن سبقه الى هناك مبعوث سعودي خاص جاء لابلاغ السادات بنتائج محادثات الرئيس الاميركي في الرياض . كما ان الشاه اطلع الرئيس السادات على نتائج محادثاته مع كارتر ووعده باطلاعه على تفاصيل اكثر لدى قدومه الى اسوان بعد مغادرة الرئيس الاميركي .

في ختام حديث دام خمس دقائق في قاعة مطار اسوان ، الذي كان محاطـــا ببطاريات صواريخ مضادة للطائرات السوفياتية الصنع ، خرج كارتر والسادات لمقابلة الصحفيين . وتلى الرئيس الاميركي بيانا اكثر فيه من مدح الرئيس المصري وعدد ثلاثة مبادىء رئيسية للتسوية في الشرق الاوسط هي :

١ ـــ ان «السلام» الحقيقي يجب أن يرتكز على علاقات طبيعية بين الدول المشاركة في اتفاقية «السلام» . و«السلام» يعني اكثر من انهاء حالة الحرب .

٢ ـــ يجب أن يتضمن السلام انسحابا اسرائيليا الى حدود عام ١٩٦٧ واتفاقية بشأن حدود «آمنة» ومعترف بها بين الطرفين ، وعلاقات «سلام» وفقا لقرارات مجلس الامم المتحدة رقم ٢٤٢ ـــ و ٣٣٨ .

٣ ـــ يجب ايجاد حل للقضية الفلسطينية بجميع جوانبها . ويجب ان يتضمن الحل اعترافا بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني واشتراك الفلسطينيين في تقريـــر مصيرهم ومستقبلهم .

كان بيان أسوان أهم تطور يحدث خلال جولة كارتر في الشرق الاوسط واظهر البيان ان السادات تخلى عن مطالبته باقامة دولة فلسطينية مستقلة ، وايد فكرة ايجاد حل يتضمن علاقـــة ما بين الاردن والضفة الغربيـــة . لكن «اسرائيـــل» رفضت هذا الحل ، وادى رفضها الى خلق توتر جديد في العلاقات بين «اسرائيل» وايران . وزاد هذا التوتر بشكل خاص بعد ان جمدت اعمال اللجنة السياسية في القدس ، التي كان يشترك فيها وزراء خارجية الولايات المتحدة و«اسرائيل» ومصر واظهر الشاه خيبة امل كبيرة من توقف المباحثات خشية ان يؤدي ذلك الى سقوط السادات واضعاف مكانة مصر في اطار خطة الدفاع الغربية في الشرق الاوسط .

في ضوء الجمود الذي ساد المحادثات المصرية ـــ الاسرائيلية ، ارسل السادات في ٣٠ كانون ثاني حسني مبارك الى طهران ، حاملا معه رسالة شخصية الى الشاه . وشرح السادات في رسالته للشاه الاسباب التي دفعته لايقاف المباحثات مع «اسرائيل» واتهم «اسرائيل» بأنها متصلبة في مواقفها وليست مستعدة لحل القضية الفلسطينية . كما ان «اسرائيل» شرحت ايضا موقفها للشاه بالطرق الدبلوماسية العادية ، لكنه كان واضحا للجميع ان الشاه يؤيد موقف الرئيس المصري بصورة مطلقة .

على الرغم من ذلك لم تؤد ازمة العلاقات الاسرائيلية ـــ المصرية الى اضعاف العلاقات العملية بين ايران و«اسرائيل» ، فالصادرات « الامنية » لايران والعلاقات التجارية معها كانت تسير كالمعتاد . لكن الامر ليس كذلك بالنسبة للعلاقات السياسية . واصبح من الضروري ان يقوم مناحيم بيغن بزيارة طهران .

زيارة مناحيم بيغن
لطهـــران

شـهد النصف الاول من عام ١٩٧٨ ، توترا ملحوظا في العلاقات الاسرائيلية ــ الايرانية فقد أدى توقف محادثات اللجنة السياسية ، في ١٨ كانون ثاني الى زيادة المعارضة العربية لمبادرة السادات « السلمية » واثار في واشنطن وطهران المخاوف من احتمال الاطاحة بنظام السادات . ونتيجة للعداء لنظام السادات ، قام الفدائيـــون الفلسطينيون بالاستيلاء على طائرة ركاب مصرية في قبرص . وفي محاولة لاطلاق سراح الرهائن ، أرسلت السلطات المصرية وحدة كوماندو الى مطار لارنكا ، وقتل ١٥ جنديا مصريا خلال عملية الانقاذ . وادت العملية الى قطع العلاقات الدبلوماسية بين قبرص ومصر ، في حين ان فشل العملية ادى الى السخرية في العالم العربي .

وفي محاولة لكسر طوق الجمود الذي ساد محادثات «السلام» ، دعا الرئيس كارتر كلا من الرئيس المصري ورئيس حكومة «اسرائيل» الى زيارة واشنطن كل على انفراد . وتوجه السادات الى واشنطن في ٤ شباط ، بينما كان من المقرر ان يصل بيغن الى هناك في ١٥ آذار . ولدى عودة السادات من واشنطن توجه في ١١ شباط الى بوخارست لاطلاع الرئيس الروماني نيكولاي تشاوشيسكو على نتائج محادثاته مع كارتر ، كما ارسل نائبه حسني مبارك الى طهران لاطلاع الشاه على المصاعب في المفاوضات مع «اسرائيل» . وفي المقابل اجتمع الرئيس كارتر في منتصف شهر شباط مع وزير الخارجية الاسرائيلي موشه دايان ، بينما اجتمع الرئيس السادات في سالسبورغ مع زعيم المعارضة الاسرائيلي شمعون بيرس . لكن هذين الاجتماعين لم يؤديا الى اي تقدم في « مسيرة السلام » . فقد فشلت محادثات كارتر مع دايان ، بينما أوضح بيرس للسادات بأن حكومة بيغن فقط هي المخولة لاجراء مفاوضات معه باسم «اسرائيل» . لكن الولايات المتحدة اصرت على متابعة « المسيرة » وأرسلت مساعد

وزير الخارجية الفرد اثرتون الى الشرق الاوسط للقيام بجولة مكوكية بين القاهرة والقدس . وفي نفس الوقت قررت الولايات المتحدة ، لاول مرة ، استخدام سلاح النفط ضد «اسرائيل» .

فقد طلب كارتر من الشاه خلال اتصالات دبلوماسية سرية ، وقف تزويد «اسرائيل» بالنفط ، بهدف ارغام بيغن على ابداء مرونة وتقديم تنازلات اخرى فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية . لكن الطلب الاميركي هذا اثار لدى الشاه افكارا مريبة . واشعل لديه ضوءا احمر بالنسبة لمدى الثقة بالرئيس كارتر . وقال الشاه لمساعديه اذا كان كارتر يتخلى عن «اسرائيل» بهذه السهولة ، فماذا سيحدث لايران اذا واجهتها مشكلة ؟ لذلك قرر الشاه تجاهل الطلب الاميركي والاستمرار في تزويد «اسرائيل» بالنفط كالمعتـــاد .

على الرغم من ذلك اثار النشاط المكثف حول هذا الموضوع ، في طهران السؤال التالي : هل تدرك «اسرائيل» ان نظام السادات معرض للخطر ، وانه من الضروري العمل بسرعة من اجل تقوية مراكز القوى الموالية للغرب في الشرق الاوسط ومنطقة الخليج العربي ؟ وادى ذلك الى التفكير في اجراء لقاء تعارف بين الشاه ورئيس حكومة «اسرائيل» ، مناحيم بيغن ، بهدف دراسة موضوع جمود المحادثات السلمية وعلاقاتها الدوليـــة الواســـعة .

لقد جاء جمود مباحثات «السلام» مع مصر ، في الوقت الذي بدأ الوضع «الامني» الداخلي في ايران يضطرب ، على الرغم من ان اي شخص لم يكن يتوقع ، في ذلك الوقت ، بأن هذا الاضطراب سيؤدي في نهاية المطاف الى الاطاحة بعرش الشاه .

كانت زعزعة الاستقرار الداخلي في ايران ، ولو انها حدثت لاسباب داخليـــة محلية ، تشكل جزءا من سلسلة احداث شهدها المربع الشمالي ـــ الغربي للمحيط الهندي ، تلك المنطقة التي تعتبر ذات اهمية استراتيجية كبيرة بالنسبة للعالـــم الغربـــي .

في مطلع عام ١٩٧٨ ، كانت مشاكل القرن الافريقي تحتل المركز الرئيسي بالاهتمام الدولي ، وفي ربيع نفس العام ، حدث الانقلاب الموالي للسوفيات في افغانستان ، مما زاد من عصبية الشاه . وكان الشاه قد حذر الولايات المتحدة في اواخر شهر نيسان ، وقبل وقوع الانقلاب في كابول من المطامع السوفياتية في افغانستان . لكن تحذيره لم يلق اي تجاوب من جانب الولايات المتحدة . وحول الرئيس الافغاني الجديد نور الدين تركي اسم بلاده حيث اصبح « الجمهورية الديمقراطية الافغانية » واصبحت كابول العاصمة مركزا سوفياتيا يهدد الاستقرار السياسي في كل منطقة الخليج العربي . وبعد ذلك ببضعة اسابيع ، اي في حزيران ١٩٧٨ ، حدث مقتل الحكام في شطري اليمن مما ادى الى اهتزاز كل شبه الجريرة العربية .

نرك النشاط السوفياتي في افغانستان واثيوبيا وتشاد وزائير ، وانغولا ، وليبيا وجمهورية اليمن الجنوبية . تأثيرا كبيرا على طريقة تفكير الشاه وعلى تصرف حلفائه في المنطقة . فقد اعتبر الشاه والملك خالد ملك العربية السعودية ، والرئيس السوداني جعفر النميري ، تلك الاجراءات السوفياتية موجهة ضد مناطق الخليج العربي والبحر الاحمر ، بهدف تطويق السعودية وايران ووادي النيل . لذلك زادت هذه الدول الاربع مساعداتها للصومال مقابل زيادة المساعدات السوفياتية لاثيوبيا . وحاولت المحافظة على استقلال اليمن الشمالي . كما واصلت ايران تقديم المساعدات لعمان . فمنذ عام ١٩٧٣ والشاه يقدم المساعدات البحرية والبرية والجوية للسلطان قابوس ، من أجل قمع التمرد في ظفار الذي كانت تدعمه اليمن الجنوبية والاتحاد السوفياتي ، بشكل غير مباشر . لكن موسكو حافظت على الاعتدال في تعليقاتها على ما يحدث في ايران . فقد نشرت اول رسالة صحفية عن ما يجري في ايران ، في صحيفة برافدا في نيسان ١٩٧٨ ، وكانت مكتوبة بأسلوب عملي وموضوعي . وفي ١٩ تشرين ثاني ١٩٧٨ فقط ، عندما خشيت موسكو من احتمال تدخل الولايات المتحدة لانقاذ عرش الشاه ، اصدر ليونيد بريجنيف تحذيره المعروف للرئيس كارتر حيث قال : « ان اي تدخل اجنبي في ايران ، الدولة المحاذية للاتحاد السوفياتي ، سيعتبر موجها ضد المصالح القومية السوفياتية » .

ادت احداث القرن الافريقي الى جعل «اسرائيل» وايران تقفان على جانبي حاجز . ففي حين دعمت ايران ومصر والسعودية والسودان الصومال ضد اثيوبيا ، كانت «اسرائيل» تدعم النظام الماركسي بزعامة الكولونيل مانجستو هايلامريم في اثيوبيا وهكذا رأت «اسرائيل» نفسها في جبهـــة مشتركة الى جانب الاتحاد السوفياتي وليبيا وكوبا وجمهورية اليمن الجنوبي . وكانت «اسرائيل» قد اقامت علاقات عسكرية وسياسية واقتصادية مع اثيوبيا خلال عهد الامبراطور هيلاسيلاسي . وساعد خبراء اسرائيليون في تدريب قوات الجيش الاثيوبي ، بينما ساعد مستشارون اسرائيليون على قمع الحركات الاسلامية السرية في ارتيريا . وبعد الاطاحة بعرش هيلاسيلاسي واصل الكولونيل مانجستو التعاون مع «اسرائيل» . وفي شباط ١٩٧٨ ، اعترف موشه دايان فيها وصف « زلة لسان » بوجود تعاون مع اثيوبيا في مجالات مختلفة . وادى تصريح دايان الى ارباك الكولونيل مانجستو ، مما دفعه الى قطع علاقاته مع «اسرائيل» ، نتيجة للضغوط من جانب موسكو وليبيا .

ان التأييد والدعم الايراني للصومال لم يكن أبدا ، في يوم من الايام ، تأييدا لمطامع تلك الدولة التوسعية في صحراء اوغادين . اذ ان الشاه قال للرئيس الصومالي زياد بري لدى زيارته لطهران ، في مطلع عام ١٩٧٨ ، بوضوح انه يجب السعي الى حل نزاعه مع اثيوبيا بالطرق السلمية . وكانت ايران تقدم المساعدات الطبية والاسلحة الخفيفة للصومال ، لكنها كانت تتحفظ من مطامعها الاقليمية في اثيوبيا . وفي آذار

١٩٧٨ استطاع الجيش الاثيوبي الحاق هزيمة بالصومال في منطقة اوغادين لكن المعارك استمرت في منطقة ارتيريا . وادت احـداث اسمره الى زيادة التدخـل الفلسطيني في اثيوبيا . ففي ربيع ١٩٧٨ طلب الكولونيل مانجستو من ياسر عرفات التأثير على موسكو لحملها على التخلي عن خطتها بشأن اقامة اتحاد فيدرالي بيـن اثيوبيا واقليم ارتيريا ، مع منح درجة معينة من « الحكم الذاتي » للثوار المسلمين . وعلى الرغم من استمرار التعاون بين منظمة التحرير اللفسطينية وجبهة تحرير ارتيريا سمح لمنظمة التحرير اللفسطينية بفتح مكتب لها في اديس ابابا ، في حين كان نايف حواتمه زعيم الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، حلقة الاتصال الرئيسية بين موسكو والجناح اليساري في جبهة تحرير ارتيريا ، وسمح له ايضا بفتح مكتب لمنظمته في العاصمة الاثيوبية وعلى الرغم من كون اثيوبيا وايران في جبهتين متعاديتين ، فقد استطاعت منظمة التحرير التدخل في الدولتين ، ونجحت في كسب صداقة العناصر الايرانية المعارضة لنظام الشاه ، والتي كانت تسعى للاطاحة به وقطع علاقاته مع الولايات المتحدة و«اسرائيل» ومصر . لكن الدول الثلاث تلك لم تستطع تقدير عمق التدخل الفلسطيني في ايران . فبسبب طابع منظمة التحرير الفلسطينية المعادي لاميركا ومصر و«اسرائيل» ، كانت تستقبل بتعاطف كبير من قبل عناصر المعارضة في طهران . بينما كان الخميني يرى في منظمة التحرير اداة للتأثير على دول النفـط الاسلامية ، وخاصة تلك الدول العربية التي توجد فيها تجمعات فلسطينية كبيرة مثل الاردن والسعودية وسوريا ولبـنان والكويت . اقتصرت المساعدات التي كانـت منظمة التحرير الفلسطينية تقدمها في البداية للثورة الايرانية على تدريب عناصرهـا وتزويدها بالاسلحة الخفيفة . لكن في المراحل الاخيرة للثورة ، تحدثت انباء عن مشاركة فلسطينية فعالة في اذكاء نار الاضطرابات في طهران ومدن ايرانية اخرى . وادى ذلك الى حدوث انقسام في اجنحة منظمة التحرير الفلسطينية نفسـها . فقد ايدت منظمة فتح بزعامة ياسر عرفات الخميني ، في حين ايد جناحا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بزعامة جورج حبش ونايف حواتمه اليساريين ومؤيدي موسكو . في حين دعمت منظمة ابو عباس الموالية للعراق عرب «خوزستان» .

ان تدخل منظمة التحرير اللفسطينية في نشاط المعارضـة الايرانية بالذات ، جعل الشاه يحافظ على علاقات متواضعة مع «اسرائيل» . اما فيما يتعلق «بمسيرة السلام» فقد كان الشاه يؤيد دائما موقف السادات . وكان المسؤولون الايرانيون يضغطون على «اسرائيل» في جميع المناسبات ، لابداء مرونة بالنسبة للقضية الفلسطينية .

في تلك الاجواء ، وصل مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي الى طهران في نهاية شهر شباط ١٩٧٨ ، وكانت تلك زيارته الاولى والوحيدة لطهران . واشترطت السلطات الايرانية على «اسرائيل» ابقاء امر زيارة بيغن طي الكتمان . كما اتخذت السلطات الايرانية اجراءات معينة للمحافظة على سرية الزيارة ، توجه رئيس الحكومة

الى طهران على متن طائرة بوينغ ٧٠٧ يوم الاربعاء ٢٢ شباط ١٩٧٨ وعاد الى اسرائيل في يوم الجمعة صباحا . ورافقه في زيارته لطهران مدير مكتبه يجئيل كديشاي وسكرتيره العسكري العميد الثاني افرايم بوران . استقبل رئيس الحكومة والوفد المرافق من قبل نائب رئيس الحكومة الايرانية والمسؤول عن السفاك نعمة الله ناصري ثم اصطحبهم الى دار الضيافة الرسمية في احد الاحياء الشمالية لطهران .

في الوقت المحدد للمقابلة ، جاء ناصري الى دار الضيافة لاصطحاب رئيس الحكومة الاسرائيلي الى قصر نيافران . وبعد ثلاث ساعات عاد بيغن والبسمة تعلو شفتيه وقال : « كانت تلك محادثة ممتازة » . وتأثر بيغن كثيرا من شخصية الشاه وسعة اطلاعه . وكان الشاه قد تحدث لبيغن عن مشاكل الشرق الاوسط والخليج العربي والصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية في المنطقة . واعرب عن شكه في قدرة الولايات المتحدة على وقف التوسع السوفياتي . كما شمل حديث الشاه ايضا مشاكل القرن الافريقي كما ركز الشاه في حديثه على « مسيرة السلام » في الشرق الاوسط . وكان يمتدح كثيرا زعامة السادات في العالم العربي . واعرب عن ايمانه برغبة مصر المخلصة في «السلام» ، وحث بيغن على ابداء مرونة تجاه السادات ، وعدم تفويت فرصة «السلام» هذه عليه .

كان بيغن يشارك الشاه في قلقه بشأن اهداف موسكو في الشرق الاوسط . واستعان بيغن بوثائق لكي يثبت بأن اقتراح «السلام» الاسرائيلي كان سخيا جدا . واعرب عن دهشته لوقف المحادثات السياسية في القدس . وعدد حسنات مشروع « الحكم الاداري الذاتي » للفلسطينيين وأكد للشاه بأن «اسرائيل» مستعدة الآن لاستئناف المفاوضات مع مصر بدون شروط مسبقة .

ولم ينطرق الشاه خلال اللقاء ، ولو بالتلميح ، الى احتمال تجميد التعاون المشترك بين الدولتين «كرد» على تجميد مباحثات «السلام» مع مصر . وفي مقابلة مع مراسل صحيفة واشنطن بوست ، في آذار ١٩٧٨ ، قال الشاه انه على الرغم من توقف محادثات «السلام» لا يعتقد بوجود ضرورة لوقف تدفق النفط الايراني على «اسرائيل» وقال انه اذا ارادت الولايات المتحدة من ايران وقف تزويد «اسرائيل» بالنفط ، يجب عليها ان توقف تزويدها بالاسلحة اولا » .

كان بيغن آخر زعيم اسرائيلي يجتمع بالشاه . فالتطورات التي تلت زيارة بيغن لم تسمح باجراء اتصالات اسرائيلية — ايرانية اخرى على مستوى عال وانصب اهتمام الشاه على انقاذ عرشه ، ولم يتفرغ لمعالجة مشاكل السياسة الخارجية .

ادت عملية الفدائيين الفلسطينيين بالقرب من معجان ميخئيل في الطريق الساحلي حيفا — تل ابيب في ١١ آذار ١٩٧٨ ، وعملية الليطاني التي جاءت في اعقابها ، الى

حدوث تشويش آخر على محادثات «السلام» في الشرق الاوسط . وفشلت العملية الاسرائيلية في جنوب لبنان ، من قبل الرأي العام العالمي على انها موجهة للمس بـ «مسيرة السلام» ، وتقويض مكانة الرئيس المصري في الدول العربية . ففي اعقاب عملية الليطاني ، نشرت الصحف العربية والايرانية نبأ حول ارسال الملك الحسن الثاني ملك المغرب رسالة شخصية الى مناحيم بيغن ، اعرب فيها عن قلقه من عملية الجيش الاسرائيلي . وفي ٢٧ ايار ، قال السفير المغربي في الكويت عبدالهادي الصبيحي ان الملك حسن الثاني بعث لبيغن رسالة اخرى حذره فيها بأنه اذا لم تبد «اسرائيل» مرونة بشأن القضية الفلسطينية ، فان المغرب ستغير موقفها من « مسيرة السـلام » .

قبيل قدوم مناحيم بيغن الى واشنطن في ١٩ آذار ، دعت الولايات المتحدة مجلس الامن الدولي الى الانعقاد وايدت القرار الذي دعا الى انسحاب الجيش الاسرائيلي وتشكيل قوة طوارىء دولية تتولى عملية منع الفدائيين الفلسطينيين من التسلل الى منطقة الحدود اللبـنانية ــ الاسرائيلية ، ومساعدة الحكومة اللبـنانية على استعادة سيادتها تدريجيا على كل مناطق الدولة .

في تلك الايام قام لوفرني بزيارة قصيرة الى القدس ، ورتبت له جولة في القرى الشيعية في جنوب لبـنان . وكان لايران «حساب طويل» مع المنظمات الفلسطينية ، اذ كانت تلك المنظمات تقوم بتزويد الحركات اليسارية في طهران بالاسلحة وتدرب عناصرها في معسكرات الفلسطينيين في سوريا ولبـنان . ففي احدى اصطدامات الجيش الاسرائيلي مع الفلسطينيين في جنوب لبـنان ، وقع في ايدي القوات الاسرائيلية اسير ايراني درب من قبل منظمة التحرير اللفسطينية .

كان الزعيم الشيعي في جنوب لبنان الامام موسى الصدر (الذي اختفت آثاره حتى اليوم) على علاقة وثيقة مع السفاك والمؤسسة الدينية في ايران .

فور عودة لوبراني الى ايران توجه الى مكتب رئيس الديوان الملكي امير عباس هويدا وطلب مقابلة الشاه على وجه السرعة . واستجاب هويدا لطلب لوبراني وحدد يوم ٥ نيسان موعدا للمقابلة . وبما ان الشاه وعقيلته كانا يقضيان اجازة في جزيرة «كيش» بالقرب من مضائق هرمز ، على بعد حوالي ١٥٠٠كم من طهران ، وضعت تحت تصرف لوبراني طائرة خاصة نقلته الى الجزيرة وبعد ثلاث ساعات من الطيران هبطت طائرة لوبراني على مدرج طويل يناسب طائرات الكنكورد وفي المطار استقبل السفير الاسرائيلي من قبل حاكم الجزيرة محمد منصف ابن شقيقة اسد الله علام . وابلغ منصف رجال الحرس ، عن طريق جهاز اتصال كان يحمله بيده ، بانه متوجه الى قصر الشاه برفقة « سفير الجواهر » ، (وهو اسم الشفرة الذي كان قد اعطي للسفير الاسرائيلي في جزيرة كيش) .

كان القصر الملكي يقع في الطرف الجنوبي ــ الشرقي من الجزيرة . وعلى طول الطريق كان يصطف جنود مسلحون ومزودون باجهزة اتصال لاسلكية .

كانت معظم اراضي الجزيرة قاحلة ، ما عدا بعض مساحات النخيل المزروعة على جوانب بعض البيوت . وكان من ابرز المباني في الجزيرة الفندق الكبير والحديث الذي يدار من قبل شركة هرتشلد وكان الفندق على استعداد لان يقدم لرجال الطبقة الراقية في اوروبا ، ولامراء النفط العرب من دول الخليج العربي ، كل انواع الملذات التي كانت مونتكارلو تستطيع تقديمها . وذلك مقابل ۲۰۰۰ دولار في الاسبوع ، بدون تقديم وجبات الطعام واجرة الدخول البالغة ١٤٠٠ دولار . وكان الفندق يتألف من ۳۰۰ غرفة ولم يكن بين عماله وموظفيه ، ايراني واحد . وكانت قائمة طعام الفندق مكتوبة بالفرنسية ، كما ان طائرة كونكورد خاصة كانت تنقل باستمرار الطعام الطازج من باريس وكان في كل غرفة جهاز تلفزيون ملون . وكانت محطة تلفزيون اميركيــة محلية تبث باستمرار افلاما وبرامج ترفيهية ، تتلاءم مع الاجواء الهادئة في المنطقة . كان يوجد كازينو صغير في الفندق نفسه ، لكنه كان يوجد كازينو كبير بجانب الفندق يدار من قبل شركة بريطانية ، حيث كان امراء النفط العرب يلعبون فيه القمار بمبالغ كبيرة . كما كانت الجزيرة تضم محلات تجارية راقية تحتوي على احدث الازياء الاوروبية لكن الجزيرة كانت تبدو بشكل عام لا تزال خالية ، وان « جنة عدن البهلوية » ، كما كانت توصف في تلك الايام ، كانت تقدم في تلك الاثناء الخدمات فقط للاسرة المالكة وعدد من الايرانيين المقربين من الملك .

كلما كان السفير الاسرائيلي يقترب من القصر كان يلاحظ ان وسائل «الامن» في زيادة مضطردة فقد كانت ثلاث سفن حربية تجوب المنطقة كما ان اليخت الملكي كان يرسو على شاطيء الجزيرة . وعلى باب القصر وقف عدد من ضباط الامن الايرانيين ، الى جانب جنود الحرس الامبراطوري للتأكد من هوية الضيوف الاقلاء الذين يزورون القصر في الجزيرة . وبعد ان اعطى حاكم الجزيرة كلمة الســر « سفير الجواهر » دخل لوبراني الى حديقة مترامية الاطراف فيها جميع انواع الاشجار والازهار ، فقد كانت هنالك شبكة ري تحت الارض ، وكانت الحديقة تسقى بمياه محلاة بواسطة خمس محطات تحلية اقيمت من قبل شركة اسرائيلية ، برئاسة يعقوب نمرودي الملحق العسكري الاسرائيلي في ايران سابقا . وهو الآن رجل اعمال ناجح وكان الطابق الاول من القصر يضم المكاتب وقاعات الاستقبال بينما خصص الطابق الثاني لسكن العائلة المالكــة .

قاد احد مستشاري الشاه الضيوف الى قاعة الانتظار التي كانت مفروشة بأفخم أنواع السجاد والاثاث ، على النمط الفرنسي الحديث . وبعد بضع دقائق استدعي لوبراني الى مكتب الشاه . وبعد خروجه من المقابلة قال لوبراني : « استقبلني الشاه بأدب بالغ ، وسألني هل مكنت من مشاهدة الجزيرة ، وعندما أجبته بالنفي قال ان

الحاكم منصف سيهتم بترتيب جولة في الجزيرة ، ثم تحدثنا عن وضع الجزيرة ، وشعرت لاول مرة ان الشاه بعيد عن الواقع والى اي مدى يفضل البقاء بعيدا عن شعبه . وسألت الشاه ، هل يسمح لي بالتدخين . فأجاب كم سيجارة تدخن في اليوم . فأجبته حوالي ١٠ سجائر . وقال انك تستطيع التخلي عن هذه العادة بسهولة . ثم انتقلنا للحديث بمواضيع سياسية . وتحدثت للشاه عن الوضع في جنوب لبنان . وبدا ان الشاه يعرف جيدا الوضع الداخلي في لبـــنان ، وانه كان يتابع عن قرب تطورات الازمة ودخول القوات السورية الى بيروت . وكان الشاه ينظر الى دخول القوات السورية الى لبـــنان بمنظارين . فبتأثير من الملك حسين ، اعتبر الجيش السوري « قوة ردع » ستساهم في تثبيت الاستقرار الداخلي في لبنان . لكنه بناء على تقديراته هو نفسه لم تكن لديه اية أوهام بالنسبة لاهدافه النهائية . وكانت لديه قناعة بأن الاسد يسعى الى السيطرة على لبـــنان كجزء من مشروع « سوريا الكبرى » . وخشي ان تؤدي مثل هذه السيطرة الى زعزعة الاستقرار الاقليمي في المنطقة كلها . وعلى الرغم من ان الشاه لم يسبق ان قابل الرئيس الاسد . الا انه تحدث عنه بتقدير كبير ووصفه بأنه سياسي بارع . وتساءل الشاه بصوت مرتفع . من اكثر ذكاء واطلاعا الاسد ام السادات ؟ واشار الى ان الاسد دخل لبـــنان بحجة مساعدة الفلسطينيين. لكنه عمليا نفذ فيهم مجزرة . وكانت اقوال الشاه ومدحه للاسد تتناقض تماما مع السخرية التي تحدث بها عن الولايات المتحدة . وكان يتساءل مرارا وتكرارا : انني لا افهم الى اين يسعى الاميركيون ؟

كان الشاه بالطبع : يهتم جدا بموضوع «السلام» بين «اسرائيل» ومصر . وكعادته في مقابلات سابقة ، وقف الشاه هذه المرة محاميا للدفاع عن موقف السادات واكد ان السادات يريد بالفعل حل النزاع العربي ــ الاسرائيلي وانه مخلص في مساعيه «السلمية» . وقال ان السادات يدرك بأنه لكي يصبح رئيسا عظيما ، يجب ان يغير نمط الحياة لدى المواطن المصرى . فهو يختلف عن عبدالناصر . الذى كان يعتقد بأنه سيدخل التاريخ « كزعيم العالم العربي » ، مما دفعه الى ممارسة اعمال سرية ، في الدول العربية المجاورة ، فقد ركز السادات جهوده على العمل داخل حدود مصر . وقال الشاه انظر ماذا جرى لعبدالناصر فقد فشل كثيرا في حياته وبعد مماته اصبح الناس يذكرون هفواته وفشله فقط . وقال ان زيارة السادات للقدس لم تأت عرضية ، بل كانت نتيجة لدراسة بعيدة المدى ونظرة بعيدة لدى الحكومة المصرية لذلك يجب على «اسرائيل» التقدم في طريق «السلام» وابداء مرونة تجاه مصر واهدافها » .

حاولت ان اشرح للسادات المخاوف الاسرائيلية من السادات واهدافه . فقد خدع السادات «اسرائيل» في حرب رمضان . وكانت علاقاته مع العالم العربي دائما متقلبة . لذلك فمن يستطيع ان يضمن «لاسرائيل» بأن السادات لن يقوم بتحول مفاجيء في «مسيرة السلام» ؟ لكن الشاه اصر على موقفه وقال : ان السادات يريد «السلام» حقا ، ويجب مساعدته وتخليصه من مشاكله .

في ختام المقابلة توجهت الى الفندق . وهناك في صالة الفندق التقيت بيعقوب نمرودى صاحب فكرة انشاء منشآت تحلية مياه البحر في الجزيرة . وبناء على طلب نمرودى . ذهبنا لزيارة احدى المحطات . وقد سررت بزيارتها . فقد كانت المحطة تستطيع تحلية ۱۰٫۰۰۰ متر مكعب من المياه يوميا . وكانت المحطة محاطة ببساتين النخيل الخضراء . وكان المسؤول عن المحطة يدعى ارييه بن ريمون وهو مهندس اسرائيلي يبلغ من العمر ٤٠ عاما من اصل مغربي . وتأثرت بشكل خاص من وفرة المعلومات التي كانت لديه : ليس فقط بالنسبة للجزيرة ذاتها . بل بالنسبة لمنطقة الخليج العربي بكامله .

بعد الزيارة في محطة تحلية المياه : استضافنا حاكم الجزيرة محمد منصف ودعانا الى وجبة غذاء ، في مطعم كان يقع على حافة الماء تماما . وبسبب المنظر الجميل الذي سحر اعيننا ، طلبت من منصف تمديد فترة بقائي في الجزيرة بضع ساعات اخرى . وابلغ منصف الطيار بواسطة الجهاز ان « سفير الجواهر » سيتأخر قليلا ، وسيبلغه بموعد الاقلاع الجديد فيما بعد .

بعد عودتي الى طهران . تحدثت لاحد معارفي عن لقائي مع الشاه في جزيرة كيش . وشعرت من نظرته للزيارة بمدى تحفظ الشعب الايراني من التبذير ، والى اى مدى يبعد الشاه واسرته عن شعبه وقال لي صديقي : لقد قطعت عهدا على نفسي ان لا ازور الجزيرة ، وابذل كل ما بوسعي للامتناع عن السفر الى هناك ، على الرغم مما يسببه ذلك لي من مشاكل . وكنت كلما طرحت موضوع جزيرة كيش امام أوساط المثقفين الايرانيين ، كان الشاه يتعرض الى انتقاد شديد . وكان هؤلاء يعتبرون التبذير في تطوير « جزيرة الملـذات » مرآة عملية لاعمال الفساد ، التي كانت اسرة الملك متورطة فيها .

اضاءت الزيارة في جزيرة كيش ضوءا احمر لدى لوبراني بالنسبة لمستقبل نظام الحكم في ايران . ومنذ ان نشرت صحيفة اطلاعات الايرانية مقالا هاجمت فيه بشدة المؤسسة الدينية ، في منتصف شهر كانون ثاني ، زاد التوتر الداخلي في ايران ، ووقعت اشتباكات بين قوات الامن وبين اعداء النظام في مدن ايرانية كثيرة . وعندما ثارت الجماهير على نوادي الرفاهية في طهران ، قال احد رجال الدين المؤيدين للخميني : كلنا نعرف ان جزيرة كيش تمثل جنون الشاه الشخصي ، وان المسؤولين عن تطوير الجزيرة سلبوا الملايين من خزينة الدولة وان الجزيرة أصبحت رمزا لعار النظام كما ان الجزيرة أصبحت ايضا رمزا لفجور الشاه .

لذلك فهل هناك ما يدعو للدهشة ، عندما هاجمت الجماهير بعد الاطاحة بالشاه ، القصر والفندق الفخم ونهبت المتاجر والقت الى البحر آلاف زجاجات المشروبات الروحية ، واشعلت النار بالاثاث الحديث الفاخر في الجزيرة .

مع علامات السؤال تلك بالنسبة لمستقبل النظام الايراني ، توجه لوبراني الى القدس في زيارة قصيرة . وفي أواخر شهر نيسان عاد لوبراني الى طهران حاملا رسالة شخصية من رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن الى الشاه . تضمنت الرسالة شرحا عن جمود محادثات «السلام» مع مصر ونظرة الحكومة الاسرائيلية لهذا الموضوع . وبعد مكالمة هاتفية مع عباس هويدا ، تحدد لقاء لوبراني مع الشاه في اليوم التالي .

كانت محادثة لوبراني مع الشاه طويلة ، رفض خلالها الشاه تفسيرات بيغن التي اوردها في الرسالة وطلب باصرار ان تبدي «اسرائيل» مرونة وتستجيب لمطالب السادات . وكان لوبراني يوضح للشاه بأن «اسرائيل» لا تستطيع ان تثق بالسادات « بأعين مغمضة » ، وانه توجد «لاسرائيل» ايضا مشاكل تتعلق بجوهر «السلام» مع مصر . وخلافا للماضي فقد بدا من لهجة الشاه في هذه المرة نوع من التهديد واوضح لوبراني للشاه بأن ممارسة ضغوط وتهديدات على «اسرائيل» من شأنها ان تخطيء هدفها . وشرح لوبراني للشاه معنى اصطلاح « شعب قوي الشكيمة » واكد ان «الشعب» اليهودي ناضل طيلة آلاف السنين من أجل وجوده ، وان المطاردات والتهديدات قوت من شكيمته وعزيمته . وهذا الشيء قد علم كثيرا من زعماء العالم التحدث الى «الشعب» اليهودي بالازهار وليس بالاشواك .

خرج لوبراني من المقابلة متأثرا جدا . وبدا للجميع ان العلاقات الاسرائيلية ــ الايرانية دخلت الان في أزمة .

في ضوء اهتزاز الوضع الداخلي في ايران ، وعدم الثقة بسياسة الولايات المتحدة واجه الشاه مشكلة محيرة : هل يتصرف وفقا لمصلحة بلاده الاقتصادية ويواصل التعاون مع «اسرائيل» ، ام يظهر تضامنا مع الدول العربية ويوقف التعاون مع «اسرائيل» في مواضيع كانت حيوية بالنسبة لايران . واختار المصلحة الاقتصادية القومية . وكان ذلك قرارا حكيما لكنه بعد اشهر من اختياره ذلك ، اصبح التعاون مع «اسرائيل» يشكل عبئا ثقيلا على مؤسسات السلطة الايرانية ، فقد كان رجال الدين يعددون دائما « جرائم اليهود » ضد الاسلام ، ويستنكرون دائما « اغتصاب فلسطين وتدنيس الاماكن المقدسة في القدس بينما نددت المعارضة اليسارية في ايران بتأييد الشاه لمبادرة السادات ، واعتبرت الحركة الصهيونية صنيعة الامبريالية الغربية .

من جراء التأييد الاميركي ــ المصري ــ الاسرائيلي للشاه ، كانت هذه الدول الثلاث تعتبر معادية بالنسبة لحركات المعارضة الايرانية . من هنا كانت كلما زادت حدة التوتر الداخلي في ايران ، كانت تتحقق «لاسرائيل» والولايات المتحدة ومصر مصلحة

في الحفاظ على الوضع الراهن في طهران ولم يكن اهتمام «اسرائيل» ينحصر آنذاك بموضوع النفط فقط ، بل تعداه الى الاتصال الجوي مع الشرق الاقصى ، ومصير الجالية اليهودية في ايران .

بدأ الشاه يلمح في بعض الاحيان الى احتمال استخدام سلاح النفط ضد «اسرائيل» ففي مقابلة مع صحيفة شيكاغو تريبيون ، يوم ٢٤ أيار ١٩٧٨ قال الشاه : « انه اذا لم يتم تحقيق تقدم في « مسيرة السلام » فسيكون بالامكان استخدام سلاح النفط ضد «اسرائيل» ، واضاف انه اذا ما اتحدت جميع الدول المنتجة للنفط في اطار الامم المتحدة ، وفرضت حظرا على تزويد «اسرائيل» بالنفط فقد يكون مثل هذا الحظر مفيدا . وفي مقابلة مع مراسل المجلة الاميركية مايو اس نيوز آند وورلد ريبورت يوم ١٨ حزيران ١٩٧٨ ، قال الشاه : ان «اسرائيل» دولة متصلبة ، واذا ما قررت الامم المتحدة او الولايات المتحدة العمل ضد «اسرائيل» ، فان ايران ستستخدم سلاح النفط ضدها . واضاف الشاه يقول : توجد الآن امكانية لتحقيق «سلام» في الشرق الاوسط ، لكن تصلب «اسرائيل» يحول دون ذلك . وهذا التصلب يتعارض مع مصلحة «اسرائيل» نفسها «فاسرائيل» بحاجة الى «سلام» وضمان لحدودها لكنه اذا كانت «اسرائيل» تريد الاحتفاظ بالارض ايضا ، فلن تحصل عليهما ابدا » .

في أعقاب نشر هاتين المقابلتين ، حاول موظفون في القصر الملكي تهدئة «اسرائيل» طالبين عدم الاهتمام كثيرا لهذه التصريحات وعدم اعطائها اية اهمية عمليـــة .

لكنه في ضوء كثرة التصريحات بهذا الشأن ، امر رئيس حكومة «اسرائيل» وزير الطاقة الاسرائيلي يتسحق موداعي ، بمضاعفة الجهود من اجل ايجاد مصادر نفط بديلة ، لاستغلالها في حالة تنفيذ الشاه تهديداته وقطع النفط عن «اسرائيل» .

في الفترة التي تلت ذلك ، كان يتوجب على «اسرائيل» ومصر الانشغال في مشاكل «السلام» بينهما ولم يعد التوتر الداخلي في ايران يشغلهما بشكل خاص . ففي اعقاب لقاء رئيس حكومة مصر ، الدكتور مصطفى خليل ، مع موشه دايان وزير خارجية «اسرائيل» في قلعة ليدز في بريطانيا في شهر تموز دعا الرئيس الاميركي جيمي كارتر الرئيس السادات وبيغن ومساعديهما الى مؤتمر كامب ديفيد . وظل رؤساء اميركا ومصر و«اسرائيل» طيلة اسبوعين كاملين مشغولين في محادثات مكثفة حول اتفاقية «سلام» في الشرق الاوسط ، ولم يتفرغوا لمشاكل دولية اخرى . لكن عندما كانت اتفاقيات كامب ديفيد توقع في البيت الابيض في ١٧ أيلول ، كانت طهران مشتعلة بالنيران والشاه يفقد زعامته تدريجيا .

مطـــاردة

يهـود ايـران

بدأ الصراع ضد الشاه يأخذ في أشهر الصيف لعام ١٩٧٨ طابعا معاديا لليهود و«لاسرائيل» ، فمنذ المراحل الاولى للثورة ، بدأ رجال الدين الشيعة التحريض ضد اليهود وأقليات اخرى ، ووزعوا منشورات هددوا فيها بالانتقام من اليهود بسبب ما وصفوه « بجرائم الصهيونية الدولية » ، وسلب ثروات الدولة ، ودعمهم الدائم «لاسرائيل» عدوة العرب والاسلام .

وارسلت رسائل التهديد لبيوت زعماء الجالية اليهودية ، ووضعت علامات على منازل اليهود وطلب من التجار الاثرياء مغادرة الدولة لان يوم الانتقام قد اقترب ، ورسمت شعارات على الكنيس والمؤسسات اليهودية تقول : الموت لليهود . اخرجوا ايها اليهـود ، لم يكن احد ينظر بجدية الى اقوال التحريض ورسائل التهديد . وبدا نظام حكم الشاه مستقرا ، لدرجة ان اي شخص لم يكن يرغب في الاعتقاد بأن يوم سقوطه قد أصبح قريبا .

كان عدد الاقلية اليهودية في ايران في تلك الفترة حوالي ٨٠ الف نسمة ، وكانت تتمتع بوضع اقتصادي جيد وبمساواة اجتماعية . وفضل عدد قليل فقط من اليهود مغادرة ايران الى «اسرائيل» او الولايات المتحدة ، حتى تنتهي موجة الغضب المعادية لليهود في ايران . كما ان زعماء الجالية اليهودية كانوا يعارضون خلق جو من الرعب وظلوا يؤمنون بأنه لن يحدث ليهود ايران اي سوء . وقالوا انه طالما ظلت السفارة الاسرائيلية في طهران تعمل كالمعتاد ، وكذلك عمل شركة الطيران الاسرائيلية العال ، وليس هناك اي حظر على نشاطات الوكالة اليهودية ، يجب عدم تشجيع القيام بترحيل منظم لليهود ، والتخلي عن ممتلكاتهم التي جمعوها طيلة سنين .

لدى تشكيل حكومة شريف امامي في ٢٧ آب ١٩٧٨ كان هنالك امل في توقف التحريض ضد اليهود لكنه في مطلع فصل الخريف زادت خطورة وضع اليهود وزاد « الخطر » على حياتهم . ففي شهر ايلول قتل مثقف يهودي في مدينة مشهد ، كما اخفيت قنبلة في بيت الجالية اليهودية في همدان . كما وزعت في المدن والقرى الايرانية « بروتوكولات حكماء صهيون » مصحوبة بتفسيرات « جبلس » .. وتعليقات رجال الدين الشيعة ، كما وزع في احد المساجد في شمال طهران منشور آية الله يحيى نوري ، الذي دعا فيه الى اخذ الثأر من اليهود ردا على عملية «اسرائيل» في جنوب لبـــنان ، حيث قتل هناك عدد كبير من الشيعة . ووزعت اقوال الخميني المسجلة على اشرطة في مساجد طهران ، كما قاطعوا التجار اليهود وامتنعوا عن التعامل معهم. وامتنع التجار عن شراء العقارات من اليهود ، من خلال قناعتهم بأن الوقت قريب ليأخذوا هذه العقارات بدون مقابل . وتوجه رجال اعمال يهود الى رجال الدين في طهران وقـــم ووجدوا لديهم تفهما لمشاكلهم . وفي اعقاب طلب من « عضو البرلمان » اليهودي يوسف كوهن ، اعلن اية الله شريعة مداري وهو احد رجال الدين البارزين في ايران ، انه يجب التمييز بين اليهود الذين يحظون بحماية الاسلام وبين «اسرائيل» والصهيونية ، كما ادلى اية الله محمود بتصريح مماثل . وفي اعقاب انتقال الخميني من النجف العراقي الى باريس في ٣ تشرين أول ١٩٧٨ ذهب اليه عدد من اليهود ، وحصلوا منه على وعد بعدم المساس باليهود في طهران . كما ان حكومة اوروبية كانت تعمل في ذلك الوقت بناء على طلب من «اسرائيل» في سبيل الحفاظ على حياة يهود ايران . ومن مكان منفاه ، ابلغ خميني الحكومة الفرنسية بأنه يميز بين اليهود وبين الصهيونيين ووعد بتوجيه تعليمات الى رجاله في ايران بعدم المساس باليهود .

كلما كانت مكانة الشاه تزداد ضعفا ، كان وضع اليهود يزداد خطورة . وتزداد الحاجة لعمل شيء لانقاذهم ، وارسل عضو الكنيست موشه كيتسف وهو من اصل فارسي الى طهران ، لمقابلة زعماء الجالية اليهودية وحثهم على الهجرة الى «اسرائيل» وزار وفد يضم ستة من زعماء الجالية اليهودية في ايران «اسرائيل» ، واجتمعوا الى رئيس الحكومة وعدد من الوزراء ودرسوا امكانية استيعاب يهود ايران اقتصاديا في «اسرائيل» وكان من بين اعضاء الوفد حبيب الكنان الذي اعدم في ٩ ايار ١٩٧٩ بتهمة التعاون مع «اسرائيل» وبعد اعدام الكنان كتبت الصحف الايرانية : « كانت تلك اجمل هدية تقدمها الثورة الايرانية الى الثورة الفلسطينية » .

في اعقاب تشكيل حكومة شهبور بختيار وخروج الشاه الى المنفى في ١٦ كانون ثاني ١٩٧٩ ، زاد القلق على مصير اليهود في ايران . وحاولت مؤسسات ومنظمات دولية مختلفة العمل من اجلهم كما بذلت الوكالة اليهودية جهودا من اجل تشجيعهم على الهجرة الى «اسرائيل» لكن معظم ابناء الجالية فضلوا البقاء في ايران . لكن الوضع اخذ يزداد خطورة يوما بعد يوم ، فحكومة بختيار لم تنجح في فرض سيطرتها

على اعداء الشاه ؛ بينما زادت المعارضـــة الدينية من جهودها للقضاء على عرش الشاه وانشاء جمهورية اسلامية .

في ١ شباط ١٩٧٩ وصل الخميني الى طهران على متن طائرة خاصة تابعة لشركة الطيران الفرنسية « اير فرانس » وخرج اكثر من مليون شخص لاستقباله وكان من بينهم حوالي ٥٠٠٠ يهودي برئاسة الحاخام الاكبر ليهود ايران الحاخام يديا شوفيط ، وحمل اليهود صور الخميني وشعارات تقول « المسلمون واليهود اخوان » . بعد وصول الخميني الى طهران تقرر عمليا مصير نظام حكم الشاه ، واصبح انهيار حكومة بختيار مسألة وقت فقط .

في ٤ شباط وصل الى طهران مردخاي بن فورات ، لكي يترأس الجهود المبذولة لانقاذ يهود ايران . وكان بن فورات قد اكتسب خبرة في السابق ، عندما كان يعمل على انقاذ يهود العراق وتهجيرهم الى «اسرائيل» . وبعد مشاورات طويلة مع جميع العناصر التي لها علاقة بالمسألة الايرانية في «اسرائيل» ، توجه بن فورات الى طهران على متن طائرة تابعة لشركة العال .

في غداة وصوله الى طهران ، اجتمع بن فورات مع السفير الاسرائيلي يوسف هرملين . كما زار في نفس اليوم كنيسا يهوديا في طهران ، حيث كان يجتمع هناك مئات اليهود الراغبين في الهجرة الى «اسرائيل» وفي ٦ شباط اجتمع المبعوث الاسرائيلي مع زعماء الجالية اليهودية . وكان ذلك الاجتماع قاسيا جدا ، اذ هاجم زعمـــاء الجالية بشدة بيغن وحكومة «اسرائيل» ، الذين يتحدثون علانية عن الضائقة التي يعاني منها يهود ايران . وقالوا ان بيغن يريد الاساءة الينا .

على الرغم من الجو المتوتر الذي ساد الاجتماع فقد اتفق على عدم ازعاج اولئك اليهود الذين يرغبون بالهجرة من ايران . وعلى الرغم من الاخطار التي كانت تهدد حياة موظفي شركة العال فقد بذلوا جهودا كبيرة ومخلصة في انقاذ كل من كان بالامكان انقاذه ، وبفضل تلك الجهود تمكن حوالي ٤٠٠ يهودي من مغادرة ايران في نفس الاسبوع .

ادى انهيار حكومة بختيار في ١٠ شباط الى زيادة خطورة وضع اليهود في ايران وخوفا من تعرض اليهود للانتقام ، توجه وفد يتألف من ثمانية اشخاص برئاســـة الحاخام يديا شوفيط لمقابلة الخميني ، ولم يستطيع الخميني مقابلة الوفد نتيجة تعبه . واستقبل الوفد مكانه آية الله طلقاني ، حيث وعدهم بعدم التعرض ليهود ايران . وفي ٣ شباط خرج بضعة آلاف من اليهود من الكنيس الرئيسي في طهران في مسيرة الى مقر الخميني واعربوا عن تأييدهم لزعيم الثورة .

وندد الحاخام دافيد شوفيط ، الابن الاكبر للحاخام يديا شوفيط . «باسرائيل» لتشجيعها يهود ايران على الهروب من البلاد . وقال انه بعد قيام «دولة اسرائيل» لم يعد هنالك مكان للحركة الصهيونية ، ويجب تمكين كل جالية يهودية من العيش كما نريد . «فاسرائيل» مركز روحي وديني لليهود في العالم . لكنها ليست «دولة» يجب الهجرة اليها والعيش فيها .

كان واضحا ان الجالية اليهودية تصرفت هكذا لانقاذ حياتها . وقد قال احد رجال الاعمال اليهود ذلك بوضوح لمراسل اميركي في طهران ، حيث قال : «لو ان احدا وضع السكين على رقبتــك وطلب منك التنكر للولايات المتحدة ، الا تفعل ذلك ؟ ونحن الان مرغمون على الصراخ واستنكار «اسرائيل» والصهيونية .

ان تاريخ اليهود في ايران كان يشهد دائما اوضاعا متقلبة ، وكانت نظرة الحكام اليهم تتوقف على وضع الدولة الداخلي والاقتصادي ، وعلى علاقاتها مع الدول المجاورة لها . فمنذ اقدم العصور كانت هنالك جالية يهودية في ايران ، وتشهد على ذلك قبور اليهود في ايران . كما ان يهود فارس يذكرون بفخر واعتزاز صنع الملك كورش العظيم لهم الذي سمح لهم في عام ٥٣٨ قبل التاريخ بالعودة الى القدس ، بعد سبيهم على يد نبوخذ نصر البابلي في اعقاب تدمير الهيكل الاول قبل ذلك بـــ ٧٠ عاما . وكان اليهود يحتلون دائما مراكز هامة فى الامبراطورية الفارسية ، حتى انه سمح لهم باقامة مستوطنة عسكرية في مصر لكى يحافظوا على الحدود الجنوبية للمملكة .

بعد ظهور الدين الاسلامي والنهضة الاسلامية ، احتل المسلمون بلاد فارس في القرن السابع «وارغموا» كثيرا من اليهود على تغيير دينهم . وادت « المطاردات الوحشية » التي تعرض لها اليهود الى ظهور حركات مسيحية معادية لليهود من ابرزها حركة ابن عيسى في القرن الثامن .

في القرن السادس عشر انتقلت الدولة الى ايدي الصفويين . واصبح المذهب الشيعي الدين الرسمي للدولة . واظهر المذهب الشيعي حقدا كبيرا على اليهــود واعتبرهم كفرة انجاسا . وزادت ضائقة اليهود بشكل خاص اثناء حكم شاه عباس الاول من ١٥٨٦ — ١٦٢٩ ، وشاه عباس الثاني من ١٦٤٢ — ١٦٦٦ . حيث ارغم عدد كبير منهم على اعتناق الاسلام . كما اضرمت النار في كثير من الكنس اليهودية وحول بعضها الى مساجد ، وارغم يهود اصفهان على حمل شعار خاص . ويقول رجال دين شيعيون انه اثناء فترة حكم الصفويين بالقرب من مدينة فرسفولين ، اعتنق الاسلام اكثر من ٣٠٠ قرية كان يقيم فيها يهود ، واطلق عليهم اسم «جديد» اى المسلمون الجدد .

لقد طرا تحسن معين على وضع اليهود في ايران ابان عهد الملك نادر شاه في القرن الثامن عشر ، حيث سمح لليهود بالسكن في عاصمته مشهد . لكنه بعد موته

ساء وضع اليهود من جديد ، وارغم جميع يهود مشهد على اعتناق الاسلام . اما الذين رفضوا الاسلام فقد اعلن رجال الدين المسلمون بأنهم انجاس ، لا يحق لهم دخول بيوت المسلمين ، والسير اسرع من المسلمين ، وفتح متاجر في مختلف الاسواق كما حظر على اليهود الخروج الى الشوارع في الايام الماطرة حتى لا تغسل المياه « نجاستهم » وتنقلها الى المسلمين .

في القرن العشرين طرا تحسن ملموس على مكانة اليهود في ايران . فخلافا لحوالي خمسة ملايين تركماني في منطقة اذربيجان ، وحوالي مليون كردي في منطقة كردستان ، ومليون بلوتشي كانوا يسكنون بالقرب من الحدود الافغانيـــة ، كانت الاقلية اليهودية «تطمع» في الخروج تدريجيا من الاحياء اليهودية (الجيبتوات) والاندماج في حياة المجتمع الايراني . وخلافا للاقليات الاخرى التي كانت تطالب بنوع معين من « الحكم الذاتي الاداري » فقد كانت الاقلية اليهودية تطمع في الحصول على المساواة في الحقوق الاقتصادية والاجتماعية . وادى ذلك الى الاعتراف باليهود في دستور عام ١٩٠٦ بأنهم اقلية دينية يحق لها التمثيل في المجلس (البرلمان) . لكن هذا الحق كان يسمح لهم بانتخاب ممثلهم فقط وليس بقية المرشحين للبرلمان ، كما لم يسمح الدستور لليهودي باشغال منصب وزير في الحكومة .

ادى وعد بلفور في ٢ تشرين ثاني ١٩١٧ الى حدوث انتعاش معين في اوساط اليهود الايرانيين ، ففي نهاية القرن التاسع عشر ، كانت قد بدات رابطة « كل اسرائيل اصدقاء » (اليانس) في العمل في ايران وافتتحت عدة مدارس في المدن التي كانت تضم مجموعة من اليهود اما الان فقد نشأ اتصال لليهود مع الهستدروت الصهيونية العالمية، وأسست صحف يهودية وانتخب اعضاء في الكونغرس الصهيوني ، وبتشجيع من شلومو كوهين رئيس الاتحاد الصهيوني — الايراني والحاخام مناحيم هليفي ، شكلت حركة هجرة محدودة «لاسرائيل» . على الرغم من ذلك فقد ادى طابع الدولة المسلم الشيعي الى بقاء اليهود يدفعون الجزية ، التي فرضها المحتلون المسلمون في العصور الوسطى على السكان غير المسلمين . وكان يفرض على اليهود حمل علامة مميزة على صدرهم بناء على توجيهات من رجال الدين . وادت نظرة الاحتقار تلك الى جعل عضو البرلمان اليهودي شموئيل حاييم يشتكي الى عصبة الامم في جنيف ؛ بأن السلطات الايرانية لا تمنع التمييز العنصري ضد اليهود . ففي مقال نشر في صحيفة «الحياة» دعا شموئيل حاييم اليهود الى مقاومـــة الاضطهاد والمطالبة بحقوقهم التي يمنحهم اياها الدستور ، وفي ١٩٣١ حكم على شموئيل حاييم بالموت بتهمة الاشتراك في مؤامرة للاطاحة بنظام حكم الملك رضا شاه .

في عام ١٩٢٨ منح اليهود درجة من الحرية ، فقد سمح لليهود بشراء الاراضي وبذلك اصبح باستطاعتهم كسر طوق «الجيتو» وبناء على اوامر الملك رضا شاه ،

سمح لخريجي مدارس (اليانس) بالخروج الى باريس لاكمال تعليمهم . كما سمح ليهود «الجيتو» بالسكن في المدن وممارسة الاعمال التجارية . كما الغى رضا شاه ضريبة الجزية وبعض القوانين الظالمة الاخرى ، مثل امكانية استبدال عقوبة الموت الصادرة بحق مسلم الى كفارة عندما يقتل يهوديا . وفتحت ابواب الجامعات امام اليهود لكن النشاط الصهيوني بقي محظورا . وكان ذلك الحظر يتعلق بسياسة ايران الخارجية في تلك الفترة . ففي عشية الحرب العالمية الثانية ، حاول رضا شاه التقرب من المانيا النازيـــة . وكان الحظر جزءا من تلك الرغبـــة . وتوجه يهود ايران آنذاك الى منظمة الهستدروت الصهيونية العالمية طالبين مساعدتها على الهجرة وشراء اراض في « ارض اسرائيل » .. لكن مثل هذه المساعدة لم تقدم لهم .

ادت الاطاحة بالملك رضا شاه في ذروة الحرب العالمية الثانية ، وتوليه ابنه محمد رضا بدلا منه الى حدوث تطور بعيد المدى في مكانة اليهود في ايران والى الغاء بقية القيود التي كانت مفروضة عليهم . فقد سهلت نظرية الشاه بأن الشعب الايراني يختلف عن الشعب العربي ، على اتخاذ هذا التغير ، فقد كتب الشاه في كتابـــه « مهمة من اجل شعبي » يقول : « من الواضح ان اي انسان لا يستطيع الشك الآن في ان حضارتنا أقرب الى الحضارة الغربية منها الى حضارة جيراننا العرب » . فقد كانت ايران الوطن الاصلي للآريين الذين خرج منهم معظم الشعوب الاوروبيـــة والولايات المتحدة ، ولكي يثبت هذا الفرق استخدم الشاه العنصر الديني . حيث قال ان حقيقة كون معظم العرب هم من المسلمين السنيين ، فها هو الشعب الايراني يعتنق المذهب الشيعي ، وهذا يبرهن على انه حتى من الناحية الدينية يوجد فرق بين ايران وجاراتها العربيات .

وكلما كانت المصالح الايرانية القومية تتعارض مع المصالح العربية ، كان يتقلص العداء لليهود واعتبرهم الشاه حلفاء مخلصين يساهمون في تحسين مكانته الدوليـــة ويعززون نفوذه في منطقة الخليج العربي .

حتى عام ١٩٦٠ ، انحصر نشاط اليهود في المجال التجاري ، بينما لم يكن لهم مكان في المجال الصناعي والمصرفي . ثم انتقلوا الى المهن الحرة . وفي المقابل بدأت الجالية اليهودية تتطور في المجالين الثقافي والحضاري . على الرغم من قدم اليهود في ايران ، فلم تكن لديهم الوسائل لتنمية المعرفة اليهودية والصهيونية . فقد كانوا يحافظون على قدسية يوم السبت . لكن معظمهم لم يكن يستطيع اتقان الصلاة . وكان اليهود الايرانيون يقرأون الصلاة في الكنس ، دون ان يفقهوا شيئا من معناها .

ابتداء من عام ١٩٤٤ ، عملت في ايران حركتا حلوتس ، وبني عكيفا ، لكنه بسبب فتح النوادي الحكومية امام اليهود ، شلت نوادي الشبيبة الصهيونية ، لان الاتحاد الصهيوني ولجنة الجالية اليهودية المحلية لم تقوما بتمويل تلك النوادي . واكثر

من ذلك . فقد اصبحت لجنة الجالية المحلية معادية للصهيونية واخذت تقاوم بشدة رجال الاعمال الصهاينة . وادى ذلك الى اغلاق معظم نوادي الشبيبة الصهيونية .

لم يكن بمقدور النشاطات اليهودية في ايران التأثير على موقف الشاه تجـاه الصهيونية . لذلك بعد تشكيل لجنة الامم لشؤون فلسطين في ١٥ ايار ١٩٤٧ ، صوت المندوب الايراني في اللجنة نصر الله انتظام ضد تقسيم فلسطين لدولتين يهودية وعربيـة .

ادى اقامة «دولة اسرائيل» الى حدوث تغير كبير في شخصية وطبيعة الجالية اليهودية في ايران . فبعد صدور قرار التقسيم في الامم المتحدة ، وزع عرب خوزستان «القريبون من الحدود العراقية» منشورات معادية لليهود ، وناشدوا حكومتهم عدم الاعتراف بـ«دولة اسرائيل» ، لكن هذا التحريض لم يكن بمقدوره منع النهضـة الدينية لدى يهود ايران . وتم تهجير مجموعات كبيرة من اليهود الى «اسرائيل» ، وقال موسى فيان ، وهو من ابرز زعماء الجالية اليهودية في ايران ، وعضو الكونغرس الصهيوني ، واجرى دراسة حول تاريخ اليهود في ايران ، قال ان اليهود بدأوا يتجمعون من مختلف المدن الايرانية في طهران طالبين الهجرة الى «اسرائيل» وكان مبعوثو الوكالة اليهودية يذهبون الى القرى والمدن النائية في ايران ويشجعون اليهود على الهجرة الى «اسرائيل» كان وضع اليهود في تلك الفترة سيئا جدا . وكان معظمهم جهلة ويعانون من امراض جلدية وامراض عيون قاسية .

في عام ١٩٤٨ كان في ايران حوالي ١٥ الف يهودي كردي ، سكن معظمهم في ستنداح وكانوا يعيشون على الزراعة . لكن السكان المحليين هاجموهم عام ١٩٥٠ في كردستان وقتلوا منهم ١٢ شخصا وادى ذلك الحادث الى دفع اليهود للانتقال الى طهران والهجرة من هناك الى «اسرائيل» . وفي تلك الفترة تم ايضا تهجير الجاليـة اليهودية الفقيرة في زركون بالقرب من شيراز . فقد كان الامام الشيعي في ذلك الوقت يأخذ مبلغا معينا من النقود مقابل كل يهودي يغادر القرية الى «اسرائيل» مع ذلك فقد انحصرت هجرة اليهود الايرانيين على الطبقة الفقيرة فقط ، بينما لم يهاجر من ابناء اليهود من الطبقة المتوسطة سوى عدد قليل ، اذ فضل معظمهم الاستفادة من الامكانيات الاقتصادية الجديدة التي فتحت امامهم في ايران ومحاولة الاندماج في المجتمع المحلي ، وفي الفترة من ١٩٤٨ ـــ ١٩٦٨ هاجر الى «اسرائيل» اكثر من ٥٥ الف يهودي ايراني ، ويبلغ عدد الذين يتحدثون بالفارسية في «اسرائيل» اليوم حوالي ١٠٠ الف نسمة . وبلغت هجرة يهود ايران الى «اسرائيل» ذروتها في الفترة ما بين ١٩٤٨ ـــ ١٩٥٠ ثم استمرت حتى عام ١٩٦٠ . حيث ادت الضائقة الاقتصاديـة التي شهدتها «اسرائيل» في مطلع الستينات الى حدوث موجة من النزوح الى ايران ، وبلغ عدد اليهود الذين عادوا الى ايران حوالي ٣٠٠٠ شخص ، لكنه بعد حرب الايام الستة زادت نسبة الهجرة من ايران الى «اسرائيل» مرة ثانية ، ثم تقلصت بعد حرب

رمضان . دفع تيار هجرة اليهود الى «اسرائيل» الشاه الى تعيين ممثل غير رسمي في عام ١٩٤٩ ليتولى معالجة المطالب المالية للايرانيين الذين يعيشون في «اسرائيل» وفي آذار ١٩٥٠ اعلنت ايران اعترافها غير الرسمي «باسرائيل» ، ورفعت درجة الممثل الى مرتبة « عضو مخول » . ومع ذلك رفضت ايران استقبال ممثل «اسرائيل» في نفس المرتبة في طهران . وعندما تولى مصدق رئاسة الحكومة الايرانية في عام ١٩٥١ ، اعيد الممثل الايراني من «اسرائيل» وزادت الهجمات على «اسرائيل» واليهود وبعد ابعاد مصدق اعاد الشاه مندوبه الى «اسرائيل» ، واوقفت موجة التحريض ضد اليهود في ايران .

في تلك الايام كانت ايران تشكل محطة عبور ليهود العراق وهم في طريقهم الى «اسرائيل» فقد استطاع موشه طوف رئيس الهستدروت الصهيونية في طهران ، تجاوز معارضة وزارة الخارجية الايرانية وادخال يهود العراق الى الاراضي الايرانية بمساعدة الجيش والدرك الايرانيين . وكان يهود العراق يمكثون في الاراضي الايرانية حوالي عشرة ايام ثم ينتقلون جوا الى «اسرائيل» .

ادى تسامح الشاه الذي اظهره تجاه اليهود في بلاده الى مساعدتهم في توثيق علاقاتهم مع «اسرائيل» ، حيث قام عدد كبير منهم بزيارة «اسرائيل» ، سواء للمعالجة الطبية او لزيارة اقاربهم كما ان قسما منهم اقام علاقات تجارية بين الدولتين غير ان المساواة في الامكانيات الاقتصادية في ايران ادت الى خلق موجة من الانحلال لدى اليهود وذوبانهم في المجتمع الايراني ، وزاد «تضامن» اليهود مع الاهداف القومية الايرانية ، فعلى الرغم من استمرار تنكر الفرس لليهود من الناحية السياسية ، بدا اليهود بمشاركة الفارسيين في اعيادهم القومية ، وكانوا يفتخرون بما في ايران وحاولوا تغيير اسمائهم اليهودية بأسماء فارسية .

ادى نفي الخميني الى العراق والتحسن المستمر في المكانة الاستراتيجية لايران الى تقوية نظام الشاه وتوقف حملات التحريض ضد اليهود . فقد رفعت القيود التي كانت مفروضة على دخول اليهود الى الجامعات ، كما ادت المساواة في الحقوق الى تحسن في الوضع الاقتصادي ليهود ايران . وتمكن معظم اليهود من الاتجار بالعقارات والعمل في مجال التجارة الدولية والمصرفية والتأمين ، كما استطاعوا اكمال دراستهم في الطب والهندسة والحقوق . وكان من بين ٨٠ الف يهودي كانوا يعيشون في ايران في عام ١٩٧٨ نسبة ١٠٪ اثرياء جدا ، و ٨٠٪ من الاثرياء العاديين اي من الطبقة المتوسطة ، و ١٠٪ فقط كانوا فقراء يحتاجون الى مساعدة الجالية اليهودية . كما ظهر التحسن الذي طرا على وضع اليهود في ايران في مجال التعليم ، حيث اصبح منهم الطلبة الجامعيون والبروفسورات ، والمحاضرون في الجامعات . وكان اكثر من نصف اولاد اليهود يدرسون في مدارس عبرية . وعلى الرغم من ذلك فلم تؤسس مدرسة

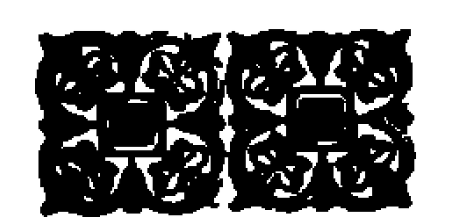
دار معلمين واحدة في ايران لتدريس اللغة العبرية والتعاليم اليهودية . ولم ينشأ من افراد الجالية اليهودية في ايران زعماء مشهورون او حاخام كبير في علم التوراة ، كما حدث بالنسبة ليهود مصر والمغرب والعراق وليبيا واليمن ، الذين ظهر منهم زعماء محليون طوروا ثقافة يهودية عميقة .

كان يهود ايران شأنهم شأن الايرانيين انفسهم ، يشكون كثيرا في غيرهم . وادى ذلك الى بقاء مؤسسات الجالية اليهودية مشلولة تماما . وكان كل زعيم يهودي يفضل حل مشاكله بنفسه بدلا من التعاون مع غيره من اليهود . فمثلا ، حدث في انتخابات لجنة الجالية التي جرت في آذار ١٩٧٨ ، ان انتخب الشباب الذين يعتبرون من معسكر عضو البرلمان المحامي يوسف كوهين ، لكنه في غداة الانتخابات انشغلت اللجنة المنتخبة في صراعات داخلية ونزاع «عقائدي» حول مدى شرعية الانتخابات . وكان من بين الذين احتجوا على الانتخابات المهندس عزيز دنشراد وفرويز يشيعياه وهما من رجال الاعمال اليساريين ، وكانا تابعين في الماضي للحزب الشيوعي «تودا» وشكلا منظمة « المثقفون اليهود في ايران » ، وكان دنشراد وفرويز قد امضيا في السابق فترة في السجن لمعارضتهما حكم الشاه . وعندما قامت الثورة الاسلامية انضما اليها فورا وايدا اهدافها . لهذا السبب عين دنشراد ممثلا ليهود ايران في « المجلس التشريعي » الذي وضع صيغة الدستور الاسلامي الجديد . ثم اجتمع الاثنان فيما بعد مع هاني الحسن ممثل منظمة التحرير في طهران ، واعربا امامه عن تأييدهما للنضال الفسطيني وتحفظهما من «اسرائيل» والصهيونية .

منذ خروج الشاه الى المنفى في ١٦ كانون ثاني ١٩٧٩ واليهود يجلسون في ايران على فوهة بركان . فبعد اعدام حبيب الكتبان في ٩ أيار ١٩٧٩ ، قدم عدد من اليهود الى المحكمة بتهمة التعاون مع الشاه وتجميع ثروات على حساب الشعب الايراني . ومنع عدد كبير من اليهود من مغادرة ايران ، كما اعتقل عدد كبير منهم بحجج متنوعة . وفي مقابلة مع راديو بون في ٢٠ أيار ١٩٧٩ ، وصف نائب وزير الداخلية الايراني الدكتور طبطبائي «اسرائيل» بأنها سرطان في جسم العالم الاسلامي . وفي بداية شهر ايار ١٩٧٩ ، نشرت صحيفة «اوميد ايران» مقالا طويلا اتهمت فيه «الموساد» الاسرائيلي بالتعاون مع مؤسسة «السفاك» .

وفي خطاب القاه الخميني بمناسبة يوم فلسطين في ١٥ ايار دعا الى اغراق «اسرائيل» في الماء وقال : لو ان كل مسلم يصب دلوا من الماء على « دولة اسرائيل » لاختفت هذه الدولة من الوجود .

على كل حال ، لم يجد يهود ايران نفعا من تنكرهم للصهيونية ، فالاعتقالات لا تزال مستمرة بينهم ، والتعصب الديني والقومي الايرانيان يهددان حياتهم . وعلى الرغم من حقيقة كون يهود ايران قد اعتادوا على المعاناة والملاحقة ، فان الشعور يزداد لدى العالم اليهودي بأنه عاجلا ام آجلا سيأخذ هؤلاء اليهود زمام الامور ، وينهون بذلك « الفصل اليهودي » في تاريخ ايران .



« سجادة اسرائيلية »
بسطت في كردستان

أدت الثورة الداخلية في ايران وارتقاء الخميني الى السلطة ، الى استئناف الصراع الكردي من أجل الحصول على « حكم ذاتي » وكيان سياسي محدود داخل كردستان . وخلافا لما كان عليه الوضع ابان عهد الشاه . حيث كانت «اسرائيل» والولايات المتحدة تدعم ثورة المــلا مصطفى البرزاني ، فقد اصبحت الثورة الكردية تعم ايران نفسها . وبمساعدة ضباط ايرانيين من اصل كردي ، اضرمت العراق نار الثورة في كردستان الايرانية وفي المناطق القريبة من حدودها الشمالية بينما عززت العراق علاقاتها مع السعودية وامارات الخليج العربي ، بهدف تجميد نشاط المؤسسات الشيعية في تلك البلدان . ولا زال الجهد العراقي في هذا المجال يحقق نجاحا حتى الان وعلى الرغم من ان رجال الخميني قد قمعوا الثورة الكردية باستخدام القوة ، الا انه لا تزال توجد في ايران حركات كردية سرية تعمل في « حرب استنزاف مزعجة » من شأنها اقلاق راحة السلطة المركزية في طهران . كما ان انهيار الجيش العراقي وانسحابه من المناطق المسكونة من قبل الاكراد ، خلق ممرا حرا الى جانبي الحدود مع العراق ، واستغل نظام البعث العراقي هذا الوضع بصورة جيدة . وهكذا تريد العراق الانتقام من ايران على المساعدة التي كانت تقدمها للمتمردين الاكراد في شمال العراق .

في ضوء هذا التطور ، جددت ايران ايضا دعمها للاكراد العراقيين . ففي اجتماع سري جرى في مهرباد عاصمة الاكراد في ايران ، انتخب مسعود برزاني أحد أبناء المــلا مصطفى البرزاني رئيسا جديدا « للحزب الديمقراطي الكردي » ، الذي شكله والده ثم انهار في أعقاب قمع الثورة في آذار ١٩٧٥ . وكان مسعود يقيم في المنفى في الولايات المتحدة . وكان بجانب سرير والده عندما توفي في مستشفى اميركي من مرض خبيث في ولاية فرجينيا . ولم يتذوق المــلا مصطفى البرزاني طعم الاستقلال الذي ظل

يسعى اليه طيلة اكثر من خمسين عاما . وها هم ابناؤه يريدون الان الاستمرار في طريقه لتحقيق اهدافه . لذلك طلب مسعود فور الاطاحة بالشاه التوجه الى ايران ، وعندما كان في طريقه الى الشرق الاوسط توقف في فيينا للاجتماع بعدد من الشباب الاكراد الذين قاتلوا في الماضي في صفوف جيش « الفاش مرجا » ، الذي نظمه الملا مصطفى البرزاني لمحاربة الجيش العراقي . وبلغ ذلك الرئيس العراقي صدام حسين مما دفعه الى ارسال عملاء عراقيين الى فيينا حيث حاولوا اغتيال مسعود الا انهم فشلوا في ذلك .

اما الآن وبعد انتخابه زعيما للحزب الديمقراطي الكردي . فقد تسلل مسعود على راس بضع مئات من المقاتلين الاكراد عبر الحدود الايرانية الى منطقة كردستان العراقية مزودين باسلحة سوفياتية وغربية وكان مجرد اجتيازهم الحدود يعتبر مخالفة خطيرة ، اذ انه منذ قمع الثورة الكردية في آذار ١٩٧٥ ، اخلي معظم القرى الكردية من منطقة الحدود العراقية — الايرانية واصبح كل من يتواجد في المنطقة بدون اذن رسمي يعرض نفسه للموت .

لم يكن مسعود وحده في الصراع ، فشقيقه ادريس ايضا الذي حاول عملاء عراقيون اغتياله ، يتجول في العواصم الاوروبية محاولا تجميع مؤيدي والده من جديد. وواحد فقط من ابناء مصطفى البرزاني الاربعة هو عبدالله الذي سبق ان اشغل منصب وزير في الحكومة العراقية ، كان قد فر من صفوف جيش والده « فاش مرجا » وتنكر للقومية الكردية . ان البرزانيين يختلفون عن بقية أكراد العراق ذلك بأنهم لا يزالون يعتمدون على ايران على الرغم من «خيانة» الشاه لهم . بينما تعلم الآخرون الدرس، وهم يفتشون الان عن سند آخر . فمثلا ، جلال طلباني ، الذي كان محررا لصحيفة كردية ومن ثم قائدا لقطاع الثورة الجنوبي بالقرب من السليمانية ، اقام «الاتحاد القومي الكردي » ويحاول الان بمساعدة دمشق تزعم الحركة الوطنية الكردية وطلباني البالغ من العمر ٤٦ سنة ، معروف بأنه رجل قدير لكنه كثير التقلب . وكان قد انضم في السابق الى معسكر البرزاني وكلف من طرفه بعدة مهام في القاهرة ودمشق والجزائر وبحكم وظيفته تلك اجتمع طلباني مع رؤساء الدول الثلاث ، جمال عبدالناصر وامين الحافظ واحمد بن بيلا ، محاولا الحصول على دعمهم لطموحات الاكراد القومية . لكنه كون طلباني كان ينتمي الى الحركات اليسارية ، فقد اتضح ان الحلف بين المثقفين اليساريين وبين القبائل الكردية المحافظة لا يمكن تحقيقه ، مما ادى الى انهيار لتعاون بين الطرفين . ومارس طلباني وزملاؤه ضغطا كبيرا على البرزاني لتغير سياسته ، ومارسوا صراعهم في اطار القومية العربية . لذلك تنكر طلباني للبرزاني، واخذ يدعو الى ايجاد تسوية مع العراق ، وعارض التعاون بين الاكراد وايران والولايات المتحدة . لكن طلباني تحول الان بعد وفاة البرزاني الى شخص متطرف جدا في أفكاره القومية ويبذل جهودا كبيرة لتحقيقها . ويتلقى طلباني بالاضافة الى

المساعدة السورية ، مساعدة من الشيوعيين العراقيين والشيوعيين الاكراد الذين اتحدوا في اطار « المنظمة الماركسية ــ اللينينية الكردستانية » .

وتهدف سوريا من وراء مساعدتها لطلباني الانتقام من العراق على مساعدته حركة الاخوان المسلمين في سوريا . وتسعى بواسطة طلباني وزملائه الى زعزعة الاستقرار الداخلي في بغداد . ومع ذلك حرصت سوريا حتى الان على عدم الذهاب بعيدا في هذه المساعدة . فالاســد منح الحرية بالفعل لطلباني وزملائه ويسمح له بالدعوة الى تطبيق « الحكم الذاتي » للاكراد في العراق . لكنه يعالج مشاكل الاكراد في سوريا بقسوة . فقد تم اخلاء قرى كردية بكاملها من منطقة اقليم الجزيرة بالقرب من الحدود مع العراق ، وفرضت رقابة مشددة على ذكر القومية الكردية كشخصية منفصلة عن القومية السورية .

ادى استئناف النشاط السري في كردستان ، ولو انه بصورة محدودة ، الى تحول في موقف الدولتين الاعظم من الحركة القومية الكردية . فاذا كان البرزاني قد اعتمد في الماضي على الولايات المتحدة فقط ، فها هو الاتحاد السوفياتي يقف الان وراء حركة طلباني ويساعد الشيوعيين الاكراد في صراعهم من اجل الحصول على « حكم ذاتي » في شمال العراق . ويأتي ذلك في اطار رغبة الاتحاد السوفياتي في دق اسفين قوي في منطقة الخليج العربي . كما يشكل نوعا من التحذير لنظام البعث العراقي لئلا يبعد كثيرا في تقاربه مع العربية السعودية والدول الاخرى الموالية للغرب ، على حساب علاقاته التقليدية مع موسكو .

ان النشاطات السرية الكردية تحمل اليوم طابعا يختلف عن تلك الثورة التي سبق أن حدثت في شمال العراق . ففي عهد مصطفى البرزاني كان الاكراد يعملون ضمن اطار شبه منظم وكانت قوات « فاش مرجا » تعتبر نواة لجيش « الحكم الذاتي » ، لكن وحدات مسعود البرزاني وجلال الطلباني تعمل الان في اطر صغيرة جدا وحسب اسلوب عمل المنظمات الفلسطينية والحركات السرية العالمية . فهي تقوم بزراعة الغام ونصب كمائن ووضع عبوات تخريبية ولا يتجاوز عدد الوحدة ١٥ رجلا . لذلك فهذه الوحدات الصغيرة ترغم الجيش العراقي على تجميد عدة الوية في منطقة الحدود الايرانية وتشوش اعمال التدريب في الجيش العراقي .

لم تكن الحركة السرية الكردية سوى امتداد للثورة الكبرى في تاريخ الشعب الكردي التي استمرت من عام ١٩٦١ ــ ١٩٧٥ . فعلى الرغم من القيود التي تواجه الحركة الكردية حاليا ، يمكننا تقديم « ملخص اولي » لاربع عشرة سنة من الثورة الكردية التي كانت متورطة فيها الدولتان العظميان وبعض دول الشرق الاوسط بما فيها «اسرائيل» التي كان الطابع «الانساني» يغلب على طبيعة المساعدة التي تقدمها للاكــراد .

يدعي الاكراد انهم ينحدرون من اصل فارسي ، وينتمون الى العنصر الهندي ــ الاوروبي . كما ان لغتهم اقرب الى الفارسية منها الى العربية او التركية . وحارب آباؤهم في جيش دريوش ، وهزموا من قبل الاسكندر المكدوني . وكان السلجوقيون هم أول من اطلق اسم كردستان على الاقليم الذي اقاموه في المنطقة بين اذربيجان في الشمال ، وكرمنشاه في الجنوب ، ومسوفودوميا في الغرب وهمدان في الشرق . وبعد الاحتلال الاسلامي في عام ٦٤٠م تحول الاكراد في تركيا والعراق الى سنيين في حين اصبح اكراد ايران شافعيين . وفي عهد الخلفاء الامويين كان الاكراد يتمتعون بقدر كبير من الاستقلال ، كما ساهموا بقسط كبير في الفتوحات الاسلامية . وفي عصر الخلفاء العباسيين كانت هنالك ٤٨ مملكة كردية كانت تخضع للخلفاء المسلمين بالطبع. وكانت تدفع الضريبة الشخصية المتبعة في تلك الفترة . وكان من أبرز زعماء الاكراد في العصور الوسطى ، صلاح الدين الايوبي الذي هزم الصليبيين في معركة حطين . في عام ١١٨٧م ومهد بذلك الطريق لاحتلال القدس .

أدى غزو السلاجقة والمغول الى تدمير القرى الكردية . لكن قوة العزيمة التى يتصف بها هذا الشعب كانت دائما تؤدى الى اعادة بناء القرى المدمرة .

يبلغ عدد الشعب الكردي حاليا ١٣ مليون نسمة موزعا بين خمس دول : تركيا (٥ ملايين) ايران (٥ ملايين) العراق (٥ر٢ مليون) سوريا (٣٠٠ الف) الاتحاد السوفياتي (٢٠٠ الف) وعلى الرغم من وجود تجمعات كردية كبيرة في ايران وتركيا . لم تسمح هاتان الدولتان بنمو حركة قومية كردية في اراضيهما . ولاسباب دولية مختلفة برزت الرغبة في تحقيق هوية كردية مستقلة في العراق فقط .

مع انتهاء الحرب العالمية الاولى ، كان الاكراد في شمال العراق يعانون من اربعة عناصر رئيسية هي :

- احتلال المنطقة التي كانوا يسكنونها من قبل البريطانيين ، الذين كانوا يسعون الى تثبيت سيطرتهم على منابع النفط في منطقة كركوك .
- مطالبة تركيا الدائمة بابقاء اقليم الموصل تحت سيادتها .
- كانت الحدود العراقية التركية لم تحدد بعد .
- كان الاكراد يعتبرون انفسهم جزءا من تركيا . كونهم مسلمين سنيين وفضلوا التضامن مع السلطان الذي كان بمثابة خليفة ايضا على تضامنهم مع اي حاكم علماني آخر .

كان البريطانيون على اطلاع بهذا الواقع ، لذلك كانت معالجتهم للمشكلة الكردية تختلط فيها اعتبارات استراتيجية ، وتصرفات واقعية . ففي نهاية عام ١٩١٨ اقترح

شريف باشا وهو دبلوماسي تركي من أصل كردي في مؤتمر السلام في باريس اقامة دولة كردية مستقلة في الاقاليم الكردية في كل من تركيا والعراق . لكنه خوفا من امكانية اتحاد الدولة الكردية مع تركيا وبذلك سيعرض وجود العراق للخطر ، احبط البريطانيون هذا الاقتراح . لكنه عندما اجتمع رؤساء القبائل بزعامة الشيخ محمود السليمانية وطالبوا بمنح الاكراد حكما ذاتيا في شمال العراق . كان البريطانيون يميلون الى قبول هذا الاقتراح . ففي رسالة الى ارنولد ويلسون المندوب السامي بالوكالة ، كتبت وزارة الخارجية البريطانية في ١٠ ايار ١٩١٩ ما يلي : « نحن نوافق على تقسيم العراق اداريا الى خمسة اقاليم وعليك البدء في تنظيم الاقليم العربي في الموصل الذي سيتمتع فيه الاكراد (بحكم ذاتي) تحت اشراف بريطاني » .

بموجب معاهدة سافر في ١ آب ١٩٢٠ ، التي انهت الحرب بين الحلفاء وبين تركيا ، حظيت فكرة منح الاكراد « حكما ذاتيا » باعتراف دولي ايضا . وبعد ذلك بعامين اي في ٢٤ كانون اول ١٩٢٢ اعترفت حكومتا بريطانيا والعراق بحق الاكراد في الحكم الذاتي ، لكن الغاء الخلافة في تركيا وتشكيل جمهورية برئاسة اتاتورك في تركيا ادى الى تغير الوضع تماما .

انطلاقا من اعتراف بريطانيا بأهمية النفط في منطقة كركوك ، فضلت ممارســـة اشراف مباشر عليه عن طريق الحكومة العراقية ، وليس اشرافا غير مباشر بواسطة « الحكم الاداري الذاتي » الكردي . وفي اعقاب التوقيع على معاهدة لوزان في ٢٣ تموز ١٩٢٣ ، اعترفت تركيا بضم اقليم الموصل الى الملكة العراقية برئاسة الامير فيصل وكان ملك العراق النجل الثاني للشريف حسين الذي طرد من سوريا في ايار١٩٢٠ على ايدي سلطات الانتداب الفرنسي . واتضح فيما بعد ان الملك فيصل فضل ان يحذو حذو تركيا وايران ، ويقمع اية بوادر لنهضة قومية كردية في بلاده . كرد على ذلك حدثت عدة محاولات كردية للثورة لكنها كانت تقمع بوحشية على ايدي الجيش العراقي بمساعدة الجيش البريطاني .

على الرغم من ان الثورات الكردية كانت تتم على ايدي رؤساء القبائل ، الا ان الثورة الكبرى والرئيسية كانت ترتبط جميعها باسم المـــلا مصطفى البرزاني . اذ ان البرزاني كان قد دخل السجن التركي مع والدته وهو في سن ١٨ شهرا فقط كما اعدم والده وجده وشقيقه الاكبر على ايدي الحكومة التركية . وقد عمل مصطفى البرزاني في طفولته وشبابه في رعي الاغنام وصيد الدببة وقراءة القرآن . وفي عام ١٩٣٢ انضم مصطفى الى شقيقه الشيخ احمد في تنظيم ثورة كبرى ، لكنهما هزما من قبل قوة عراقية كانت تتألف من عدة الوية تساندها الطائرات ، وفرت أسرة برزاني الى تركيا . ولكن بعد طلب عراقي أعيد جميع أفراد أسرة برزاني الى العراق ونفوا الى منطقة السليمانية . وفي عام ١٩٤٣ هرب مصطفى من السليمانية عائدا الى مسقط رأسه برزان ، حيث كانت عائلته تتمتع هناك بصفة زعامة ، طيلة ١٢٠٠ عام . وقام

بمساعدة خمسة رجال وثمانية بنادق بالهجوم على محطة حدود وسلب افراد الشرطة اسلحتهم حيث اصبح بعد ذلك مشهورا كرجل مقاتل وجرىء ويتضح الآن انه لولا مصطفى البرزاني لم تكن الحركة الكردية قادرة على تحقيق ما حققته حتى الآن .

بدأ نشاط البرزاني المستقل بعد وقت قصير من قمع التمرد الفاشل الذي تزعمه رشيد علي الكيلاني والحاج امين الحسين مفتي القدس . وخشية تشويش جهودهم الحربية ، نصح البريطانيون رئيس حكومة العراق نوري السعيد بالاصغاء الى المطالب الكردية . وفي المقابل دعا البريطانيون الملا مصطفى البرزاني الى وقف ثورته. في تلك المرحلة تكونت لدى الاكراد قاعدة سياسية ، احتلت فيها النظرة القومية مكانا رئيسيا . حيث انضم عدد من المثقفين وموظفي الحكومة الاكراد الى حركة الملا مصطفى واقاموا حزب «هيفا الامل» وزود الحزب الملا مصطفى البرزاني بالوسائل اللازمة اعلاميا لثورته ، وكان بمثابة حلقة اتصال للمفاوضات مع الحكومة المركزية في بغداد ، وساعد على بلورة «ايديولوجيا» كردية .

في أيار ١٩٤٤ ، قدم البرزاني باسم حزبه المطالب التالية الى حكومة العراق :

- اقامة اقليم كردي يضم كركوك « السليمانية ؛ اربيل » خانقين .
- تعيين وزير للشؤون الكردية في الحكومة العراقية .
- تعيين مساعدي وزراء من الاكراد في كل وزارة عراقية .
- منح الاقليم الكردي « حكما ذاتيا » يشمل الشؤون الثقافية والتجارية والزراعية .
- اعادة تحديد نسبة الاكراد الذين سيخدمون في صفوف الجيش العراقي .

لكن هذه المطالب رفضت نهائيا . وفي آب ١٩٤٥ استأنف البرزاني ثورته لكنها قمعت هذه المرة بسرعة . وهرب البرزاني وجماعته الى مهاباد في شمال ايران وبمساعدة الاتحاد السوفياتي اقام هناك (الجمهورية الكردية) وحصل البرزاني على لقب جنرال على الرغم من انه لم يسبق ان خدم في الجيش السوفياتي او تدرب عسكريا في الاتحاد السوفياتي ، وشكل البرزاني وهو في المنفى في ١٦ آب ١٩٤٦ « الحزب الديمقراطي الكردي » ، لكي يحصل عن طريقه على دعم وتأييد لنضاله . لكنه نتيجة لضغط دول الحلفاء انسحب الاتحاد السوفياتي من شمال ايران ، وبانسحابه قضي على « الجبهة الكردية » في مهاباد . وهرب البرزاني و ٤٠٠ من رجاله الى الاتحاد السوفياتي حيث بقوا في المنفى ١٢ سنة . وسكن في البداية في باكو ثم انتقل فيما بعد واستقر في طشقند ، حيث تعلم فيها اللغة الروسية والسياسة والاقتصاد والتاريخ العام .

في اعقاب الاطاحة بالنظام الملكي في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٨ واقامة جمهورية برئاسة الجنرال عبدالكريم قاسم ، قرر الملا مصطفى البرزاني العودة الى العراق.

كان عبدالكريم قاسم يميل في البداية الى الاستجابـــة لمطالب الاكراد . لكن المشاكل الداخلية صرفت انظاره عن معالجة المشكلة الكردية . فبايحاء من عبدالناصر، حاول الجنرال عبدالسلام عارف ورشيد علي الكيلاني القيام بانقلاب عسكري في العراق واستعان قاسم في القضاء على تلك الحالة بالشيوعيين . وفي ٥ آذار ١٩٥٩ ، حاولت الفرقة الثانية التي كانت ترابط في الموصل بقيادة الكولونيل شواف القيام بانقلاب وفي هذه المرة ساعد الاكراد في قمع المحاولة حتى ان رجال البرزاني قتلوا الكولونيل شواف . وبذلك مهدت الطريق من جديد لعودة البرزاني الى بغداد وفي نيسان ١٩٥٩ وضعت الحكومة السوفياتية طائرة خاصة تحت تصرف البرزاني ، وعاد الى العراق برفقة ستة من مساعديه . كما عاد الى العراق عن طريق البحر ايضا ٨٠٠ من افراد عائلة البرزاني . واستقبل عبدالكريم قاسم البرزاني استقبال الملوك ، واسكنه في منزل نوري السعيد، وكان يبدو ان عبدالكريم قاسم كان يعتبر البرزاني بمثابة « ضابط اتصال» مع موسكو . وبما ان الدستور العراقي كان يعترف صراحة بالحقوق القومية للاكراد، وبعد ان سلم عبدالكريم قاسم عددا من الشخصيات الكردية ، مناصب رفيعة في الحكومة حاول البرزاني عقد مؤتمر كردي في بغداد يشترك فيه ممثلون من ايران وتركيا والعراق . ووضعت هذه الفكرة عبدالكريم قاسم امام مشكلة محيرة . فمن جهة كان يخشى اطماع الرئيس المصري . واراد اشراك الاكراد في صراعه ضد الناصريين ، الذين كانوا يسعون الى ضم العراق الى الوحدة المصرية ـ السورية التي اقيمت في شباط ١٩٥٨ ، ومن جهة اخرى خشي عبدالكريم قاسم من ان يؤدي منح الاكراد «حكما ذاتيا» الى اقامة دولة مستقلة تسلب من العراق مناطق النفط الغنية ، وتتحول الى « لعبة سوفياتية » لذلك رفض قاسم فكرة المؤتمر الكردي . وعلق على ذلك البرزاني بقوله « ان قاسم اسوأ من نوري السعيد» . في تموز ١٩٦١ قدم برزاني الى قاسم رسالة تضمنت تفصيلا لطلباته المتعلقة باقامة « حكم ذاتي » واسع في شمال الاكراد وكانت مطالبه كما يلي :

- يتمتع الاكراد بحكم ذاتي واسع تتولى حكومة منبثقة عن ادارة « الحكم الذاتي » معالجة شؤون الثقافة والصحة والمواصلات والمشاكل الوظيفية .
- الاعتراف باللغة الكردية كلغة رسمية في اقليم «الحكم الذاتي» .
- تشكيل الجيش والشرطة في الاقليم من الاكراد .
- بقاء معالجة الشؤون الخارجية والامن والشؤون المالية من صلاحية الحكومـــة المركزية ، لكن يجب ان يكون نائب رئيس الحكومة ونائب رئيس هيئة الاركان العامة للجيش ونواب الوزراء من الاكراد .
- تخصيص قسم من عائدات النفط في كركوك لتطوير اقليم «الحكم الذاتي» الكردي. رفض قاسم هذه المطالب رفضا باتا . وعلى اثر ذلك جمع المـــلا مصطفى

حوالي ٧٠٠٠ مقاتل واستعد لاستئناف الثورة . في تلك الفترة تغيرت نظرة البرزاني تجاه الدول العظمى . ومن خلال اعتقاده بأهمية وجود الاكراد في المنطقة الفاصلة بين حدود الاتحاد السوفياتي ومصادر النفط في الخليج العربي ، توجه البرزاني الى الولايات المتحدة ، وطلب مساعدة اميركية في العمل من اجل تطبيق «الحكم الذاتي» للاكراد . وامتنعت الولايات المتحدة عن تقديم التزام بذلك ، لكنها اشارت الى ايران لمساعدة البرزاني . وقرر الشاه تزويد الاكراد بمعدات لاسلكي ، ومحطات ارسال ، وكميات من الاسلحة والذخيرة لكن اتصالاته مع البرزاني كانت في تلك الفترة لا تزال غير ملزمة . في المقابل حصل البرزاني على مساعدة اعلامية واسعة من جانب جمال عبدالناصر . ففي اعقاب احباط السوريين لمحاولة الانقلاب الشيوعية بزعامة خالد بكداش ورئيس هيئة الاركان الجنرال عفيف البزري ، قامت الوحدة* المصرية — السورية في اطار الجمهورية العربية المتحدة . وخلقت الوحدة توترا في العلاقات المصرية — السوفياتية ، وكانت السلطات السوفياتية مصرة على عدم انضمام العراق الى هذه الوحدة . لذلك في الوقت الذي كان الشيوعيون العراقيون يؤيدون قاسم ضد الناصرية كانت وسائل الاعلام المصرية والسورية تؤيد مطالب البرزاني في الحصول على «حكم اداري ذاتي» في شمال العراق .

في ايلول ١٩٦١ ، استأنف البرزاني ثورته من جديد وحظيت نشاطاته العسكرية بتغطية اعلامية واسعة من الاذاعة المصرية . وعلى الرغم من الخسائر الفادحة التي لحقت بالاكراد ، فقد استمروا في عملياتهم ضد الجيش العراقي وارغموه على تثبيت قوات عراقية كبيرة في منطقة المعارك .

ادى انفصال الوحدة بين مصر وسوريا في ايلول ١٩٦١ ، والخسائر الكبيرة التي لحقت بالثورة الكردية ، الى جعل البرزاني يفكر بوقف ثورته مؤقتا حتى يعيد تنظيم نفسه ويبحث عن حليف جديد . كما ان عبدالكريم قاسم كان مرغما ايضا على اعلان هدنة في صراعه ، ضد الاكراد . وفي محاولة لوقف النشاط السري المصري في بغداد ، قام قاسم بمغامرة نظاهرية محاولا الاستيلاء على الكويت . لكنه حتى يستطيع حشد قواته في البصرة تمهيدا لغزو الكويت ، كان مضطرا للمرور عبر الخطوط الكردية . وسمح البرزاني بمرور فرقة عراقية كاملة من المنطقة التي يسيطر عليها ، لكنه بعد وصول الفرقة الى البصرة قطع عليها الاتصال مع قاعدتها ، وبقيت محاصرة في البصرة حتى الاطاحة بنظام عبدالكريم قاسم في شباط ١٩٦٣ على ايدي عبدالسلام عارف .

واجه العدوان العراقي على الكويت مقاومة شديدة من قبل ايران ، وكان بداية المساعدة الايرانية للثوار الاكراد في شمال العراق . وعلى الرغم من معرفة الشاه بأن البرزاني ليس قادرا على الانتصار على العراق ، فقد كان يكفي بالنسبة لايران تكبيل ايدي النظام العراقي وتحديد حريته في العمل في منطقة الخليج الفارسي .

منذ تلك الفترة كانت قوات البرزاني تعمل بشكل شبه نظامي وكانت قاعدة البرزاني في حاج عمران ، لكنه كان ينقلها في كل ليلة الى قطعة اخرى وذلك لاسباب «امنيـــة» .

وبمساعدة الضباط وضباط الصف الذين فروا من الجيش العراقي بأسلحتهم ، شكل البرزاني قوات « فاش مرجا » بقيادة ضباط اطلق عليهم اسم « سار مرجا » وكان المقاتلون الاكراد يرتدون الزي الكردي التقليدي مع اشارة خاصة . وكان المقاتلون ينتظمون في حظائر تتألف من ١٠ اشخاص (دستا) وفصائل تعد ٥٠ رجلا (فـــل) وسرايا ١٥٠ رجلا (سارفل) وكتائب (لاك) والوية (سارلاك) ، وكل كتيبة كانت تتألف من ٣٠٠ رجل ، وكل لواء ٨٠٠ رجل . وكانت بحوزتهم اسلحة بريطانيـــة وايرانية وسوفياتية وامريكية وكانت الاسلحة السوفياتية اما غنيمة من الجيش العراقي ، أو اسلحة حوالي ٣٠٠٠ جندي عراقي من أصل كردي فروا من الجيش وانضموا الى معسكر البرزاني وكانت الاسلحة الايرانية عبارة عن انتاج محلي للبندقية الالمانية «برنو» ذات سبطانة طويلة . ومع الوقت حصل الاكراد على رشاشات ثقيلة وهاونات وبازوكا ومدافع ميدان خفيفة . وكانت قوات (فاش مرجا) في تلك الفترة تتألف من حوالي ١٢ الف مقاتل كانوا منتظمين في ١٤ لواء وكانت القوة تتألف بشكل رئيسي من الفلاحين والعمال ، كما انضم اليها مع مرور الوقت الطلاب الجامعيون وعدد كبير من المثقفين . وكان المقاتل الكردي يتمتع بكفاءة عالية ومرونة ويتحلى بالصبر ، وكان المقاتل الكردي يظهر قدرة فائقة على القنص الامر الذي جعله يتفوق على الجندي العراقي المتوسط .

كان الحاكم الجديد للعراق عبدالسلام عارف على علم بقوة الاكراد ، لذلك حتى يتمكن من ترسيخ نظامه في العراق ، بدأ باجراء مفاوضات مع البرزاني بشأن منح الاكراد « حكما ذاتيا » في شمال العراق . وكان ممثل البرزاني في المفاوضات جلال طلباني ، الذي كان يطمح ان يكون « الحكم الذاتي » الكردي مماثلا « للحكم الذاتي » المطبق في اقاليم مختلفة في نيجيريا والهند . لكنه في تلك الفترة ، حدث انقلاب بعثي في دمشق في ٨ نيسان ١٩٦٣ ، واصبحت سوريا والعراق تحكمان بأيدي حزب البعث . وخلال وقت قصير بدأت سوريا والعراق ومصر التفاوض من اجل الوحدة بينها ، ودفعت قضية الحكم الذاتي الكردي الى الزاوية من جديد . ولكي يمنع البرزاني حدوث جمود في المفاوضات ارسل طلباني الى القاهرة لاجراء محادثات مع عبدالناصر لكن عبدالناصر بدلا من دعمه للاكراد كالعادة ، فاجأهم هذه المرة بتحذيرهم من محاولة الانفصال وقال ان مصر لن توافق ابدا على خلق فلسطين كردية ثانية في قلب العراق. ونفذت في العراق خلال ٩ شهور مذابح وعمليات ارهابية على ايدي السلطة الجديدة. فقد كانت تشكل محاكم صورية ضد الشخصيات العراقية تحت اشراف احمد حسن البكر رئيس الحكومة ، والجنرال صالح مهدي عماش وزير الدفاع والجنرال حردان

التكريتي قائد سلاح الجو ، لكنه على الرغم من ذلك واصل الاكراد استعدادهم لاستئناف الثورة . وكان البرزاني يؤكد دائما رغبته في التعاون مع اميركا وكان يقول انه ما دامت الاحزاب الشيوعية العربية تعمل من اجل مصالح السوفيات في الشرق الاوسط يستطيع الاكراد المساعدة في حماية المصالح الاميركية في منطقة الخليج العربي.

في حزيران ١٩٦٣ ، توقفت المفاوضات حول انشاء اتحاد فيدرالي بين مصر وسوريا والعراق ، وزاد التوتر بين القاهرة وبغداد واستؤنف الصراع ضد الاكراد من جديد . عندها عادت اذاعة القاهرة لتأييد الاكراد في الحصول على « حكم ذاتي » ، وفي أعقاب اعلان الوحدة الفيدرالية بين سوريا والعراق ، ارسل البعث السوري لواء مؤلفا من ٥٠٠٠ جندي لمساعدة الجيش العراقي في حربه ضد الاكراد . وقال الجنرال صالح مهدي عماش وزير الدفاع العراقي للمراسلين ان الحرب ضد البرزاني ستكون عبارة عن نز .ة قصيرة ، وانني اتعهد بانهاء المعارك مع الاكراد في غضون اسبوع واحد. لكن المساعدة السورية لم تجد نفعا . فقد حقق الاكراد بعض النجاح المحلي ، وقطعوا خطوط التموين للجيش العراقي وطوقوا بعض وحداته ، كما اسقطوا عددا من طائرات الهيلوكبتر والطائرات الحربية العراقية .

ادى الفشل في شمال العراق الى زيادة التوتر الداخلي في بغداد . وفي ١٨ تشرين ثاني ١٩٦٣ ابعد عارف وزراء حزب البعث عن الحكم ، واصبح حاكما وحيدا في بلاده، واعاد عارف الوحدات السورية الى دمشق وبدأ يسعى من جديد للتقارب مع القاهرة. وبناء على نصيحة جمال عبدالناصر والرئيس الجزائري احمد بن بيلا ، اعلن عارف عن عزمه على بدء الحوار مع الاكراد . وفي اعقاب اعلان وقف اطلاق النار في ١٠ شباط ١٩٦٤ ، اعلنت العراق بأنه تم التوصل الى تسوية مؤقتة مع الاكراد ، وكانت التسوية عبارة عن وقف اطلاق نار دائم ولم تتحدث عن موضوع « الحكم الذاتي » وادت هذه التسوية الى خلق انقسام في الزعامة الكردية .

بعد اجراء اتصالات غير مثمرة مع جمال عبدالناصر بواسطة جلال الطلباني ، فضل البرزاني قبول التسوية المقترحة ، وادعى بأن عددا كبيرا من القرى الكردية قد دمرت تماما ، وان المقاتلين اصبحت تنقصهم الاسلحة والذخيرة . لذلك كان قبول وقف اطلاق النار امرا حيويا بنظره لاعادة التنظيم ومن ثم استئناف المعارك في المستقبل . بينما دعا طلباني الى الاستمرار في الحرب ، واتهم البرزاني بالتعاون مع حكومة عارف ، وبما ان جميع قادة قوات « فاش مرجا » هم من الموالين للبرزاني هرب طلباني الى ايران وانسحب من صفوف الموالين للمــلا مصطفى البرزاني . وحاول طلباني الحصول على مساعدة ايرانية ، غير ان الشاه فضل مواصلة تقديم المساعدة للبرزاني الذي كان يعتبره محافظا واقل تطرفا وثورية من المثقفين اليساريين من الشباب .

خلقت اتفاقية وقف اطلاق النار ، جوا مريحا لاستئناف مفاوضات « الحكم الذاتي » ، ففي تموز ١٩٦٤ قدم رئيس الحكومة الجنرال طاهر يحيى ورئيس الاركان العامة عبدالرحمن عارف الى مقر البرزاني في شمال العراق لاجراء محادثات معه . لكن المحادثات لم تؤد الى اية نتيجة . غير ان زيارة رئيس الحكومة العراقية ورئيس الاركان البرزاني في مقر قيادته ابرزت حقيقة كانت معروفة تقريبا ، وهي ان الاكراد اقاموا بالفعل حكما ذاتيا وغير معترف به رسميا في شمال العراق . واقام البرزاني في المناطق الخاضعة لسيطرته ادارة محلية ومحاكم وجهازا منظما لجباية الضرائب كما افتتح ٣٥٠ صفا لتعليم الاولاد الكبار .

في تلك الاثناء ، حدثت سلسلة من التطورات في المنطقة العربية ادت الى زيادة تعقيد الوضع . مؤتمر القمة العربي الذي عقد لبحث طرق استئناف الحرب ضد «اسرائيل» ، لم ينجح في وضع نهاية للصراع بين مصر وسوريا . والتدخل المصري في اليمن استنزف دم الجيش المصري ، وكبل ايدي جمال عبدالناصر في صراعه ضد «اسرائيل» ، بينما كانت ايدي عارف مكبلة ايضا في الحرب ضد الاكراد . كما ان تصريحات الرئيس التونسي الحبيب بورقيبه بشأن ضرورة الاعتراف «بدولة اسرائيل» احدثت ارتباكا في العالم العربي واثبتت على انه لا توجد لدى الدول العربية خطة مبلورة لحل النزاع العربي — الاسرائيلي . وادرك عبدالناصر وعارف انه اذا لم ينجحا في قمع الثورة الكردية بالقوة وانهاء التدخل المصري في اليمن ، لن يتمكنا من الانضمام الى الصراع العربي ضد «اسرائيل» وفي تموز ١٩٦٥ ، احتدمت المعارك من جديد بين قوات البرزاني والجيش العراقي ، لكن القوات الكردية تمكنت من الصمود .

خلقت تلك التطورات خلفية مناسبة لاجراء اتصالات بين الاكراد و«اسرائيل» .
في عهد اشور وبابل كان الاكراد قد ساعدوا ومنحوا ملجأ لليهود الذين جاؤوا الى جبال كردستان . ولم يلاحق اليهود وتمكنوا من المحافظة على دينهم ولغتهم «الارامية» الخاصة ، لغة التلمود . وفي العصر الجديد ، ساعد الاكراد ١٥ الف يهودي في كردستان في الهجرة الى «اسرائيل» عن طريق ايران لذلك عندما واجهت الاكراد ضائقة كان من الطبيعي ان تمد «اسرائيل» يد المساعدة لهم وتزودهم بالاسلحة والمدربين . وكان الدافع «لاسرائيل» هو رغبتها في ان تكون مركز المساعدة للاقليات القومية في الشرق الاوسط . وكان السبب في ذلك ينبع من نظرية سياسية ، هي ان الشرق الاوسط ليس منطقة عربية خالصة ، بل منطقة متعددة القوميات ، تشكل الامة العربية غالبية عظمى فيها . وهذه النظرية هي التي دفعت «اسرائيل» الى مساعدة الاقلية المسيحية في لبنان ، والقبائل المسيحية في جنوب السودان ، (حسب اقوال الصحف الاجنبية) . علاوة على كل ذلك ، كانت «لاسرائيل» مصلحة في مساعدة الاكراد عسكريا وانسانيا . فمنذ حرب عام ١٩٤٨ والعراق يظهر العداء للدولة اليهودية وكانت العراق الدولة الوحيدة من بين جميع الدول العربية التي حاربت «اسرائيل»

في ١٩٤٨ التي لم توقع على اتفاقية الهدنة مع «اسرائيل» . والتزم القادة العراقيون بوضع قواتهم العسكرية لمساعدة الدول العربية في حربها القادمة ضد «اسرائيل» ولاثبات هذه النوايا ، اقام عبدالكريم قاسم وحدات فلسطينية خاصة في نطاق الجيش العراقي . وقبل دخولهم الحرب وزع عليهم مداليات كتب عليها شعار « عائدون الى فلسطين » . لذلك كان من شأن المساعدة الاسرائيلية للاكراد اضعاف القوة العسكرية العراقية وتحديد قدرتها على مساعدة الدول العربية .

في حديث مع محرر صحيفة الاهرام القاهرية محمد حسنين هيكل ، قال عبيدالله برزاني النجل الاكبر للملا مصطفى البرزاني الذي تخلى عن والده في عام ١٩٧١ ، واشغل فيما بعد منصب وزير في الحكومة العراقية : « كان الضباط الاسرائيليون العاملون في كردستان على اتصال لاسلكي دائم مع «اسرائيل» ، وكانوا يعملون في مجال التجسس داخل العراق » .

بدات اتصالات «اسرائيل» مع الاكراد في عام ١٩٦٢ ، واتخذت في البداية طابع «الايضاحات الايديولوجية» . فقد توجه آنذاك نائب وزير الدفاع شمعون بيرس مندوبا عن حزب العمال الاسرائيلي (مباى) للاشتراك في المؤتمر الاشتراكي الدولي في جنيف والتقى هناك بعدد من زعماء الاكراد الشباب الذين اعربوا عن رغبتهم في الاستعانة «باسرائيل» في حربهم ضد العراق . وبعد ذلك اجتمع بيرس مع قمران على بدرخان ، احد زعماء الحركة الكردية ، الذي كان يتردد على السفارة الاسرائيلية هناك واجرى محادثات حول المصير المشترك للاكراد واليهود . كانت استجابة الاكراد الايجابية ليد «اسرائيل» الممدودة اليهم فورية . وعلى الرغم كون «اسرائيل» محاطة بالاعداء من ثلاث جهات . فقد كان وضع الاكراد اكثر صعوبة ، حيث كانوا معزولين من جميع الجهات . ولم يكن لديهم حتى ولو مطار واحد من اجل تسيير قطار جوي على سبيل المثال ، ولهذا كانوا يعيشون تحت رحمة ايران . وفي تلك الفترة كان الشاه معني بتقديم مساعدة اسرائيلية للملا مصطفى البرزاني ، واصبح اكثر قدرة على استنزاف قوة العراق في حرب طويلة في كردستان .

في كانون ثاني ١٩٧٣ ، قالت صحيفة «ناشيونال غويش مانتالي» الناطقة بلسان «منظمة بنيه بريت» في واشنطن ، ان «اسرائيل» ارسلت الى كردستان ضابطين احدهما مزارع والاخر مثقف ، وسريعا وجدا لغة مشتركة مع المقاتلين الاكراد . ودربا الاكراد على أعمال التخريب واستخدام الاسلحة المضادة للطائرات وزودوهم بكمية محدودة من الاسلحة الخفيفة .

من ضمن ما جاء في التوجيهات التي اعطيت للمدربين الاسرائيليين قبل توجههم الى كردستان « ان هدفنا مساعدة الشعب الكردي الذي يعاني الظلم من شعب عربي. وهدفنا ايضا تعريف العالم والشعوب المظلومة في الشرق الاوسط بأن هنالك من

يستطيعون الاعتماد عليه ، واسلوبنا واضح . وهو انه عندما يشعر الاكراد باننا اصبحنا نشكل عبئا على مصلحتهم القومية ، علينا المغادرة فورا . يجب ان نذكر بأن الاكراد شعب فقير ، وعليكم العيش معهم في مستوى حياتهم وعدم مطالبتهم فوق طاقتهم فهم مضيفون جيدون بشكل عام ، لكنهم لن يستطيعوا اعطاءكم اكثر من طاقتهم » .

كان المدربون والاطباء الاسرائيليون الذين يتوجهون الى كردستان يرتدون هناك الزي الكردي . وفي آب ١٩٦٥ عقدت اول دورة لضباط اكراد بتدريب اسرائيلي ، وعرفت تلك الدورة التي استغرقت حوالي ثلاثة اشهر باسم شيفرة «البساط» .

كان البرزاني يسيطر سيطرة كاملة على المنطقة التي كان يعيش فيها حوالي مليون كردي بينما كانت الحكومة العراقية تسيطر في الواقع على مدن الموصل وكركوك واربيل فقط ، بينما كان البرزاني يسيطر على جميع الطرق والمنطقة القروية والجبلية ، وكانت التدميرات في المنطقة الكردية نتيجة الحرب كبيرة . فقد دمرت الجسور من قبل طائرات سلاح الجو العراقي وقطعت المياه والكهرباء ، وابيدت المحاصيل الزراعية . وتعطلت الادارة المدنية نهائيا . وكان يوجد طبيب واحد فقط في كل منطقة كردستان الخاضعة للبرزاني ، وجميع المدارس والمستشفيات معطلة . لذلك فقد كان الملا مصطفى البرزاني بحاجة في تلك الفترة ليس فقط للمساعدة العسكرية ، بل لمساعدة انسانية ايضا .

ففي أعقاب الزيارتين السريتين اللتين قام بهما لطهران رئيس الحكومة الاسرائيلية ليفي اشكول في حزيران ١٩٦٦ ، ووزير الخارجية ابا ايبان في اواخر ١٩٦٦ ، قررت «اسرائيل» الاستجابة لطلبات زعيم الثوار الاكراد . لذلك كلف اشكول في نهاية ١٩٦٦ نائب وزير المالية الاسرائيلية اريبه الياف بالتوجه لمقابلة البرزاني في كردستان. وسافر برفقته ثلاثة اطباء : الدكتور اورى فرند ، والدكتور بيسح سيجل ، ودكتور الاسنان دوف ايتسكوفتس . وكان سفر طبيب الاسنان قد تم بناء على طلب البرزاني شخصيا ، حيث كان يعاني من آلام في اسنان . كما سافر برفقة الاطباء ايضا ثلاثة من افضل المرضين في «اسرائيل» . واصطحب الوفد الاسرائيلي معه الى كردستان مستشفى ميدان متطور كهدية من حكومة «اسرائيل» الى الثوار الاكراد .

لم يكن من الصعب التكهن عن سبب اختيار ليفي اشكول لعضو الكنيست اريبه الياف للقيام بهذه المهمة ، فقد سبق ان ترأس الياف المشروع الاسرائيلي لاعادة بناء اقليم كازفين بعد تدميره نتيجة لهزة ارضية قوية . واقام في اقليم كازفين طيلة سنتين كاملتين من ١٩٦٢ ــ ١٩٦٤ ، وكون علاقات وثيقة مع عدد كبير من المسؤولين الايرانيين . وكان من شأن تلك العلاقات مساعدته في الوصول الى كردستان العراقية. وبعد بضعة ايام وصل الوفد الاسرائيلي الى الحاج عمران في الطرف الشرقي لكردستان

العراقية . وبعد الاجتماع بضباط الاتصال التابعين للبرزاني ، تحرك الوفد على ظهور الخيول الى مقر البرزاني على قمة احد الجبال العاليـــة في المنطقة . وفي اليوم التالي استقبل البرزاني الوفد الاسرائيلي في خيمته . ويقول الياف عن مقابلته للبرزاني : « كان البرزاني يبدو في السبعين من عمره ، يرتدي الزي الكردي ، ويتمنطق بحزام مع خنجر معكوف على وسطه ومسدس . اما في الميدان فقد كان البرزاني يرتدي بذلة عسكرية بلون خاكي . وقد ترك المـــلا مصطفى انطباعا مؤثرا لدى الياف لن ينساه ابدا » .

دار الحديث بين البرزاني والياف باللغة الروسية ، وتركز بشكل رئيسي حول موضوع المساعدة الانسانية لكردستان الخاضعة للبرزاني . واثار البرزاني مشاكل الطب والوضع الغذائي وامكانيات تحسين الوضع الزراعي . واوضح البرزاني بأنه منذ استئناف المعارك مع العراقيين ومعظم المدارس مغلقة ، كما يوجد نقص في المدرسين والكتب الدراسية باللغة الكردية . وبعد ان نقل الياف تحيات حكومة «اسرائيل» الى البرزاني ، وعده بأن تفعل حكومة «اسرائيل» كل ما في وسعها لمساعدة الاكراد لكن يتوجب عليه مراعاة الصعوبات الجغرافية والسياسية التي تواجه مثل هذه العملية .

بعد ذلك ، خرج الياف بصحبة ادريس الابن الاصغر للبرزاني ، للقيام بجولة في انحاء كردستان بينما بقي الدكتور ايتسكوفتس لمعالجة اسنان المـــلا مصطفى البرزاني . وفي المقابل عمل الاطباء والمرضون الاسرائيليون على اقامة مستشفى في الحاج عمران . ولم تمض ثلاثة ايام حتى كان المستشفى جاهزا للعمل . وكان يضم ٣٠ سريرا داخل عدة خيام ، خصصت احداها لاجراء العمليات الجراحية ، ولما زار البرزاني المستشفى شاهد جماهير شعبه تتوافد على المستشفى الوحيد في كردستان لتلقي العلاج . ولم تمض ايام كثيرة حتى شاعت شهرة الاطباء الاسرائيليين في كردستان ومع الايام كان يجرى استبدال الطواقم الطبية الاسرائيلية مرة كل بضعة اشهر ، وكذلك الحال بالنسبة للمدربين والمستشارين العسكريين الاسرائيليين العاملين في كردســـتان .

بعد انتهاء مهمة اريبه الياف في كردستان ، اجتمع مرة ثانية مع المـــلا البرزاني . وقال له البرزاني : « ابلغ اشكول وجميع وزراء حكومة «اسرائيل» بأننا نحن الاكراد لن ننسى ابدا بأن اليهود كانوا هم الوحيدين في العالم الذين ساعدونا في ساعة المحنة » . ثم قدم سيفه هدية الى الياف كذلك سلمه هدية الى رئيس الكنيست كديش لوز ، هي عبارة عن حربة كردية .

جاءت زيارة الوفد الاسرائيلي الى كردستان ، في اعقاب سلسلة من التطورات الداخلية في العراق ، كان لها تأثير على وضع الثورة الكردية . ففي اذار ١٩٦٦ فشل الجيش العراقي في هجومه الشتوي ولم يتمكن من الاستيلاء على الطرق الجبلية على طول الحدود مع ايران التي كانت طرق تموين للثوار . في ضوء ذلك الفشل ، حاول رئيس الحكومة العراقية عبدالرحمن البزاز التوصل الى تسوية مع البرزاني . غير ان وزير الدفاع عبدالعزيز الفيصلي ، ورئيس هيئة الاركان العامة الجنرال عبدالرحمن عارف ، احبطا تلك المحاولـة .

في ١٤ نيسان قتل الرئيس العراقي في حادث طائرة ، وتسلم شقيقه عبدالرحمن عارف الرئاسة مكانه ، وبما ان الرئيس الجديد كان دائما يدعو الى استخدام الحل العسكري بالنسبة للمشكلة الكردية ، فقد امر هذه المرة جيشه بالاستعداد لهجوم جديد وحل قضية الاكراد نهائيا والى الابد . وفي أيار ١٩٦٦ ، بدأ الجيش العراقي هجوما واسع النطاق على معاقل الاكراد . واشترك في الهجوم ٤ فرق مشـاة وقوات جوية ومدرعة ومدفعية . وكان الهجوم يهدف الى تحقيق هدفين : اغلاق طرق التموين والامداد من ايران ، ومن ثم عزل جيوب المقاومة الكردية والقضاء عليها واحدة تلو الاخرى وقام سلاح الجو العراقي بقصف القرى الكردية بقنابل النابالم مما ارغم السكان على الاحتماء بالكهوف وشقوق الصخور . وارسل البرزاني رسائل استغاثـة لكل من الرئيس جونسون والرئيس ديغول والرئيس عبدالناصر . وادعى البرزاني بأنه توجد لديه وثائق تثبت بأن الجيش العراقي يخطط لاستخدام قنابل غازية سامة ضد الاكراد . وطلب من الامم المتحدة تكليف الصليب الاحمر الدولي التحقيق بالامر لكن الرئيس عارف رفض هذا الطلب .

في تلك الفترة كان يوجد الى جانب البرزاني عدد من المدربين الاسرائيليين ، وكان عدد من الاسرائيليين يقيم في قيادته عندما نجح في صد الهجوم العراقي الكبير . وفي يوم ١٥ حزيران اعترف البرزاني بأن الهجوم قد فشل وان الجيش العراقي لم يتمكن من الاستيلاء على « ممر هميلتون » الذي كانت تمر عبره الامدادات من ايران الى رواندوز ومن هناك الى اربيل . وبناء على ذلك ، اعلن البزاز قرار الحكومة العراقية بالاعتراف باللغة والتقاليد الكردية . وفي ٢٩ حزيران ١٩٦٦ اعلن البزاز مشروعا من ١٢ نقطة لحل القضية الكردية . في الواقع ، لم يلب المشروع الجديد كافة مطالب الاكراد . لكنه كان يتضمن تقدما كبيرا بالنسبة للماضي . وتضمن المشروع ما يلي :

- الاعتراف بالقومية الكردية . على ان يحدد ذلك بوضوح في دستور الدولة .
- تنفذ الحكومة خطة لجعل الحكم لامركزي ، بحيث نتمتع جميع الاقاليم بما فيها الاقليم الكردي بدرجة كبيرة من « الحكم الذاتي » .

- الاعتراف باللغة الكردية كلغة رسمية ثانية في المناطق التي يقطنها الاكراد ، وتدرس في المدارس .
- منح الاكراد تمثيلا برلمانيا حسب نسبة عددهم الى عدد السكان في البلاد .
- منح الاكراد تمثيلا نسبيا في الحكومة والجهاز الحكومي والقيادة العسكرية .
- تعمق جامعة بغداد البحث في الموضوع الكردي ، وتمنح بعثات البحث المتعلق بالاكراد للطلاب الاكراد .
- يعين موظفو الحكومة في الاقاليم الكردية من بين الاكراد انفسهم .
- يسمح للاكراد الانتظام السياسي واصدار صحف باللغة الكردية .
- تمنح الحكومة العراقية العفو العام عن الثوار ، وتسمح للموظفين ورجال الجيش بالعودة الى وظائفهم .
- تكون القوات الكردية خاضعة للجيش ويجب عليها تسليم اسلحتها الى الحكومة العراقية .
- اقامة سلطة حكومية لاعادة بناء الاقاليم الكردية واعطاء تعويضات للسكان الاكراد الذين دمرت بيوتهم او ابيدت محاصيلهم الزراعية .
- السماح للقرويين الاكراد الذين هربوا من قراهم نتيجة للقصف ، بالعودة الى اماكن سكناهم .

على الرغم من ان مشروع البزاز لم يلب كما ذكرنا ، جميع مطالب الاكراد الا ان البرزاني قرر قبوله . لكنه بسبب عدم الاستقرار الداخلي في بغداد وعدم الثقة بنوايا النظام ، لم يسارع البرزاني في حل وحدات « الفاش مرجا » وتجريدها من أسلحتها . وبرز خلال الاتصالات بين الطرفين ان عدم الثقة لا زال موجودا بين الطرفين .

لم يمض وقت طويل حتى اتضح ان الحذر الذي كان يبديه البرزاني خلال اتصالاته مع المسؤولين والرئيس العراقي عبدالرحمن عارف ، كان حكيما . ففي آب ١٩٦٦ ، عزل عارف البزاز من رئاسة الحكومة وعين بدلا منه ناجي طالب . لم يكن عزل البزاز يتعلق بالمفاوضات مع الاكراد ، بل كان نابعا من رغبة البزاز في فرض سلطة الحكم المدني على القوات العسكرية . وادى عزل البزاز الى زيادة شكوك البرزاني في نوايا الرئيس عارف ، مما اوقف محادثات «الحكم الذاتي» للاكراد . وحاول البرزاني مرة ثانية طلب مساعدة الرئيس جمال عبدالناصر ، وفي مقابلة مع مراسل صحيفة اخبار اليوم القاهرية في ٣٠ تشرين اول ١٩٦٦ ، قال البرزاني «جمال عبدالناصر هو شقيقنا الاكبر فلماذا لا يهب الى مساعدتنا ؟ » .

اثار الجمود الذي ساد الوضع خلافات علنية بين عارف ورئيس حكومته ففي ١ تشرين ثاني ١٩٦٦ قام الرئيس عارف بجولة في شمال العراق زار خلالها قيادة البرزاني ، وذلك للاعراب عن تحفظ الرئيس من سياسة ناجي طالب ، وكانت تلك اول مرة يزور فيها رئيس عراقي قيادة الثوار وفسر ذلك من قبل رئاسة الاركان العامة للجيش العراقي بأن هذه الخطوة تعتبر اعترافا عراقيا «بالحكم الذاتي» لكردستان وتعهد عارف للبرزاني في تنفيذ مشروع البزاز ، وحل الوحدات الكردية التي نظمت في اطار « فرسان صلاح الدين » ، واعادة اللاجئين الاكراد الى اماكن سكناهم . وادت تعهدات الرئيس عارف تلك الى نشوء خلافات بينه وبين رئيس حكومته وقيادة الجيش . وخشية الاطاحة به بانقلاب عسكري ، جمد الرئيس عارف تنفيذ تعهداته للبرزاني ، وتوقفت المحادثات بين الطرفين مرة ثانية . وفي نيسان ١٩٦٧ حاول البرزاني ، مرة اخرى التوصل الى تفاهم مع الرئيس عارف ، حيث ارسل ولده مسعود الى بغداد لاجراء مفاوضات حول تطبيق مشروع البزاز ، وذلك في محاولة لمنع وقوع هجوم عراقي ضد الاكراد في فصل الربيع : غير ان السلطات العراقية لم تستجب لمطالب البرزاني .

في تلك الاثناء طرات في الشرق الاوسط تطورات دراماتيكية صرفت الانظار عن المشكلة الكردية ففي اعقاب سلسلة طويلة من حوادث اطلاق النار على خطوط الهدنة مع سوريا ، حشدت مصر قوات عسكرية على حدودها مع «اسرائيل» وامرت بسحب قوات الامم المتحدة من سيناء وفي ٢٣ ايار ١٩٦٧ اعلن جمال عبدالناصر اغلاق مضايق تيران وفرض الحصار على ميناء ايلات . وفي نهاية شهر ايار انضم الملك حسين ملك الاردن الى القيادة المصرية ـــ السورية المشتركة ، وزاد ذلك في خطر اندلاع الحرب في المنطقة . كما اعلنت العراق تضامنها مع مصر وسوريا ، واخذت تستعد للحرب . وارغمت هذه التطورات الرئيس عارف على وقف العمليات ضد الاكراد ، وفي ٣ حزيران ارسل عارف نائب رئيس الاركان العراقي الى قيادة البرزاني وطلب من زعيم الاكراد اظهار تضامنه مع العرب وارسال وحداته للحرب ضد «اسرائيل» لكن البرزاني رفض هذا الطلب رفضا باتا . وفي مقابلة مع اريك رولو مراسل صحيفة لاموند في ١٢ تشرين اول ١٩٦٨ كشف البرزاني التفاصيل التالية عن محادثاته مع نائب رئيس الاركان العراقي ، « قلت له : ان افضل طريق لمنع وقوع حرب جديدة في الشرق الاوسط هي اقناع عبدالناصر بسحب قواته من سيناء وفتح مضايق تيران للملاحة الاسرائيلية الحرة وحذرته بانه اذا لم يفعل ذلك ، فسوف تلحق بالجيوش العربية هزيمة ساحقة على ايدي الجيش الاسرائيلي . وسخر الضابط العراقي مني ، وقال انه يجب عدم التشكيك في قدرة العرب على الانتصار في الحرب . وطلب مني ارسال مقاتلين اكراد لمحاربة «اسرائيل» ورفضت طلبه قائلا له : ها أنتم تقاتلونني منذ ست سنوات وتحاولون ابادة شعبي فكيف تريدون الآن مساعدتي ، كلا ، ليس لكم الحق في طلب هذا مني » .

على كل حال - ابلغت «اسرائيل» في حينه - بفحوى الاقتراح العراقي وجواب الملا مصطفى البرزاني عليه .

أدت خسارة الجيش العراقي في حرب ١٩٦٧ - والضربة التى انزلت بالجيش العراقي في تلك الحرب ، الى تحسن فوري في وضع الاكراد - وخلافا لبقية دول المواجهة العربية - رفضت العراق قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ وعارضت مهمة «السلام» للسفير غونار يارينغ ، واحتفظت في الاردن بقوات تقدر بـ ٢٠ الف جندي لاستخدامهم في حالة استئناف الحرب ضد «اسرائيل» . في تلك الظروف كان من الطبيعي ان تعتبر «اسرائيل» العراق عدوا حقيقيا - يجب عمل اى شيء لاضعافه .

جاء في تقرير لجنة التحقيق التابعة لمجلس النواب الاميركى برئاسة العضو الديمقراطي اونيس بيك ، انه بناء على وثائق لدى وكالة الاستخبارات الاميركية نقلت «اسرائيل» الى الاكراد عن طريق ايران اسلحة ومعدات عسكرية سوفياتية غنمتها من جيشي مصر وسوريا .

وبعد هروب عبيدالله برزاني من صفوف والده في ربيع عام ١٩٧١ واشغاله منصب وزير في الحكومة العراقية ، قال ان الملا مصطفى البرزاني زار «اسرائيل» غداة حرب ١٩٦٧ برفقة شقيقه ادريس ومسعود وفي مقابلة مع اذاعة بغداد ، قال جلال طلباني ان الملا مصطفى البرزاني وولدين اقاما في فيلا في تل ابيب . وفي مقابلة مع مراسل صحيفة الرسالة الكويتية في نيسان ١٩٧٥ قال عبيدالله انه شاهد بأم عينيه ضباطا اسرائيليين وهم يدربون جنود البرزاني ويوزعون عليهم الاسلحة ويخططون لهم العمليات وقال ان والده كان يعتمد كليا على «اسرائيل» .

اجتمع البرزاني خلال زيارته «لاسرائيل» في ايلول ١٩٦٧ ، مع رئيس الحكومة ليفي اشكول ووزير الخارجية ابا ايبان ، ووزير الدفاع موشه دايان وشمعون بيرس وجولدا مئير ومناحيم بيغن وعدد من قادة الجيش الاسرائيلي ، واعرب عن اعجابه بشخصية الضباط الاسرائيليين الشباب الذين استطاعوا هزم جيوش عربية في ستة ايام .

في أيلول ١٩٧٣ وصل البرزاني الى «اسرائيل» في زيارة ثانية . واجتمع خلال زيارته مع دانيد جباى في طبريا وهو من وجهاء الطائفة الكردية في «اسرائيل» وكان جباى قد زار البرزاني سرا في قيادته في الحاج عمران ، بناء على طلب خاص من حكومة «اسرائيل» ولم تسفر زيارة البرزاني تلك عن اية نتائج عملية . كان البرزاني مؤمنا بقدرة الاكراد وبأهمية الثروات الطبيعية الموجودة في مناطقهم . اذ كان يجمع اكياس التراب ويقدمها لضيوفه قائلا من هذه الارض يمكن الحصول على الذهب. وكان البرزاني يجري محادثاته مع ضيوفه وهو يوزع السجائر عليهم . وكان يحاول

شرح موقفه عن طريق سرد الامثلة والقصص الخرافية . فعندما كان يريد وصف الاكراد في العراق - على سبيل المثال ، كان يروي الحكاية التالية : « مرض احد الملوك مرضا شديدا ، ونصحه اطباؤه بأكل قلب احد الاولاد . وعثر مساعدوه على اسرة وافقت على التضحية بولدها من اجل شفاء الملك . لكنه عندما وقف الولد امام الملك المريض انفجر الولد ضاحكا . وعندما سئل الولد عن سبب ضحكه اجاب : انني افضل الموت على العيش في دولة يقدم فيها الاباء قلوب اولادهم من اجل شفاء ملكهم » .

ان الولد في حكاية البرزاني ، هو الشعب الكردي الذي تحاول الحكومة العراقية اخذ قلبه لاشباع شهية رئيس الدولة ومساعديه وكان البرزاني يقول انهم دائما يتحدثون عن العدل ، لكن العدل هو ملك الاقوياء فقط ، لذلك اذا كان الاكراد اقوياء فقط ، يستطيعون الحصول على العدل .

في ١٧ تموز ١٩٦٨ وقع انقلاب عسكري بعثي في بغداد واطيح بالرئيس عبد الرحمن عارف وابعد الى المنفى . وكان الرؤساء الجدد هم انفسهم اولئك الذين مثلوا حزب البعث في ربيع ١٩٦٣ . وعين الجنرال احمد حسن البكر رئيسا للدولة والجنرال صالح مهدي عماش نائبا لرئيس الحكومة ووزيرا للداخلية ، والجنرال حردان التكريتي وزيرا للدفاع . وحاول النظام الجديد تحسين علاقاته مع ايران ومصر ايضا ، واعلن عن رغبته في حل القضية الكردية وفقا لروح مشروع البزاز ، وقرر البرزاني اختبار النظام الجديد . وتوقفت المعارك في كردستان واعلن وقف اطلاق نار شبه رسمي . وحاول مراسلون عرب معرفة رأى البرزاني في تلك الفترة بالنسبة للنزاع العربي — الاسرائيلي . ففي حديث مع مراسل مجلة الصياد اللبنانية قال البرزاني : « نحن نؤيد حل النزاع العربي — الاسرائيلي بالطرق « السلمية » والتفاهم المتبادل ، وذلك عن طريق الاعتراف بسيادة جميع دول المنطقة بما فيها «اسرائيل» .

وفي مناسبة اخرى ، عندما سئل البرزاني : هل هو على استعداد لارسال قواته لمحاربة «اسرائيل » اجاب « انظروا الى هذا الجبل الذي امامكم ، هل يمكن نقل هذا الجبل الى «اسرائيل» ؟ ، كلا بالطبع ، هل تستطيع «اسرائيل» احتلال هذا الجبل ؟ كلا ايضا ، لذلك طالما ان «اسرائيل» غير قادرة على احتلال هذا الجبل ، ونحن غير قادرين على نقله الى «اسرائيل» فما شأننا وهذه المشكلة .

لم تمض ايام كثيرة حتى اقتنع الاكراد بأن نظام البعث الجديد غير جاد في تنفيذ تعهداته لهم . فالدستور الذي نشر في ٢٣ ايلول لم يتطرق ابدا الى ذكر حق الاكراد في « الحكم الذاتي » واعتقل البزاز واعيد تشكيل الحرس الوطني من جديد وخابت الامال بالنسبة لمنح الحريات . واتبع حزب البعث سياسة ارهابية ، وتحول ميدان التحرير في بغداد الى « ميدان المشانق » ، حيث نفذ حكم الاعدام شنقا باعداء

النظام وبقيت جثثهم معلقة في الهواء في ذلك الميدان ، اعادت رئاسة الاركان العراقية تشكيل « فرسان صلاح الدين » وجعلت الاكراد يحاربون الاكراد . وفي شباط ١٩٦٩ استأنف الجيش العراقي هجماته على معاقل الاكراد ، غير ان قوات « فاش مرجا » تمكنت من الصمود .

في الاول من آذار ١٩٦٩ ، بدأت مرحلة جديدة في الحرب الكردية ـ العراقية . ففي الساعة ٨٫٤٧ مساء اطلقت ست قذائف هاون ١٢٠ ملم باتجاه منشآت التكرير التابعة لشركة النفط العراقية في كركوك ، التي تعتبر من اكبر مصافي التكرير في العراق . وفور اندلاع النيران في المنشآت النفطية بدأت الاشاعات تتحدث عن ان قوة اسرائيلية منقولة جوا هاجمت كركوك لتنفيذ عمليات تخريب في مصافي التكرير المدنية ، ومضى ربع ساعة من الوقت حتى تمكنت طائرة هليوكبتر عراقية من اكتشاف مكان الرماية الواقع على مرتفع يبعد حوالي ٥ كم الى الشمال الشرقي من المنشآت النفطية .

وظلت النيران مشتعلة بالمصافي طيلة الليل ولم ينجح رجال الاطفائية في السيطرة على النيران وفي اليوم التالي سيرت الحكومة قطارا جويا لنقل قطع الغيار واصلاح الاضرار في المنشآت . وظلت المصافي مشلولة عن العمل طيلة اسبوع كامل ، وانخفضت كمية الضخ في انابيب النفط الى طرطوس في سوريا وطرابلس في لبنان الى حوالي النصف واستمرت عرقلة العمل في المصافي حوالي شهر . على اثر ذلك ، اعادت العراق لواء من قوتها المرابطة في الاردن وحشدته في منطقة كركوك .

دلت دقة الاصابة في مصافي كركوك على وجود خبرة كبيرة لدى الرماة وبدا ان المهاجمين كانوا قد قاموا بجولة مسبقة في المكان لكي يخططوا للعملية واثارت نوعية التنفيذ الشكوك بأن «اسرائيل» كانت تقف وراء العملية . فقد قال مراسل صحيفة الديلي تلغراف في بغداد في ١١ اذار ١٩٦٩ ، ان العراقيين يعتقدون بأن عملية التخريب التي حدثت في كركوك هي من فعل الاسرائيليين كرد على هجوم الفدائيين اللفسطينيين على طائرة العال الاسرائيلية في مطار زيوريخ لكن البيان العراقي الرسمي قال « ان هوية المهاجمين لا تزال غير معروفة » .

في اعقاب الهجوم على كركوك ، ارسل الرئيس البكر نائب رئيس الحكومة رجب عبدالمجيد لاجراء محادثات مع الملا مصطفى البرزاني ، حيث اكد لزعيم الثوار بأن حكومته عازمة بالفعل على تنفيذ مشروع البزاز ، وكرر البرزاني مطالبه « بالحكم الذاتي » وحذر بأن الاكراد لن يترددوا في الاستيلاء على مصافي النفط في كركوك ، اذا لم تخصص الحكومة العراقية قسما من عائدات النفط لتطوير اقليم كردستان .

قبيل نهاية فصل الصيف ، بدأ العراقيون يستعدون لاستئناف المعارك . ففي مقابلة مع مجلة الصياد في ٢ تشرين أول ١٩٦٩ ، اتهم الجنرال عماش ايران بزيادة مساعداتها المباشرة للاكراد . وادعى عماش بأن جنودا نظاميين من الجيش الايراني نقلوا من اذربيجان الى الحدود مع العراق ، بعد ان تلقوا تدريبا خاصا على الحرب في المناطق الجبلية ، واضاف ان ضباط اتصال ايرانيين موجودون في قيادة البرزاني ، ويوجهون المساعدات الى قوات « ناش مرجا » .

في منتصف شهر تشرين أول ١٩٦٩ ، بدأ الجيش العراقي هجوما واسعا على معاقل الاكراد في شمال العراق . وكان هجوما بشعا جدا . ففي احدى المرات جمع جنود الجيش العراقي ٢٩ امرأة و ٣٧ ولدا في احد الكهوف ثم غطوه بالقش واغصان الاشجار واشعلوا النار فيها ، بالقرب من قرية دخان في اقليم الموصل . وزج العراقيون في ذلك الهجوم بـ ٢٢ كتيبة مشاة تحت ستار جوي كثيف كما اشترك في الهجوم العراقي حوالي ٦٠٠٠ كردي من القبائل التي تعارض البرزاني . غير ان قوات « ناش مرجا » استطاعت الصمود وكسر الهجوم ، وبعد الهجوم اتضح ان البرزاني وسع مجال سيطرته في كردستان ، واصبحت قواته تسيطر على مساحة تزيد على مساحة بلجيكا وهولندا .

في ضوء فشل الهجوم قررت العراق استئناف المفاوضات مع البرزاني . ففي اعقاب اعلان وقف اطلاق النار في ٢٥ كانون ثاني ١٩٧٠ توجه صدام حسين نائب رئيس الحكومة ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة « الرجل القوي » في حزب البعث الى قيادة البرزاني ، وبدأ مفاوضات مع وفد كردي برئاسة محمود عثمان ، وهو طبيب يبلغ من العمر ٣٢ عاما ، كان يترأس اللجنةالسياسية للحزب الديمقراطي الكردي ، وفي الساعة الحادية عشرة من ليل يوم ١٠ اذار ، وقع الطرفان في قرية نوفردان الكردية على اتفاقية تتألف من ١٥ بندا ، تعترف بحق الاكراد في حكم محلي وتلزم باعلان « قانون الحكم الذاتي » في اعقاب فترة انتقالية مدتها ٤ سنوات ، وكاعراب عن استعداده لاشراك الاكراد في الحكم ، وافق صدام حسين على انضمام خمسة وزراء اكراد الى حكومة بغداد في اسرع وقت ممكن .

تضمن اتفاق برزاني ــ صدام حسين ما يلي :

— تسن حكومة العراق قانونا لاعادة تنظيم الاقاليم في الدولة . وفي اطار هذا التنظيم يقام اقليم كردي يتمتع بصلاحيات واسعة على ان يكون حاكمه كرديا .

— تعديل الدستور المؤقت بحيث ينص الدستور بوضوح على انه يوجد في الجمهورية العراقية قوميتان عربية وكردية وبناء على ذلك يعترف باللغة الكردية لغة رسمية في الاقاليم التي يشكل الاكراد غالبية فيها .

- يترأس الدولة رئيس ، له ثلاثة نواب احدهم كردي كما يمنح الاكراد وفقا لنسبة عددهم مع عدد السكان تمثيلا في الحكومة والبرلمان وقيادة الجيش .
- في المناطق الكردية ، يتم اختيار موظفي الحكومة من بين السكان الاكراد او من بين الذين يتحدثون اللغة الكردية .
- تلتزم الحكومة بتطوير الثقافـــة الكردية في جميع المجالات .
- استيعاب الطلبة الاكراد في الجامعات . وتعميق الدراسة فيها حول موضوع الاكـــراد .
- يسمح للاكراد باقامة التنظيمات للكبار والشبيبة . كما هو الحال بالنسبة للاقاليم الاخرى في الدولـــة .
- اصدار عفو عام عن جميع المشتركين في الثورة الكردية . ويسمح لموظفي الحكومة بالعودة الى ممارسة وظائفهم التي كانوا يشغلونها قبل انضمامهم الى الثورة .
- تبدأ الحكومة فورا بالعمل على اعادة بناء القرى الكرديـــة المدمرة واستيعاب اللاجئين من جديد .
- تقدم الحكومة مساعدة شهرية للفقراء في الطائفة الكردية .
- تمنح الحكومة راتبا تقاعديا للجنود الاكراد ، وتعوض اسر مقاتلي « فاش مرجا » الذين سقطوا في المعارك .
- اعداد خطة لتطوير المنطقة الشمالية وتنفذ بسرعة .
- اتخاذ خطوات سريعة لتنفيذ الاصلاح الزراعي في شمال الدولة .
- تسليم الاسلحة التي بحوزة قوات « فاش مرجا » لايدي الحكومة ، في المرحلة الاخيرة من تنفيذ الاتفاقية فقط .
- تسليم محطة الاذاعة الكردية للحكومة — في المرحلة النهائية لتنفيذ الاتفاقية .

ان اجراء تحليل ودراسة لتفاصيل الاتفاقية ، يثبت بان مطالبة الاكراد « بحكم ذاتي» كامل لم تحقق بكاملها . لان البند الاول من الاتفاقية نص على ان تكون صلاحيات الاقليم الكردي مماثلة للصلاحيات التي تتمتع بها بقية الاقاليم في الدولة. كما ان الرئيس احمد حسن البكر قال في اذاعـــة تلفزيونية في ١١ اذار ، ان الحكومة العراقية ستواصل مسؤوليتها عن الثروات النفطية في الدولة ، وان وضع مدينة كركوك سيتقرر باستفتاء عام في موعد متأخر جدا . ومع ذلك فعلى الرغم من ان البرزاني لم يحقق كافة اهدافه فقد قدمت الحكومة العراقية تنازلات كثيرة للاكراد ، وبذلك اعترف نظام البعث ، عمليا بعدم قدرته على حل المشكلة الكردية عن طريق الحرب . فقد تكبد الجيش العراقي طيلة ٩ سنوات من الحرب مع الاكراد حوالي ٤٠ الف اصابة . ودمرت له كميات كبيرة من الاسلحة والذخيرة وانفقت مبالغ طائلة من خزينة الدولة على الحرب .

منذ عام ١٩٦٩ كان العراق يعيش صراعا شديدا مع الشاه حول حقوق الملاحة في شط العرب لذلك رأت الحكومة البعثية في العراق انه من الضروري تهدئة الجبهة الشمالية الكردية لكي تتمكن من الدخول في سباق غير مشوش مع ايران بشأن الزعامة في منطقة الخليج العربي الغنية بالنفط .

كان يبدو في البداية ان العراق عازمة بالفعل على تنفيذ الاتفاقية مع الاكراد . ففي ٣١ اذار قدم صدام حسين بادرة حسن نية تجاه البرزاني ، حيث امر باغلاق صحيفة «الانوار» التي يحررها جلال طلباني خصم البرزاني في الزعامة الكردية . وانضم خمسة وزراء اكراد الى الحكومة ، وسمح للحزب الديمقراطي الكردي بالعمل في جميع انحاء العراق . واعيد موظفو الحكومة الى وظائفهم من جديد ، وتم استيعاب حوالي ٥٥٠٠ مقاتل كردي في صفوف الجيش والشرطة . بينما خصص راتب شهري قدره ١٠ دنانير لباقي جنود «فاش مرجا» ، حتى يتمكنوا من ايجاد عمل مدني دائم . وبدىء العمل في تنفيذ خطة اصلاح زراعي واعادة بناء القرى الكردية التي تضررت نتيجة الحرب وفي ١٦ تموز اعلن الدستور المعدل وتضمن اعترافا باللغة الكردية كلغة رسمية .

لكنه في بداية شهر اب ١٩٧٠ ، حدثت ازمة خطيرة في العلاقات بين القاهرة وبغداد حول انهاء حرب الاستنزاف في منطقة قناة السويس . ففي اعقاب مبادرة اميركية بدعوة كل من مصر و«اسرائيل» الى وقف اطلاق النار والشروع في المحادثات اعلن وقف اطلاق النار في جبهة القناة في ٧ اب . وقد تم التوصل الى هذا الاتفاق بعد وقت قصير من زيارة الرئيس جمال عبد الناصر وصدام حسين الى موسكو . فبعد ان اظهر جمال عبدالناصر عدم القدرة على مواصلة الاشتباكات ابلغ زعماء الكرملين بقراره وقف اطلاق النار . وعلى الرغم من الاضرار التي الحقتها حرب الاستنزاف والغارات الجوية الاسرائيلية في عمق الاراضي المصرية ، عارضت العراق انهاء حرب الاستنزاف واتهم الزعماء العراقيون بتصرحات علنية الرئيس جمال عبدالناصر «بخيانة» الشعب الفلسطيني .

ادت وفاة جمال عبدالناصر في ٢٨ ايلول ١٩٧٠ وتولي انور السادات السلطة في مصر الى خلق وضع جديد في العالم العربي . فمن خلال رغبة السادات في ترسيخ مكانته داخل بلاده اولا ، فضل عدم القيام بمغامرات سياسية خارجية ، ورأت العراق البعثية في ذلك الفرصة المناسبة لترسيخ مكانتها في زعامة العالم العربي . لذلك اتخذت العراق ايضا خطوات فسرت على انها تنكر لاتفاقيتها مع الاكراد الموقعة في ١١ اذار ، ففي ١٦ كانون ثاني ١٩٧١ ، اتهم البرزاني علانية الحكومة العراقية بنقل مواطنين عرب الى مدينة كركوك لخلق غالبية عربية في المدينة واخراجها من سلطة الاقليم الكردي . كما أجلت العراق ايضا الاستفتاء العام حول وضع مدينة كركوك . وفي اعقاب رفض حزب البعث العراقي السماح بانضمام ممثل كردي « لمجلس الثورة » عارض البرزاني اختيار نائب رئيس كردي كما نص الاتفاق .

في المقابل ، زاد التوتر بين العراق من جهة ، وبين دول عربية اخرى وبينها وبين ايران .

بعد ذلك زادت بحدة الصراع على زعامة منطقة الخليج العربي بين العراق وايران وكنتيجة لذلك . زاد الايرانيون حجم مساعداتهم للثوار الاكراد واتهمت الحكومة العراقية ايران و«اسرائيل» بعقد حلف سري بينهما لمد يد المساعدة للثوار الاكراد . فقد ذكرت صحيفة (الحوادث) اللبنانية في عددها الصادر يوم ١٨ حزيران ١٩٧١ ، ان مبعوثا عراقيا خاصا زار طهران وطلب من الشاه وقف المساعدات الايرانية عن الاكراد لكن الشاه أجاب بأن ايران لا تقدم مساعدة للاكراد. واوضح ان من الصعب منع عمليات التهريب عبر الممرات الجبلية . بينما ادى استئناف العلاقات الدبلوماسية بين القاهرة وطهران الى عدم معارضة الرئيس السادات لمساعدة ايران للاكراد ، اضف الى ذلك كون العراق عارضت مبادرته «السلمية» واستعداده للتفاوض مع «اسرائيل» حول اعادة فتح قناة السويس .

في غضون وقت قصير ، استأنفت قوات فاش مرجا هجماتها على الجيش العراقي . وردا على ذلك حاول عملاء عراقيون اغتيال الملا مصطفى البرزاني ، ففي ٢٩ ايلول ١٩٧١ قدم الى قيادة الاكراد لمقابلة البرزاني مبعوثو صدام حسين وهم يرتدون زي رجال الدين المسلمين . وفجأة انفجرت قنبلة يدوية في جيب معطف احدهم وقتلته في مكانه ، وعلى الفور احاط حرس البرزاني ببقية رجال الدين وقتلوهم ، واتضح نتيجة التحقيق ان جنودا عراقيين كانوا على أهبة الاستعداد لنقلهم بطائرات هيلوكبتر الى قيادة الاكراد في اللحظة التي يعطي فيها « رجال الدين » اشارة بأن البرزاني قد قتل .

في تلك الفترة زادت «الاشاعات» حول مساعدة اسرائيل للاكراد ايضا . فقد كتبت صحيفة الثورة العراقية في عددها يوم ٣ كانون ثاني ١٩٧٣ ، انه مقابل المساعدة التي تقدمها اسرائيل للاكراد ، يزود الاكراد ضباط الاستخبارات الاسرائيليين بمعلومات مفصلة عن الجيش العراقي ، ويساعدون في تهريب يهود العراق الى «اسرائيل» عن طريق ايران .

من جهة ثانية زاد البرزاني ضغطه على الولايات المتحدة كي تساعده في صراعه مع الحكومة العراقية . وكان البرزاني يدعي في لقاءاته مع عملاء وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية ان حربه ضد نظام البعث في بغداد ستؤدي الى اسقاط نظام الحكم في بغداد ، وتضعف مكانة الاتحاد السوفياتي في منطقة الخليج العربي . ومن ثم ستضعف مكانة سوريا ايضا وتزداد عزلتها في العالم العربي .

ارغمت تلك التطورات موسكو ايضا على اعادة تقييم نشاطاتها في منطقة الخليج العربي . ففي اعقاب تصالح حكومة بغداد مع الحزب الشيوعي العراقي ، زادت موسكو من مساعداتها العسكرية للعراق بهدف القضاء على الثورة الكردية .

في ايار ۱۹۷۲ حدث في طهران حدثان غيرا وضع الاكراد الى درجة كبيرة . ففي ۳۰ ايار توقف في طهران الرئيس الاميركي ريتشارد نيكسون ومستشاره لشؤون الامن القومي الدكتور هنري كيسنجر عندما كانا في طريق عودتهما من مؤتمر قمة مع ليونيد بريجنيف في موسكو ، وكانت رئيسة وزراء «اسرائيل» جولدا ميئير قد زارت طهران سرا قبل ذلك ببضعة ايام . وطرح الشاه خلال محادثاته مع نيكسون موضوع القضية الكردية . واتضح ان الزعيمين متفقان على ضرورة مساعدة الاكراد . وذلك بهدف استنزاف قوة العراق في حرب طويلة دائمة ، وبذلك تضعف قدرتها على الاشتراك في نزاع جديد بين «اسرائيل» وجاراتها العربيات او عرقلة جهود ايران الرامية الى ان تصبح «الشرطي الغربي» في الخليج العربي .

لم تكن تلك اول مرة يبحث فيها موضوع مساعدة الاكراد من قبل الادارة الاميركية ففي اب ۱۹۷۱ واذار ۱۹۷۲ جرى في واشنطن بحث موسع في الموضوع غير ان الرئيس نيكسون قرر بأن الوقت لم يحن بعد لتدخل اميركي فعال في المشكلة الكردية. لكنه بعد عودته من موسكو ، وعلى الرغم من سياسة «الوفاق» بين الشرق والغرب، اراد الرئيس نيكسون الاستجابة للطلب الايراني ــ الكردي . وبعد عودة كيسنجر الى واشنطن ، دعا الى اجتماع «لجنة الاربعين» التي تضم ممثلين عن وكالة الاستخبارات المركزية وموظفين من البيت الابيض ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية ، وعرض عليهم الطلب الكردي ــ الايراني ووافقت اللجنة على تدخل الولايات المتحدة في مساعدة البرزاني ، وارسل وزير المالية الاميركي جون كونالي على وجه السرعة الى طهران لابلاغ الشاه بموافقة الولايات المتحدة . وكان كونالي يحمل في جيبه حوالة مالية بمبلغ ١٦ مليون دولار لتسديد جزء من حساب الولايات المتحدة في تمويل الثورة الكردية . وبعد ذلك توجه وفد كردي الى واشنطن ليبحث مع المسؤولين الاميركيين تفاصيل المساعدة الاميركية للاكراد . واتفق بين جميع الاطراف ان تمر المســاعدة الاميركية للاكراد عبر ايران . وابتداء من ذلك التاريخ ، بدأ عملاء الاستخبارات المركزية الاميركية يقومون بزيارات ثابتة لقيادة البرزاني في كردستان يحملون معهم برقيات من هنري كيسنجر بعنوان « الجنرال عزيز » .

في المقابل استمرت الاشاعات حول مساعدة «اسرائيل» للاكراد . ففي ١٩ ايلول ۱۹۷۲ ، كتب جاك اندرسون في زاويتـه في صحيفة «واشنطن بوست» يقول ، ان مبعوثا اسرائيليا يتسلل شهريا الى شمال العراق حاملا معه مبلغ نصف مليون دولار للبرزاني ، حصة «اسرائيل» من المساعدة الشهرية للثوار الاكراد . وفي تلك المرات زار قيادة البرزاني رئيس «الموساد» الاسرائيلي تسفي زمير ، وتحدث مع زعيم الاكراد حول امكانية تهريب ۳۰۰۰ يهودي عراقي الى «اسرائيل» . كان البرزاني طيلة تلك الفترة يشك في نوايا ايران ، فقد كان يخشى انه في اللحظة التي تتوصل ايران فيها الى اتفاق مع العراق حول الملاحـة في شط العرب ، يتخلى الشاه عن الاكراد

فبعد شهرين من بدء عملية تقديم المساعدة الاميركية للبرزاني ، جاء في مذكرة اعدتها وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية في ١٧ تشرين أول ١٩٧٢ ان الشاه كلف وزير خارجية دولة اخرى لكي يوضح للعراق بأنه على استعداد للتوصل الى اتفاق معها ، اذا الغت فقط اتفاقية سابقة بشأن الحدود بين الدولتين . يبدو ان الولايات المتحدة ايضا لم تهدف في مساعدتها الاكراد الى منحهم « الحكم الذاتي » الكامل بل كانت خدمة لايران اكثر منها مساعدة للبرزاني .

على الرغم من المساعدة الانسانية التي قدمتها «اسرائيل» للبرزاني . لم تستطع «اسرائيل» جنى فائدة عسكرية حقيقية من الاكراد ، خاصة في الوقت الذي كانت فيه مثل تلك المساعدة امرا حيويا لامن «اسرائيل» ، فقد حدث اثناء رمضان عندما اجتاز جنود الجيش الاسرائيلي قناة السويس واقاموا راس جسر على الضفــة الغربية للقناة ان بعثت «اسرائيل» الى البرزاني تطلب منه البدء بهجوم على قوات الجيش العراقي ، لمنعه من ارسال قوات الى سوريا لتعزيز جبهة الجولان . ونقل برزاني الطلب الاسرائيلي الى الولايات المتحدة . وفي ١٦ تشرين أول رد كيسنجر على البرزاني ، بواسطة وليام كولبي رئيس وكالة الاستخبارات الاميركية آنذاك بقوله : « نحن لا ننصحك بفتح هجوم عسكري كما اشارت عليك حكومة اخرى » . وقد اعترف كيسنجر بهذه الحقيقة في كتابه حول سنوات خدمته في البيت الابيض . لكنه ادعى بأن قرار منع الاكراد من شن هجوم على الجيش العراقي ، اتخذ بناء على راى مشترك من قبل الشاه الايرانى ووكالة الاستخبارات المركزية الاميركية حيث كانت تقديراتهم بأن هجوما كرديا جديدا سيمكن الجيش العراقى من قمع الثورة الكرديـــة بوحشية .

كلما كانت المساعدات تزداد للبرزانى ، كانت العراق تزداد قناعة بضرورة التوصل الى تفاهم مع الاكراد . لكنه في تلك الفترة نشأ صراع قوى بين عنصرين : نائب الرئيس صدام حسين الذي كان يسعى الى فرض سيطرة على الجيش . وبين الجنرال شفيق الدراجي رئيس المخابرات العراقية ، الذى كان يتمتع بتأييد الجيش ويؤيد الحل العسكري لمشكلة الاكراد . وتفوق صدام حسين في هذا الصراع وتوجه نائب الرئيس العراقي الى موسكو لاجراء محادثات مع الثلاثى ، بريجنيف — بودغورني — كوسيغين ولدى عودته الى بغداد اتضح انه مقابل زيادة المساعدة العسكرية السوفياتية التزمت العراق بوقف نشاطاتها السرية ضد نظام البعث في دمشق ، وبذل جهود لتخفيف حدة التوتر بينها وبين ايران .

استأنف صدام حسين اتصالاته مع البرزاني ، لكن الزعيم الكردى اصر على مطالبته « بحكم ذاتي » كامل في كردستان ، على ان يضم هذا الحكم مدينة كركوك . وفي ضوء الجمود الذي طرا آنذاك اعلن صدام حسين فى اذاعة تلفزيونية في ١١ اذار ١٩٧٤

قراره بشأن تنفيذ بنود اتفاقية اذار ١٩٧٠ من جانب واحد . ودعا البرزاني الى الاعلان عن قراره بهذا الشأن حتى ٢٦ اذار . لكن البرزاني رفض هذا الطلب وامر الوزراء الاكراد الخمسة بالاستقالة من الحكومة العراقية . وامر موظفي الحكومة والجنود الاكراد الى الفرار ثانية والالتحاق في صفوف قواته ، كما دعا علانية الى اسقاط نظام الحكم في بغداد . وبناء على نصيحة غريتشكو توجه صدام حسين الى الهند في محاولة لاقناع السيدة انديرا غاندي بالتوسط بين العراق وايران فيما يتعلق بالمشكلة الكردية . وقبلت الهند المهمة . حيث استأنفت العراق وايران في المرحلة الاولى العمل بموجب الاتفاقية التجارية بينهما . وكان صدام حسين واثقا بأن الشاه سيساعد الان على وقف الثورة الكردية . كما ان المارشال غريتشكو اعتقد ذلك ، وعاد الى موسكو ولديه القناعة بأن الثورة الكردية على وشك الانتهاء .

لكنه لم تمض ايام كثيرة حتى اندلعت الحرب من جديد . فقد حاول الجيش العراقي الاستيلاء على ممر «هيملتون» على الحدود الايرانية — العراقية ، بهدف اغلاق طرق الامدادات للثورة الكردية لكن جهود « ﭘاشمرجا » الذين كانوا مزودين بمدفعية خفيفة ومدافع مضادة للطائرات تمكنوا من صد الهجوم العراقي ، وعلى الرغم من ذلك فقد استغل الاكراد في تلك الفترة سواء من قبل ايران او من الولايات المتحدة فقد جاء في وثيقة اعدتها وكالة الاستخبارات المركزية : في ٢٢ ايار ١٩٧٤ ان ايران تأمل في جني فائدة من الوضع الدائم الذي ليس له مخرج ، شأنها في ذلك شأن الولايات المتحدة . فبسبب رفض الاكراد التخلي عن مطالبتهم بالحكم الذاتي الكامل ، حكم على العراق بالاستمرار في الضعف من الناحية العسكرية . ففي ضوء ذلك ، لا ايران ولا الولايات المتحدة تتوقعان حلا لهذه المشكلة بشكل او بآخر !..

لكن صدام حسين كان كلما طال أمد الحرب مع الاكراد ، يزداد قناعة بعدم امكانية حل المشكلة الكردية بالطرق العسكرية . لذلك كان يبحث عن مخرج مشرف عن طريق تسوية مع ايران . ففي تشرين أول ١٩٧٤ ، توجه صدام حسين الى الرباط للاشتراك في مؤتمر القمة العربي ، وتحدث هنالك للرئيس السادات عن المشكلة الكردية ، وعن رغبته في التوصل الى تسوية مع ايران . ورحب الرئيس المصري بمبادرة نائب الرئيس العراقي . كما ان التوقيت كان مريحا ايضا . فقبل ذلك ببضعة اشهر توصلت سوريا و«اسرائيل» الى اتفاقية فصل قوات في هضبة الجولان ، بواسطة مصر ورعاية الولايات المتحدة . وكان هنري كيسنجر يستعد لاستئناف الاتصالات بين «اسرائيل» ومصر للتوصل الى اتفاقية مرحلية اخرى ما بين الدولتين . لكن الرئيس السوري حافظ الاسد عارض ذلك بشدة ، وطلب من السادات عدم البدء بمحادثات منفردة مع «اسرائيل» لذلك قرر السادات الان استغلال الفرصة الجديدة التي توفرت لديه ، فقد اعتقد بأنه اذا ساعد العراق على تصفية الثورة الكردية ، ستغض الزعامة البعثيـة في العراق الطرف عن نيته التوقيع على اتفاقية مرحلية مع «اسرائيل» .

وارسل السادات اشرف مروان الى طهران فورا . وابلغ مروان الشاه بأن العراق ستكون على استعداد لتقديم تنازلات لايران بشأن حقوق الملاحـــة في شط العرب ، شريطة وقف المساعدات الايرانية للثوار الاكراد . كما جند السادات لمساعدته الرئيس الجزائري هواري بومدين ، وابلغ الرئيس بومدين صدام حسين بواسطة سفير الجزائر في بيروت بترحيب الجزائر بالتسوية المقترحة . وبعد ان وافق الشاه على التخلي عن الاكراد ، اتفق الجميع على ان يلتقي الشاه وصدام حسين في الجزائـــر في شباط ١٩٧٥ ، في اطار مؤتمر قمة الدول غير المنحازة . وتعانق الشاه مع نائب الرئيس العراقي في المؤتمر معلنين تصالحهما . وبذلك تقرر مصير الاكراد .

وقد شرح الشاه سبب قراره وقف المساعدة للاكراد ، فيما بعد للولايات المتحدة بقوله ان قراره كان يعتمد على تقدير شبه مؤكد بأن الجيش العراقي اصبح قادرا على هزيمة الاكراد . وادعى انه في المراحل الاخيرة لحرب الاكراد ، اصبح تدخل الجيش الايراني المباشر في تلك الحرب ملموسا ، ففي اواخر عام ١٩٧٤ ، ارسل الجيش الايراني الى منطقة الحدود العراقية بطاريات صواريخ ارض ــ جو وعدة بطاريات مدفعية ، ووحدات عسكرية لحماية قوات البرزاني ، ومن اجل الحيلولـــة دون انهيار الثورة الكردية تماما ، كان على الشاه ان يزج بفرقتين ايرانيتين نظاميتين ولكنه لم يكن على استعداد لفعل ذلك . وكانت الولايات المتحدة مرغمة على قبول هذا التقدير .

بعد عودة الشاه الى طهران ، امر بوقف المساعدات عن الثوار الاكراد فورا . وجاء في برقية وكالة الاستخبارات المركزية الاميركية ، التي بعث بها رئيس بعثتها في طهران في ١٥ اذار ١٩٧٥ الوصف التالي لكيفية ابلاغ المـــلا مصطفى البرزاني باتفاقية ايران مع العراق : « في الخامس من اذار ١٩٧٥ توجه رئيس «السفاك» الجنرال نعمةالله ناصري الى قيادة البرزاني وابلغه بصراحة بأن الحدود بين ايران وشمال العراق اصبحت مغلقة ، وان الاكراد لن يستطيعوا بعد الان الحصول على مساعدة ايرانية . ونصح ناصري البرزاني باسم الشاه بأن من الافضل للاكراد حل نزاعهم مع العراقيين بالطرق التي يرونها مناسبة لهم . كما ابلغ بأن مقاتليه يستطيعون الحصول على ملجأ في ايران ، اذا ما دخلوا الحدود الايرانية بمجموعات صغيرة وبعد تسليـــم اسلحتهم الى دوريات الجيش الايراني .

توجه البرزاني الى كيسنجر لابلاغه بذلك ، وكان وزير الخارجية الاميركي في ذلك الوقت في القدس بمناسبة اجراء المفاوضات الاسرائيلية ــ المصرية حول التوصل الى تسوية مرحلية جديدة بينهما . وفي ١٠ اذار تلقى كيسنجر من واشنطن البرقية التالية من البرزاني : « بعد ان كنا نؤمن دائمـــا بوجوب حل النزاعات الدولية بما فيها النزاع الايراني ــ العراقي بالطرق السلمية ، نحن راضون جدا من توصل الدولتين

الى اتفاقية بينهما بالطرق السلمية ، لكن قلبنا يقطر دما ،عندما نرى ان انعكاسات هذه الاتفاقية هي ابادة شعبنا بصورة لم يسبق لها مثيل . فقد اغلقت ايران حدودها ومنعت عنا المساعدات نهائيا . في حين بدأت العراق هجوما واسعا علينا . ان شعبنا وحركتنا يدمران الان بشكل لا يصدق بينما الكل صامت . نحن نعتقد بأن الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية اخلاقية وسياسية نحو شعبنا الذي ربط مصيره بسياسة بلادك . بعد ذلك نطلب منك اتخاذ الخطوات اللازمة لوقف الهجوم علينا وانقاذنا من عار الهزيمـــة . ونطلب منك استخدام نفوذك لدى ايران لحملها على تقديم المساعدة لنا في هذه اللحظات التاريخية الحرجة ، حتى يتمكن شعبنا وجيشنا من العثور على امكانيات للعيش والبقاء الى ان يصبح بالامكان ايجاد حل شامل لقضيتنا. نحن ننتظر بفارغ الصبر ردك وعملك السريع ، ولدينا القناعة بأن الولايات المتحدة نظهر عدم المبالاة بشأن مصيرنا في هذه الاوقات الصعبة » .

ادهش التطور السريع في القضية الكردية حكومة «اسرائيل» ، مما دفع رئيس حكومة اسرائيل يتسحق رابين الى اثارة الموضوع في محادثاته مع كيسنجر وتساءل : كيف يمكن ان تنسحب «اسرائيل» من حقول النفط في سيناء والاعتماد على تعهـدات الشاه بتزويدها بالنفط ، اذا كانت الحكومة الايرانية قد تخلت بين عشية وضحاها عن الاكراد ، دون ان تكلف نفسها حتى ابلاغ اصدقائها بنواياها سلفا ؟ عندما لم يتلق البرزاني جوابا من كيسنجر ، سارع في ١٠ اذار الى ارسال برقية اخرى الى قيادة وكالة الاستخبارات المركزية في واشنطن . وقال في برقيته : « ان شعبنا يتعرض لخطر ليس له مثيل . فالابادة الشاملة تتهددنا . نحن ندعوكم وندعو الحكومـــة الاميركية الى التدخل فورا بناء على تعهداتكم ، وان لا تتخلوا عن حليف في وقت الضيق نحن نناشدكم ان تنقذوا حياة البرزاني وشرف اسرته وان تجدوا حلا مشرفا للقضية الكردية » .

في نفس اليوم ارسل رئيس بعثة وكالة الاستخبارات المركزية في طهران الى رؤسائه في واشنطن برقية قال فيها : « هل يوجد تنسيق بين القيادة ومكتب كيسنجر بهذا الشأن ؟ اذا لم تجعل الادارة الاميركية الاكراد يشعرون بأننا لن نتخلى عنهم ، فقد يفتضح الامر علانية . فالعمل الذي قامت به ايران ، لم يخيب آمالهم السياسية فقط بل يعرض حياة الالاف للخطر . يجب عمل اي شيء لحمل الحكومة الايرانية على مساعدة الاكراد في انقاذ انفسهم وهذا هو العمل المنطقي الذى يتوجب على الحكومة الاميركية عمله بدون تأخير » .

لكن الولايات المتحدة لم تستجيب لصرخات الاكراد البائسة ، وتحطمت الحركة الكردية ، وحصل اكثر من ٢٠ الف كردي على ملجأ في ايران وبقي حوالي ٤٠ الفا في شمال العراق ، حيث لم يحصلوا على اية مساعدة من ايران . كما ان الولايات

المتحدة لم تسمح لزعماء الاكراد باللجوء اليها . وقد توصل رجال الكونغرس الاميركي الذين حققوا في هذه المأساة الى استنتاج بأنه في الذكرى المائتين لقيام الولايات المتحدة ، خلقت سابقة بأن «باعت» حركة تحرير قومية .

كان تصرف الولايات المتحدة المحزن هذا ، يتناقض تماما مع التأييد السوفياتي القوي لحلفائه في انغولا ، فالسابقة الكردية ، لن تجعل شعوبا صغيرة تظهر عدم المبالاة تجاه هذا الدرس ، سيكون مصيرا سيئا لكل امة صغيرة تعتمد فقط على نوايا حلفائها فمهما كان حجم الدولة يجب ان تعتمد في حماية نفسها على نفسها فقط .



حـــرب

في الخليج العربي *

ان الصورة التي أرسلها قمر اصطناعي سوفياتي كان يحلق في ٢٦ آب ١٩٨٠ فوق منطقة الخليج العربي ، لم تترك ادنى شك لدى زعماء الكرملين بأن الجيش العراقي قد انتشر بتشكيل هجومي على طول حدود اقليم «خوزستان» الايراني . كما اكتشفت جهود ادارية كبيرة في نقاط تجمع رئيسية مقابل دزفول في الشمال ومقابل مدن النفط خورمشهر وعبدان على ساحل الخليج العربي . لكن خلافا لتصرفاته عشية حرب ١٩٦٧ ـ حيث ابلغ الاتحاد السوفياتي آنذاك القاهرة ودمشق مباشرة بوجود حشدات اسرائيلية مقابل هضبة الجولان . فضل هذه المرة العمل بواسطة «مبعوث» فقد اجتمع نورالدين كيانوري ـ سكرتير الحزب الشيوعي الايراني ، «تودا» في باريس مع ممثلي الخدمات السرية الايرانية وسلمهم معلومات حول نوايا العراق الغزو لاقليم خوزستان الغني بالنفط . لكنه بسبب صراع القوى الداخلي ، وعدم الثقة بمصدر المعلومات السوفياتية ـ فضل حكام ايران تجاهل الانذار الذي سلم لهم ، ولم يصدقوا بأن الرئيس العراقي صدام حسين سيتجرأ على مهاجمة بلادهم . حتى عندما احتل العراقيون في ٩ ايلول ١٩٨٠ بلدة زين القوس الحدودية وقصفوا مدينتين في خوزستان فضلت ايران تجاهل الانذار المسبق الذي تسلمته ، واعتقدت القيادة الايرانية بأن العملية العراقية تأتي ردا على القصف الايراني لبلدة خانقين العراقية في ٤ ايلول لذلك عندما اندلعت الحرب بكامل قوتها في ٢٢ ايلول ، كان الزعيم الايراني العجوز ايةالله خميني مندهشا من الهجوم العراقي . ولم يستطع جيشه المهلهل وقف تقدم القوات المدرعة العراقية داخل الاراضي الايرانية .

لكنه على الرغم من التخطيط الدقيق وعنصر المفاجأة ، لم ينجح الجيش العراقي في ادارة حرب خاطفة كما كا ن يأمل . وبسبب قلة الانجازات العسكرية ، لم يستطع الرئيس صدام حسين تحقيق اهدافه السياسية في ايران . على الرغم من ذلك ، لم

---

* يلاحظ القارىء في هذا الفصل تحيز الكاتب الاسرائيلي الواضح الى جانب الجيش الايراني ، ومغالطته للحقائق العسكرية التي رافقت المعارك منذ بداياتها محاولا التشكيك بقدرات الجيش العراقي وقياداته .

ولأن العدو الاسرائيلي قد خبر وعرف قدرات هذا الجيش العربي في فلسطين والاردن والجولان قبل غيره ، ولأن القارىء العربي يعي جيدا أغراض الكاتب الاسرائيلي من وراء ذلك ، لذا فانه حرصا منا على ترجمة الكتاب بأمانة ، فضلنا الابقاء على النص كما ورد في الاصل .. «المترجـــم» ..

يستطع اي شخص ان يتوقع الآن كيف ومتى ستنتهي هذه الحرب . ففي الخطاب الذي القاه الرئيس العراقي امام جنوده في ١٥ آذار ١٩٨١ ، قال : انه اذا لم توافق ايران على وقف اطلاق النار والشروع في مفاوضات معه بشأن اعادة نهر شط العرب الى السيادة العراقية الكاملة سيستأنف جيشه المعارك ويحاول احتلال مدن ايرانية اخرى في اقليم خوزستان . لكن خبراء عسكريين غربيين يقولون انه في حالة عدم وجود مظلة جوية مناسبة لن تكون احدى الدولتين قادرة على تحقيق حسم في الحرب . لذلك يجب عليهما ان عاجلا ام آجلا التوصل الى تسوية سياسية بينهما .

ان حرب العراق ــ ايران تعتبر الى حد معين صفة حديثة للصراع الديني الذي تميزت به منطقة الخليج الخليج العربي منذ بداية العصور الوسطى ، عندما اصبح المذهب الشيعي مركزا لشكاوى اجتماعية واقتصادية ضد المؤسسة السنية في بغداد والادارة الشيعية في طهران ، فقد برز في ايامنا هذه على شكل صراع دائم حول حقوق الملاحة وثروات النفط والمكانة الاستراتيجية ، فمنذ اليوم التالي لتوقيع اتفاقية الجزائر في ٦ اذار ١٩٧٥ كان واضحا ان العراق لن تسلم الى الابد بهذه التسوية ، التي فرضت عليها بوساطة الجزائر ومصر . فاتفاقيات الجزائر التي وقعت بين الشاه وصدام حسين اظهرت ميزان القوى في تلك الفترة . وشكلت دافعا دائما للحكــام العراقيين للعمل من اجل تغيير هذا الميزان لصالحهم ، وكانت الاطاحة بعرش الشاه في كانون ثاني ١٩٧٩ فرصة مناسبة لتحقيق ذلك .

منذ اليوم التالي لاستلام الخميني مقاليد الحكم في ايران ، اعلن عن تصديـــر الثورة الايرانية الى العالم الاسلامي . وكان الهدف الرئيسي لذلك العراق ، فالخميني الذي عاش ١٤ سنة في المنفى في العراق ، كان دائما لا يثق بشعار حزب البعث « امة عربية واحدة ذات رسالة خالدة » وكان يعتبر ذلك كفـــرا . .

وقال الخميني ان نظام حزب البعث في العراق اكثر الانظمة العربية علمانية ، فهو علماني اكثر حتى من نظام دمشق والنظام الماركسي في جمهورية اليمن الجنوبية .

حاولت العراق في البداية تجاهل نداءات التحريض الخمينية ضدها ، حتى انها حاولت وضع اسس حسن جوار بين الدولتين . ففي رسالة بعث بها صدام حسين في ١٣ شباط ١٩٧٩ الى اول رئيس حكومة ثورية مهدي بازرغان ، اعلن اعتراف العراق بالنظام الجديد في طهران واعرب عن امله في خلق تعاون مثمر بين الدولتين . غير ان ايران لم ترد على تلك الرسالة العراقية ، وواصلت تحريض الشيعيين في جنوب العراق للاطاحة بنظام البعث في بغداد.

حاول الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد التوسط بين الدولتين ، لكن الجزائر عرفت فورا ان الخميني يلقى التأييد من سوريا وليبيا ، لذلك تراجعت فورا عن جهود الوســـاطة .

قر صدام حسين شن هجوم معاكس ، ففي اعقاب سلسلة من عمليـات التخريب التي قام بها عناصر شيعية بالقرب من بغداد ، عزل صدام حسين الرئيس احمد حسن البكر من منصبه ، وقام فورا بتصفية خصومه ومنافسيه في زعامة حزب البعث . وبعد تجميد جهود التصالح مع سوريا ، بدأ الرئيس الجديد بمساعدة الفارين الايرانيين في محاولة واضحة للاطاحة بنظام الخميني ، وكان من ابرز الايرانييـن رئيس حكومة ايران السابق شهبور بختيار ، وقائد القوات البرية السابق علي عبيسي واقام صدام حسين بالقرب من الحدود مع ايران محطة اذاعة سرية . حيث اخذت تدعو الى ثورة عربية في «خوزستان» وتم تهريب كميات من الاسلحة والمعـدات العسكرية الى الاكراد الايرانيين كما درب عشرات المعارضين الايرانيين على اعمال التخريب والنشاط السري في معسكرات الاستخبارات العراقية وبدأت منذ الان الاستعدادات للحرب تأخذ طابعا عمليا . وبهدف التمويه على نواياه ضد ايران بدأ الرئيس صدام حسين بتنويع مصادر اسلحته ، ففي عام ١٩٧٩ ، اشترت العراق من فرنسا اسلحة ومعدات عسكرية بقيمة ٢ر٢ مليار دولار ، مما ادى الى انخفاض دور الاتحاد السوفياتي في تزويد العراق بالاسلحة من نسبة ٩٥٪ في عام ١٩٧٢ الى ٦٣٪ في عام ١٩٧٩ . وفي مطلع عام ١٩٨٠ وقعت العراق مع فرنسا على اتفاقية لشراء ٢٤ طائرة ميراج/اف ١ بالاضافة الى ٣٦ طائرة اخرى كانت قد اشترتها في السابق . كما اشترت العراق كمية كبيرة من طائرات الهيلوكبتر من نوع «جازل» ، و ١٠٠ دبابة من نوع ام.اكس/٣٠ وصواريخ مضادة للدبابات نوع اس.اس/١١ وعدد كبير من ناقلات الجنود المدرعة بهدف تحويل قوات المشاة الى قوات آلية ، كما اجرت العراق مع فرنسا مفاوضات بشأن اقامة جهاز دفاع جوي جديد يعتمد على صواريخ «كروتال» بدلا من الجهاز القديم الذي اقامه العراق بمساعدة الاتحاد السوفياتي .

في ايلول ١٩٧٩ ، المحت العراق لاوة مرة عن عزمها خرق اتفاقية الجزائر بشأن شط العرب . فقد توجه انذاك الرئيس العراقي الى هافانا عاصمة كوبـا للاشتراك في مؤتمر قمة الدول غير المنحازة واجتمع هناك وزير الخارجية الايراني ابراهيم يازدي بالرئيس العراقي صدام حسين وابلغه رغبة الخميني في تحسيـن العلاقات بين البلدين لكن الرئيس العراقي اجابه بأن الشروط لتحسين العلاقـات بين العراق وايران هي اعتراف ايران بسيادة العراق الكاملة على شط العرب ، واعادة الجزر الثلاث التي استولت عليها ايران في الخليج العربي الى السيادة العربية ومنح السكان العرب حكما ذاتيا في اقليم خوزستان ، وقال صدام حسين ليازدي « في اعقاب الاطاحة بنظام الشاه ، تصرفتم وكأنكم حررتم العالم الاسلامي والعربي » مع ان الثورة الايرانية ، جاءت بعد ٢٠ سنة من الثورة العراقية ، بعد ارتقاء الخميني الى السلطة ، كنا نتوقع منكم التوجه الينا والى دول عربية أخرى شارحين لنا اهداف ثورتكم . وكنا ايضا جاهزين لتقديم المساعدة لكم ، لكنكم بدلا من ذلك تنكرتم لنا . واخطأتم في نظرتكم لمن كانوا سيصبحون اصدقاء وجيرانا جيدين لكم » .

زادت المطالبة العراقية المذكورة حدة التوتر بين الدولتين ، وزادت في اعقابها أعمال العنف في العراق وامارات الخليج العربي . ففي ٢٩ تشرين أول فتح اثنان من العملاء الايرانيين النار على جموع المصلين في مدينة كربلاء المقدســـة بالنسبة للطائفة الشيعية ، وخرج عمال شيعيون في مظاهرات في الكويت والسعودية . وطالب الخميني في خطاب له القاه في طهران باعادة جزيرة البحرين الى السيادة الايرانية . وردا على ذلك حذر الرئيس صدام حسين ، بان العراق سنستخدم القوة ضد كل من يحـاول الاساءة الى امارات الخليج . وفي مقابلة مع صحيفة النهار البيروتية الصادرة يوم ٣١ تشرين أول ١٩٧٩ كرر السفير العراقي في بيروت مطالب الرئيس صدام بالجزر الثلاث التي كان قد عرضها في محادثاته مع وزير الخارجية الايراني في كوبا ، وردا على ذلك هاجم حراس الثورة مقر السفارة العراقية في طهران ، والقنصليات العراقية في كل من خرمشهر وكرمنشاه ، وردت العراق على ذلك فوراً حيث قام عملاؤها من بين المعارضين الايرانيين باحتلال السفارة الايرانية في لندن .

في بداية عام ١٩٨٠ زاد التوتر بين الدولتين ، واتخذ الصراع بينهما طابعا عنيفا وادى هذا التطور الى تغيير كبير في سياسة العراق في الخليج العربي ، ففي الماضي كان العراق يشجع النشاطات السرية في السعودية وامارات الخليج ، لكنه الان . سلم الرئيس صدام حسين بالوضع الاقليمي الراهن في الخليج العربي ، واصبح حلفه مع السعودية والكويت حجر الزاوية لسياسته العربية ، وادى هذا التحول الى تعزيز الغزو السوفياتي لافغانستان ، وفي يوم الجيش السادس من كانون ثاني ١٩٨٠ ندد الرئيس العراقي بالغزو السوفياتي لافغانستان ، ودعا الى وقف تدخل الدول الكبرى في منطقة الخليج العربي . واعرب صدام حسين عن استيائه من التغلغل السوفياتي في عدن ، ولم يسمح بمرور قطار جوي سوفياتي الى اثيوبيا لمساعدتها في حربها ضد جبهة التحرير الارتيرية ، وبرز التحول في السياسة العراقية في « الميثاق القومي » الذي اعلنه صدام حسين في ١٨ شباط ١٩٨٠ ، والذي دعا الى تعاون واسع النطاق بين دول الخليج العربي .

لكن هذا التطور لم يترك اي صدى في طهران . ففي يوم ١ نيسان اشترك نائب رئيس الحكومة العراقية طارق عزيز في ندوة اقتصادية دولية عقدت في بغداد ، وقام طالب شيعي من اصل ايراني بالقاء قنبلة يدوية باتجاه طارق عزيز العضو المسيحي الوحيد في مجلس قيادة الثورة العراقية ، وكان الطالب ينتمي الى الحركة الاسلاميـــة الموالية لايران « الدعوة » واصيب طارق عزيز بجروح خفيفة ، لكن اثنين من مساعديه قتلا ، وفي ٥ نيسان القيت قنبلة اخرى اثناء تشييع جنازة القتلى ، مما ادى الى قتل وجرح الكثيرين ، وفي المقابل زاد الغليان وتكررت اعمال التخريب في المناطق الشيعية في جنوب العراق .

قام الرئيس العراقي صدام حسين باعتقال العناصر التي يشتبه بانتمائها الى حركة « الدعوة » السرية ، وابعد حوالي ٣٥ الف شيعي ايراني الى اقليم خوزستان واعتقل الزعيم الشيعي ايةالله محمد بكر الصدر ، ثم اعدمه فيما بعد ، وفي ٩ نيسان نشرت مجلة « الف باء » العراقية تقريرا مفصلا عن اعمال الارهاب التي نفذت بتوجيه من الخميني . وكشفت المجلة عن ان زعيم حركة الدعوة مهدي عبدالمدحي وصهره محمد مهدي العصفي ، اجتمعا بالخميني في مدينة قم حيث اعدوا خطة لقلب نظام الحكم في بغداد . وعثر في منزليهما على وثائق تشتمل على قوائم بأسماء شخصيات عراقية مختلفة كانت مرشحة للتصفية ، ووثائق هوية مزيفة وخطة للتخريب في بنك الرافدين في البصرة ، ومبالغ كبيرة من الاموال .

لدى اعلانه عن اعدام الامام الصدر وشقيقته بنت الهدى ، قال الخميني في ١٧ نيسان ان تصرف صدام حسين يعتبر هجوما على الاسلام والقرآن ، ودعا الجيش العراقي الى تصفية نظام الحكم العلماني في بغداد . وبشر الخميني بأن الثورة العراقية ستحتفل قريبا بنصرها في العراق وادعى الخميني ان وحدات عسكرية مصرية احضرت الى العراق للحرب ضد ايران . وارسل وزير الخارجية الايراني رسالة الى موسكو طلب فيها وقف شحنات الاسلحة الى العراق ، بينما وصف الرئيس الايراني ابو الحسن بني صدر ، صدام حسين بأنه تلميذ ميشيل عفلق (مؤسس حزب البعث السوري) وحليف مناحيم بيغن الصهيوني .

لم يتأخر صدام حسين في رده على ذلك ، فقد وصف صدام حسين في خطاب له في مدينة الموصل في ٢٣ نيسان الخميني بأنه (الشاه صاحب العمامة) وحذر قائلا : لقد عاش الخميني لدينا في المنفى مدة ١٤ سنة ، وبدلا من الاعتراف بالجميل وحسن الضيافة التي عاملناه به ، يريد الآن استعبادنا . فهو لا يدرك بأنه عن طريق صراعه العنصري هذا لن يستطيع خلع ولو ذرة تراب واحدة من ارض العراق . وحتى يتمكن الخميني من احتلال بغداد او امارات الخليج العربية سيضطر للسير على عشرات الالاف من الشهداء العراقيين ، ومثل هذا لن يحدث ابدا ، فالخميني خائن للعرب والفلسطينيين ، فعلى الرغم من المساعدة التي قدمها له ياسر عرفات ، يتنكر الخميني الآن للفلسطينيين ولا يساعدهم في صراعهم ضد «اسرائيل» واختتم صدام حسين خطابه بدعوة الشعب الايراني الى الاطاحة بنظام الخميني .

ادت فشل عملية انقاذ الرهائن الامريكيين في طهران التي جرت في ٢٥ نيسان الى زيادة الشعور بالثقة لدى الخميني مما دفعه الى تصعيد صراعه ضد العراق ، ففي ٢٧ نيسان روجت ايران نبأ بشأن وقوع انقلاب في العراق وان الرئيس صدام حسين قد قتل ، ونفت العراق هذا النبأ فورا ، ثم عرض التلفزيون العراقي الرئيس العراقي وهو يتجول في شوارع بغداد .

مقابل تدهور العلاقات العراقية ــ الايرانية طرأ تدهور اخر في العلاقات الايرانية ــ اللفسطينية ، فقد اعرب ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في بغداد عن تأييـــده لمطالبة العراق باعادة الجزر العربية الثلاث في مضايق هورمز الى السيادة العربية ، واقترح اعادة هذه الجزر الى السيادة العربية بواسطة منظمة التحرير الفلسطينية . واستدعى الخميني هاني الحسن ممثل المنظمة في طهران ، حيث اعتذر الاخير عن اقوال زميله مدعيا انها كانت زلة لسان .

في بداية شهر حزيران ١٩٨٠ ، قرر الرئيس صدام حسين استخدام القوة ضد نظام الخميني وكان يميل في تلك المرحلة الى العمل بواسطة المعارضة الايرانية برئاسة شهبور بختيار وعلى عبيسي . بدأت الاتصالات مع هذين الشخصين في نيسان ١٩٨٠ واستمرت طيلة شهر الصيف ، حيث زار بختيار والعبيسي بغداد عدة مرات ، وارسلا عملاء الى اقليم خوزستان واقاما معسكرات تدريب لاعداد الموالين لهما وبواسطة محطة اذاعة سرية بدءا باعطاء دروس في حرب العصابات ووضع الرئيس العراقي صدام حسين تحت تصرف زعماء المعارضة الايرانية السلاح والمال وحدد معـــهم هدفا مشتركا هو : تحرير جزء من اقليم خوزستان لاقامة حكومة ايرانية جديدة فيه ، تحظى فورا باعتراف العراق ودول الخليج العربي ، وكان الهدف من انقلاب بختيار تحقيق ثلاثة اهداف :

- الاطاحة بنظام الخميني واقامة نظام حكم ملكي جديد برئاسة الامير رضا كورش نجل الشـاه .
- توقيع اتفاقية صداقة وحسن جوار مع العراق .
- ايجاد حل نهائي لمشكلة الاكراد . بحيث لا يستغل اي طرف الاكراد للعمل ضد الطرف الاخر .

في ١٠ تموز قام بختيار بمحاولته الانقلابية في اقليم خوزستان غير ان اجهزة الامن الايرانية اكتشفت المؤامرة في وقت مبكر ونجحت في احباطها واعتقل ٢٥٠ من رجال بختيار بينهم ضباط من سلاح الجو والقوات البرية ، واعدم ٣٦ منهم ، وقال بختيار فيما بعد : لقد كنا قريبين جدا من النجاح لو توفرت لدينا اسلحة اكثر » .

بتشجيع من الرئيس صدام حسين اعادت المعارضة تنظيم نفسها استعدادا لمحاولة انقلاب جديدة وحدد موعدها في ٢٨ ايلول ذكرى ميلاد الشاه . واتضح الان ان تلك الاستعدادات كان يقصد من ورائها اخفاء نوايا العراق الحقيقية في بدء هجوم مباشر على ايران ، فقد اعتقد الرئيس صدام بان موجات التطهير المتلاحقة اضعفت الجيش الايراني ، كما ان الخميني بدأ يفقد ثقة الجماهير والرأي العام العالمي بثورته المتعصبة ، لكنه من اجل ضمان نجاح الهجوم ضد ايران كان يتوجب على العراق

نعديل سياستها العربية لتأمين اجنحتها في منطقة الخليج العربي . لذلك اتبع صدام حسين سياسة خارجية حذرة محاولا الحصول على اكبر عدد من الحلفاء ، فقد فعل صدام حسين على غرار ما فعله السادات قبيل حرب ١٩٧٣ ، حيث اتخذ خلال عام ١٩٨٠ سلسلة من الاجراءات ادت الى تحول في سياسة بلاده ، فعلى الرغم من معارضة صدام حسين لاتفاقية السلام المصرية ـ الاسرائيلية في اذار ١٩٧٩ ، فقد بدأ التوتر في علاقاته مع سوريا منذ الغزو السوفياتي لافغانستان وقلص دعمه لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وفترت علاقاته مع الاتحاد السوفياتي . وحسن الى درجة ملموسة علاقاته مع الاردن والسعودية وامارات الخليج العربي .

في شهر آب بلغت الاستعدادات العراقية ذروتها . ففي ٥ آب توجه صدام حسين الى الرياض في أول زيارة لرئيس عراقي الى المملكة السعودية . كان الهدف الظاهري للزيارة بلورة موقف ضد « قانون القدس » الذي اقرته الكنيست الاسرائيلية ، لكن الهدف الفعلي كان تنسيق المواقف ضد الخميني . وفي تلك المحادثات حددت أيضا أهداف الحرب مع ايران . فالحرب يجب ان لا تكون شاملة ، بل حربا خاطفة في اقليم خوزستان من خلال الافتراض بأن نجاحا عراقيا في الحرب ، سيؤدي الى ثورة عربية في الاقليم والى انهيار نظام حكم الخميني ، وكان احتلال خوزستان سيوفر للعراق ورقة مساومة هامة في المفاوضات حول تطبيق السيادة العربية على مياه شط العرب وفور عودة صدام حسين من الرياض قطع علاقاته الدبلوماسية مع سوريا ، وبعد مداهمة قوات شرطة عراقية لمبنى السفارة السورية في بغداد . اخرج من داخل المبنى كميات كبيرة من الاسلحة والمعدات العسكرية ، وجرى اخراجها امام عدسات كمرات التلفزيون .

لم يكن تصعيد حدة العلاقات بين العراق ودمشق حدثا عابرا او بالصدفة ، بل كان مخططا له ، وكان يندمج تماما مع الاهداف الجديدة لبغداد ، فمقابل الحكم السني في العراق ، يوجد نظام علوي في سوريا ، والنظام العلوي هو شيعي ، وهكذا فبالاضافة للاعتبار السياسي ، كانت لدى الاسد ميول دينية تجاه الخميني ، فمنذ فشل محاولة الانقلاب في ايران في شهر تموز ، ارسل الرئيس السوري عددا من الضباط السوريين لتدريب الجيش الايراني ، غير ان هؤلاء الضباط لم يكن لهم تأثير على سير المعارك فيما بعد ، وبما ان الجيش السوري مقسم الى أربع جبهات ، لبنان وهضبة الجولان ، والاردن ، والحدود العراقية ، فلم يكن قادرا على تعريض جناح الجيش العراقي للخطر واغلقت الدائرة ثم بدأ العد التنازلي للحرب .

كان التوقيت للحرب بالنسبة للعراق مريحا جدا ، فقد كانت الولايات المتحدة مشغولة بمعركة الانتخابات ، وايديها مكبلة بمشكلة الرهائن ، والاتحاد السوفياتي متورط في المشكلة البولندية وغزو افغانستان ، وسوريا معزولة في العالم العربي ،

كما ان حلفها مع ليبيا ليس ذا اهمية ، في حين ان مصر واسرائيل ، على الرغم من عدائهما لنظامي الحكم في العراق وايران . فمن المشكوك فيه ، ان تستغلا هذه الفرصة لانزال ضربة مفاجئة بالعراق ، وتسببان بذلك اشعال النار في منطقة الخليج العربي.

اعتمد الرئيس صدام حسين في قراره بدء الحرب ضد ايران ، على اعتبارات استراتيجية ومصالح اقتصادية ، فالعراق هي الدولة الوحيدة في العالم من بين الدول المصدرة للنفط التي لا تمتلك شاطئا مناسبا لرسو السفن الضخمة ، فأكبر ميناء عراقي يوجد في البصرة على بعد حوالي ١٦٠ كم من الخليج العربي ، في اعلى شط العرب ، وتضطر السفن الى الانتظار في بعض الاحيان حوالي ثلاثة اشهر لتفريغ حمولتها ، بينما تقع القاعدة التابعة لسلاح البحرية العراقي في ام قصر بالقرب من حدود الكويت ، ويمكن الوصول اليها فقط عن طريق ممر مائي ضيق بين الساحل العراقي وبين عدد جزر كويتية صغيرة ، في حين ان ميناء النفط العراقي في — الفاو — على بعد حوالي ٨٠ كم من ام قصر ، يقع تحت سيطرة نيران المدفعية الايرانية وسفن الحراسة الايرانية في عبدان ، كما ان مرور انبوب النفط يتوقف على ارادة تركيا وسوريا ولبنان لهذا ، فالعراق هي الدولة الوحيدة بين دول منظمة اوبك التي يتوقف وجودها الاقتصادي على رغبة الدول المجاورة لها ، من هنا كانت مصلحة العراق في اضعاف التهديد الايراني لها .

طيلة شهر آب ، استكملت الاستعدادات العراقية للحرب . ولكي لا ترتبط العراق بقطار جوي سوفياتي ، قد لا يأتي . عملت العراق خلال اشهر الصيف على تعبئة مستودعاتها بأسلحة وذخيرة عديدة . كما نظم الجهاز الاداري واللوازمي بدقة وافرغت خزانات النفط ، ونقل «الذهب الاسود» الى خزانات تحت الارض ، وجمعت كميات كبيرة من المواد الغذائية كي لا تكون هنالك حاجة الى فرض تقنين في المواد الاساسية ، وفي ضوء اغلاق ميناء البصرة ، وخشية اكتشاف ايران لحركة السفن المتزايدة وجه الاستيراد العراقي الى ميناء العقبة الاردني ، وبالفعل كانت نسبة اربعين بالمئة من البضائع التي تفرغ في العقبة ، مخصصة للعراق ، ونقلت البضائع الى العراق على ظهر شاحنات اردنية وعراقية وكويتية ، وحتى بلغارية . ونقلت الوحدات العسكرية العراقية الى مناطق التجمع ثم انتشرت مقابل محاور التقدم الى ايران .

لكنه على الرغم من جهود التضليل والحرص على السرية التامة . لم تنجح العراق في اخفاء نواياها الحربية ، فقد شاهد قمر اصطناعي سوفياتي كان يحلق فوق منطقة الخليج في ٢٦ اب بوضوح تحركات الجيش العراقي باتجاه الحدود الايرانية ، وتوجد حاليا دلائل على ان الولايات المتحدة ايضا كانت على علم بنوايا صدام حسين ، وذلك عن طريق مبعوثيها في السعودية وامارات الخليج العربي ، ولم تفاجأ من اندلاع الحرب في الخليج كما تظاهرت بذلك في بداية الحرب .

في بداية ايلول كان الكل جاهزا للعمل ، وكي نعطي العراق « غطاء » سياسيا للحرب ، اتهمت ايران بحشد قوات عسكرية على حدودها ، ففي رسالة وجهها وزير الخارجية العراقي سعدون حمادي الى وزير الخارجية الايراني ، اتهمت العراق ايران بقصف مواقع عراقية على الحدود واحتلال منطقة عراقية في منطقة زين القوس، وفي ٩ ايلول بدأ الجيش العراقي ــ بعملية صدام حسين ــ التي احتلت خلالها بلدة زين القوس ، وقصفت مدينتان ايرانيتان من الجو ، ووقع عدد من الجنود الايرانيين في اسر القوات العراقية ، لكن ايران اظهرت ضعفا تجاه ــ بالون التجربة ــ العراقي هذا ، مما شجع الرئيس صدام حسين على البدء بهجوم واسع النطاق ضد ايران .

في ١٧ ايلول صادق مجلس قيادة الثورة العراقي على قرار الرئيس صدام حسين بشن الحرب على ايران ، بعد ذلك مباشرة اجتمع المجلس القومي ، واعلن الرئيس صدام حسين الغاء اتفاقيات الجزائر الموقعة في ٦ اذار ١٩٧٥ من جانب واحد واعادة السيادة العراقية الكاملة على شط العرب .

كان الرئيس العراقي على ثقة بأنه فور اندلاع المعارك ستتمرد قبائل بختيار في ايران وتنضم الى الجيش العراقي في اقليم خوزستان ، و ــ المنطقة المحررة ــ يمكن ان تكون مناسبة لانشاء حكومة ايرانية جديدة ، غير ان الرئيس العراقي لم يسبق ان اطلع بختيار على نواياه لدى زيارته لبغداد في ١٨ ايلول ، وبعد اندلاع الحرب بيومين وصل بختيار الى بغداد في زيارة اخرى . وقال الزعيم الايراني للرئيس العراقي انه اخطأ في تصرفاته ، وادعى بأنه بدلا من اسقاط نظام الخميني ، سيتكتل الشعب الايراني الان حول قيادة الخميني ، ويؤدي بالتالي الى تقييد نشاط المعارضة ، وعند زيارة بختيار الثالثة لبغداد في ٢ تشرين أول ، اعترف صدام حسين بأن تقدير الزعيم الايراني قد تحقق بالفعل .

بدات الحرب في ٢٢ ايلول بهجوم جوي واسع ، في محاولة لتقليد التجربة الاسرائيلية في حرب ١٩٦٧ وتدمير سلاح الجو الايراني على الارض ، لكن تلك المحاولة فشلت ، اذ كانت معظم الطائرات الايرانية في ملاجيء محمية ، بعد ذلك اقتحمت ثماني فرق عراقية الحدود الايرانية في منطقة اقليم خوزستان في جبهة واسعة في ثلاثة قواطع :

— جهد رئيسي في القطاع الجنوبي باتجاه عبدان ، وكانت منطقة الحشد في بلدة العمارة على بعد ٥٠ كم من الحدود ، وبنفس المسافة عن دزفول والاهواز ، وبدات القوة العراقية التي تتألف من الفرقة المدرعة الثالثة ، والفرقة الالية الخامسة بهجوم جبهوي على عبدان ، ولكن بعد صد الهجوم ، بدات عملية تطويق من الشمال الى الجنوب ، بهدف السيطرة على ميناء خومشهر ومن ثم احتلال عبدان .

- جهد ثانوي في القطاع الاوسط ، في منطقة مهران ، فمن الناحية الطبوغرافية نعتبر هذه المنطقة مريحة لحرب الدروع ، لذلك حقق العراقيون فيها عدة مكاسب فورية . فمن منطقة الحشد في بلدة بعقوبة بالقرب من خانقين ، تقدمت القوات العراقية على محورين باتجاه دزفول والاهواز ، حيث تحركت فرقتا ٩ ، ١٠ الآليتان باتجاه دزفول ، بينما تحركت الفرقة المدرعة ٦ باتجاه الاهواز عاصمة خوزســـتان .
- جهد ثانوي ــ في القطاع الشمالي ــ تقدمت الفرقتان الاليتان ٧ ، ٨ بالاضافة الى الفرقة الجبليـــة الثانية باتجاه قصر شيرين ، بهدف خلق تهديد واضح على كرمنشـــاه .

لدى اندلاع الحرب ، اعطى الرئيس صدام حسين لصراعه بعدا تاريخيا ، حيث قارنه بمعركة القادسية التي وقعت بالقرب من الكوفة وانتصر فيها المسلمون على الفرس ، وبذلك نقلوا العراق من الحكم الساساني الى الخليفة المسلم عمر ابن الخطاب ، واطلق صدام حسين على قواته التي هاجمت ايران اسم «قوات صلاح الدين » .

كانت اهداف صدام حسين من الحرب هى :

- السيطرة الكاملة على شط العرب .
- اعادة ثلاث جزر في مدخل مضيق هرمز الى السيادة العربية .
- خلق ظروف للثورة في خوزستان تمهيدا للاطاحة بنظام الخميني .

كانت الآمال العراقية بالنصر السريع كبيرة جدا ، لدرجة ان وزارة الاعـــلام العراقية دعت اكثر من الف صحفي الى بغداد لمشاهدة « النصر » لكنه في اليوم الثالث للحرب ، ظهر ان الحرب كانت تعتمد علىافتراضين ظهر بأنهما خاطئان هما : المبالغة في قوة الجيش العراقي ، والاستهتار بالقوة الايرانية ، وكان هدف الهجوم العراقي تدمير مصادر النفط ومصافي النفط وقطع خطوط المواصلات وخلق شعور بالحصار في طهران بحيث لا يستطيع الخميني انقاذ نفسه منه ، لو نجح الجهد الاول في الهجوم ، لكان من المقرر اقامة حكومة ايرانية حرة برئاسة شهبور بختيار في الاهواز في ٥ تشرين أول .

على الرغم من عنصر المفاجأة « التفوق العددي » ، لم يستطع الجيش العراقي تحقيق حسم سريع للمعركة ، فبعد بضعة ايام من الحرب ظهرت في الجيش العراقي حركتـــه البطيئة في التقدم داخل المنطقـــة ، واتضح بسرعـــة ان هيئـــة الاركان العامة في الجيش العراقي لم تنجح في التخطيط والتنسيق والسيطرة على قوات متحركة وتنقلها من قطاع الى اخر بالسرعة المطلوبة ، واتضح ايضا ان الجيش العراقي غير

قادر على ادارة حرب آلية ومعارك متحركة باستخدام الدروع ، كما ان عددا كبيرا من دباباته استخدمت كمدفعية ، تقدم غطاء لقوات المشاة التي تتقدم ببطء وليس كقبضة حديدية في معارك سريعة ، واظهرت قيادة الميدان عدم المبادرة وامتنعت عن القيام بأية عمليات انزال ، وبالغت في استخدام الذخيرة ضد اهداف محدودة ، كما ان العمليات الجوية المحدودة لم تقدم مساعدة عملية للقوات البرية ولم تلحق اضرارا ملموسة في مؤخرة العدو ، كما برز ضعف المستوى القيادي في الميدان ، كما كان استخدام الاسلحة السوفياتية التي كانت متوفرة لدى القوات العراقية غير فعال ، ففي المدن الايرانية الاربع : عبدان ، خرمشهور ، الاهواز ، دزفول كان يتطلب من الجيش العراقي اجتياز عوائق مائية ، لكنه لم يكن مدربا على ذلك ، فعلى الرغم من الاعداد الطويل ، لم يتوفر للجيش العراقي جهاز استخبارات ميداني فعال ، وكانت الخرائط غير دقيقة ولم تظهر المعطيات الدقيقة والحقيقية في المنطقة ، لذلك بعد ٤٣ يوما من الحرب تمكن الجيش العراقي من احتلال احدى المدن الاربع الهامة ، وهي خورمشهر في حين بقيت المدن الثلاث الاخرى مطوقة ، كما احتل العراقيون مدينتين اخريين هما قصر شيرين ومهران ، لكنهم لم يستطيعوا فصل اقليم خوزستان عن بقية اقاليم الدولة وفي ضوء الخسائر الفادحة التي لحقت بالقوات العراقية في احتلالها مدينة خورمشهر ، صدرت اوامر للقوات العراقية بالتقليل قدر الامكان من المعارك المتلاحمة والهجمات الجبهوية والاكتفاء بالقصف المدفعي ، وخوفا من امكانية فرض حظر على شحنات الاسلحة للعراق ، استخدمت القوات العراقية ٦٠ بالمئة فقط من المعدات والاسلحة المتوفرة لديها . كما حاولت توزيع قوتها الجوية بين الدول العربية المجاورة ، فقد ارسلت عددا من طائرات النقل الى الاردن ، وعددا من طائراتها الحربية الى بعض دول الخليج ، لذلك لم تستخدم العراق قاذفات توبولوف ٢٢ المتوفرة لديها ، وكان مستوى الدقة في الاصابة في هجمات الطائرات الحربية محدودا ، وفي الاسبوع السابع للحرب فقط ، بدات القوات العراقية باستخدام طائرات الهيلوكبتر الفرنسية من نوع «سوبرفرلان» المزودة بصواريخ جو — ارض ، وطائرات هليوكبتر من نوع «جازل» المسلحة بصواريخ مضادة للدبابات نوع «هوت» ، كما لم يستخدم العراقيون الدبابات الحديثة تي ٧٢ بسبب عدم توفر طواقم مدربة جيدا على هذه الدبابات ، وبدأت العراق باستخدام صواريخ سكاد وفروغ ضد هجمات السكان الايرانية ، وامطرت مدينة عبدان بنيران مدفعية غزيرة ، لكن تلك الصواريخ لم تكن قادرة على حسم المعركة ، ولم تترك سوى تأثير نفسي على السكان فقط .

في المقابل استعاد الجيش الايراني قوته بسرعة وتمكن بمساعدة حراس الثورة من صد الهجوم ، كما اظهر سلاح الجو الايراني قدرة مدهشة ، فبناء على اوامر من الرئيس ابو الحسن بني صدر ، افرج عن ١٠٠ طيار من السجن بعد ان احتفظت الحكومة بأسرهم كرهائن خوفا من هروبهم الى العراق مع طائراتهم ، وقصف سلاح الجو الايراني بغداد ست مرات ، والحق اضرارا بالفرن النووي العراقي وبمحطات

التكرير ، كما اشترك في معارك جوية ناجحة ، فقد استطاع الطيارون الايرانيــون الذين تدربوا في الولايات المتحدة ، الافلات من شبكة الدفاع الجوي العراقي وتمكنــوا من اصابة اهدافهم بدقة كما ان ايران استخدمت أيضا طائرات الهليوكبتر المتوفرة لديها في وقت متأخر من الحرب كما فعلت العراق ، اذ استخدم الايرانيون ٥٠ طائرة فقط من بين ٢٠٥ طائرات من نوع كوبرا كانت لديهم ، لمهاجمة الدبابات العراقية . كما لم تستخدم ايران ايضا كل طاقاتها من المعدات العسكرية ولم تستخدم وحدات الكوماندو لديها ، كما لم تستخدم طائرات ف١٤ ، ووقع معظم الدبابات الايرانية التي كانت في الخطوط الامامية غنيمة بايدي القوات العراقية ؛ وعلى الرغم من نجاح ايران بوقف تقدم القوات العراقية ، الا انها لم تكن قادرة على شن هجوم مضاد .

انتقلت الحرب العراقية — الايرانية تدريجيا من حرب خاطفة الى حرب استنزاف طويلة ، لا يستطيع احد الان التوقع متى وكيف ستنتهي ، فالدولتان تعلنان عن قدرتهما على مواصلة حرب استنزاف طويلة الامد ، ولا تكتفي احداهما بأقل من الاطاحة بنظام الحكم بالدولة الاخرى . ويقول خبراء عسكريون اميركيون وغربيون انه لولا قطع علاقات ايران مع اميركا واسرائيل لما تجرأت العراق على مهاجمة اقليم خوزستان والغاء اتفاقية الجزائر من جانب واحد ، فاسرائيل حتى لو لم تتدخل في الحرب ، كان بمقدورها القيام باجراءات من شأنها زيادة وضع العراق خطورة ، فقد كانت اسرائيل قادرة على سبيل المثال ان تمنع منح ملجأ للطائرات العراقية في الاردن، كما كانت قادرة على منع العراقيين من استخدام ميناء العقبة الاردني ، وبذلك تمنع عن العراق الامدادات العسكرية وحتى الغذائية .

ادت الحرب العراقية — الايرانية الى تعميق الخلاف في العالم العربي ، ومزقت الجبهة المشتركة ضد اسرائيل ، واضعفت مكانة العراق بين دول عدم الانحياز ، وزادت من حدة الحرب الدعائية بين مختلف الدول العربية .

لكن الصراع العراقي ضد الخميني ادى بالاضافة الى الحرب الدعائيه ، الى استقطاب متجدد في العالم العربي وتكتل جديد بين الدول العربية الموالية للغرب . والدول الموالية للاتحاد السوفياتي ، واتضح منذ اليوم الثاني للحرب بأن السعوديــة والامارات العربية والاردن تقف بدون تحفظ وراء العراق . ففي ختام زيارة الملك حسين للرياض ، أعلنت الاردن والسعودية بيانا مشتركا في ١٢ تشرين أول نددتا « بالعدوان الايراني » ضد العراق ، كما هددت السعوديــة بتخفيض انتاجها من النفط ، اذا حاولت الولايات المتحدة استئناف تزويد ايران بالاسلحة .

مع ذلك انحرفت السعودية عن نظريتها «الامنية» التي تبنتها منذ الاطاحة بالشاه الايراني ، ووافقت على استيعاب ٤ طائرات سيطرة ومراقبة اميركية من نوع اواكس في السعودية ، واثارت هذه الخطوة غضب ليبيا على السعودية ، وادعى القذافي في

رسالة بعث بها الى الملك خالد في ١٩ تشرين أول ، ان الحرب بين العراق وايران هي جزء من المجابهة التاريخية بين المسيحية والاسلام ، وبين الشرق والغرب ، وبين الامة الاسلامية والكفـــرة ، لذلك يجب على كل مسلم ان يحارب الى جانب ايران الدينية ضد العراق العلمانية وادعى انه بعد موافقة السعودية على ادخال اربع طائرات اميركية الى أراضيها ، دنست بذلك مكـــة والمدينة بالجيش الاميركي ، وردا على ذلك قطعت السعودية في ٢٨ تشرين اول ١٩٨٠ علاقاتها الدبلوماسية مع ليبيا ، وكانت العراق قد قطعت علاقاتها الدبلوماسية ايضا مع ليبيا قبل ذلك . وفي المقابل زادت حدة توتر العلاقات بين الاردن وكل من ليبيا وسوريا . في حين ان توقيـــع المعاهدة السعودية ــ السوفياتية في ٨ تشرين أول زادت في التباعد بين سوريا وكل من السعودية ، وامارات الخليج العربي ، كما طرأ توتر في العلاقات العراقية ــ الجزائرية في اعقاب استعداد الرئيس الشاذلي بن جديد للتوسط بين ايران والولايات المتحدة ، لانهاء قضية الرهائن الاميركيين في طهران .

كلما طالت ايام الحرب ، اتضح ان اضرارها ونتائجها تقلص من مجال المناورة العراقي ، وتفرض على الرئيس صدام حسين توثيق علاقاته وحلفه مع دول الخليج وقد اثمر هذا الحلف بصورة فورية . فقد قدمت دول الخليج للعراق قرضا بمبلغ ١٤ مليار دولار مساعدة لها على التغلب على الاضرار المادية التي لحقت بها نتيجة توقف تصدير النفط العراقي . اذ قدمت السعودية ٦ مليارات دولار والكويت ٤ مليارات ودولة الامارات العربية المتحدة ٣ مليارات ، وقطر مليار دولار كما تفكر الكويـــت بمنح العراق قرضا اخر بقيمة ٢ مليار دولار بدون فوائد لمدة ١٠ سنوات .

لكن انظار الجميع كانت تتجه نحو مصر ، فبعد وقف التقدم العراقي اظهرت مصر شماتة بالعراق ، ففي خطاب القاه الرئيس السادات يوم ١ تشرين ثاني امام مجلس الشورى في القاهرة ، قال ان العراق هي التي بدات الحرب لذلك فهي المعتدية وفي خطاب في مجلس الامة في ٢٣ تشرين ثاني كشف السادات بأن العراق بدأ الحرب بموافقة السعودية ، وقالت صحف القاهرة ان ايران ستصبح بالنسبة لصدام حسين كفيتنام بالنسبة للولايات المتحدة ، كلبنان بالنسبة لسوريا الان ، لكن مصر بدأت تدريجيا وبتشجيع الولايات المتحدة بتغيير مواقفها وبدأت تندمج في جبهة جديدة موالية للغرب ، تشمل السعودية والاردن وعمان وامارات الخليج العربي ، وبوساطـــة عمان والسعودية ، بدأت مصر بتزويد العراق بالاسلحة والذخيرة حتى انها سمحت لطائرات ميراج الفرنسية التي اشترتها العراق من فرنسا بالمرور عبر اجوائها ، وهي في طريقها الى العراق .

وكما كان متوقعا ، وضعت الحرب العراقية ــ الايرانية منظمة التحريـــر الفلسطينية والمؤسسة الفلسطينية في وضع صعب ، وكانت العراق قد اغلقت في اشهر الصيف مكاتب جناحي ــ الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ــ بزعامة جورج

حبش ونايف حواتمة ، لكنه غداة اندلاع الحرب ، انقسمت القيادة الفلسطينية بالنسبة لتأييد الجانبين ، فقد عملت القوى المحافظة في منظمة التحرير الفلسطينية بزعامة هاني الحسن بايحاء من السعودية لصالح العراق . كما ان جبهة التحرير العربية بزعامة عبدالرحيم احمد ، التابعة لحزب البعث العراقي ، أيدت صدام حسين ، في المقابل ايدت منظمة الصاعقة الموالية لسوريا وجناحا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ايران ، اما ياسر عرفات نفسه فقد حاول اتخاذ موقف محايد بين الجانبين ، وبتشجيع من الاتحاد السوفياتي توجه الى طهران في محاولة لانهاء الحرب ، لكن الخميني رفض ذلك . وقال انه بدلا من التوسط ، من الافضل لعرفات التوجه الى ساحة المعارك ليشاهد بأم عينيه الدمار الذي الحقه الجيش العراقي ببلاده ، وعندما وصل عرفات الى بغداد ، اجابه صدام حسين ببرود قائلا : انه عندما تتعرض احد الدول العربية لخطر ، يجب على كل العرب ان يهبوا لنجدتها ، والا يحاولوا التوسط بينها وبين عدوها ..

لقد كان توقيت الحرب سيئا بالنسبة للفلسطينيين ايضا ، اذ كانت منظمة التحرير الفلسطينية تنتظر في تلك الفترة مبادرة سياسية اوروبية ، كان القصد منها «الضغط» على الولايات المتحدة واسرائيل في الموضوع الفلسطيني ، لكن الحرب والمشاكل التي تلتها اجلت الموضوع ودفعته الى الزاوية . لذلك كانت هنالك مصلحة واضحة لمنظمة التحرير الفلسطينية في توسطها بين العراق وايران ، بهدف التوصل الى انهاء سريع للحرب ، وكان اقتراح الوساطة الفلسطيني يتضمن اربعة بنود هي :

— وقف اطلاق نار فوري في الخطوط الحالية .
— انسحاب عراقي تدريجي الى الحدود القديمة وفقا لاتفاقيات الجزائر في ٦ اذار ١٩٧٥ .
— يتم الاشراف على الانسحاب العراقي من قبل دول اسلامية وغير منحازة .
— استعداد ايران للبحث من جديد في موضوع السيادة على شط العرب .

بعد ان رفض الطرفان جهود عرفات ، تقلص مجال المناورة لدى منظمة التحرير الفلسطينية . وكان كلما مر الوقت تأثرت المنظمة بمواقف دمشق وبدات تتخذ تدريجيا موقفا مواليا لايران ومعاديا للعراق .

في جو الاستقطاب العربي هذا ، عقد في عمان في ٢٥ تشرين ثاني مؤتمر قمة عربي لبحث « مسيرة السلام » في الشرق الاوسط ، والتطورات الاخيرة في منطقة الخليج العربي ، وطالبت سوريا بتأجيل المؤتمر وادعت بان حرب الخليج اخرجت العراق من دائرة الحرب ضد اسرائيل كما اخرج اتفاق — السلام — مصر من دائرة الحرب ضد اسرائيل وقالت سوريا ان العراق ارسل في حرب ١٩٧٣ ، ١٨ الف جندي و ٤٠٠ دبابة الى هضبة الجولان .

أما الآن فسيظل الجيش العراقي مشغولا مع الجيش الايراني لسنوات عديدة . ،
ومن أجل الضغط على الاردن لتأجيل المؤتمر حشدت سوريا فرقتين على الحدود مع الاردن ، وبوساطة السعودية سحبت سوريا والاردن قواتهما من مناطق الحدود ، وبذلك خفت حدة التوتر بينهما .

ان الحرب العراقية الايرانية هي اول حرب طويلة تنشب بين دولتين منتجتين للنفط ، لذلك تجاوز تأثيرها المنطقة ليشمل سياسة الدولتين الاعظم ، فعلى الرغم من معرفة الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي سلفا بالاستعدادات للحرب ، لم يمكنهما وضعهما من الحيلولة دون وقوعها . لهذا بذلتا كل ما في وسعهما لحصر النزاع وعدم توسعه ، وخلافا لما فعلتاه في حرب ١٩٧٣ حيث سيرتا قطارات جوية للدول الحليفة لهما ، امتنعتا الان عن تزويد اي من الطرفين بالاسلحة بصورة مباشرة وتمكنت ايران والعراق من الحصول على الاسلحة من الدول الحليفة للدولتين الاعظم ، فالعراق اشترت الاسلحة من فرنسا وبريطانيا ودول اخرى ، بينما اشترت ايران اسلحة من سوريا وليبيا وكوريا الشمالية .

ان الموقف الاميركي تجاه الخليج العربي ، بدأ يتبلور منذ غداة الاطاحة بالشاه ففي الزيارة التي قام بها هارولد براون وزير الدفاع الاميركي السابق لمنطقة الشرق الاوسط في شباط ١٩٧٩ ، بلور موقفا جديدا يتعارض مع نظريات الرؤساء الاميركيين نيكسون وفورد وكارتر .

ففي ضوء فقدان النفوذ الاميركي في ايران ، والمكاسب السوفياتية في افغانستان والقرن الافريقي اوصى براون بضرورة وجود اميركي طبيعي في منطقة الخليج العربي وتوسيع القواعد الاميركية في دول مثل مصر ، كينيا ، عمان ، والصومال حيث تستطيع الولايات المتحدة استخدامها عند الضرورة ، كما اوصى براون بتشكيل قوة انتشار سريع كي تهب لنجدة دول صديقة في منطقة الخليج العربي ، وتعزز بنفس الوقت القدرة العسكرية للعربية السعودية ، كي تتمكن من القيام بدور سياسي واقتصادي اكثر فعالية في امارات الخليج العربي ، وفقا لهذه السياسة ، تم في اذار ١٩٨٠ تشكيل قوة الانتشار السريع الاميركية ، وقامت منذ ذلك الوقت بسلسلة من المناورات المشتركة مع الجيش المصري .

منذ اندلاع الحرب ، كان اهتمام الولايات المتحدة يتركز على ضمان حرية المرور لناقلات النفط من مضايق هرمز ، وابدت اهتماما بالمحافظة على تأمين عملية تصدير النفط المنتظمة من السعودية وباقي امارات الخليج ، ومن اجل حماية حرية المرور في مضايق هرمز ، عززت الولايات المتحدة وجودها في الخليج العربي والمحيط الهندي . فبالتنسيق مع الدول الحليفة لها ، زادت الولايات المتحدة عدد سفنها الحربية في الخليج نفسه ، ففي ذروة الازمة ، كانت تبحر في منطقة الخليج العربي والمحيط الهندي حوالي ٦٠ سفينة حربية اميركية وبريطانية وفرنسية واسترالية . في البداية حاولت الولايات المتحدة تشكيل قوة بحرية متعددة الجنسيات لحماية مضايق هرمز ،

لكن هذا الاقتراح قوبل ببرود من قبل الدول الغربية الحليفة للولايات المتحدة ، وبدلا من القيام بخطوات استعراضية ، وافق الجميع على حشد قوات بصورة هادئة وبدون استفزاز ، وبالاضافة الى ضرورة حصر النزاع وحماية حرية المرور في مضايق هرمز سعت الولايات المتحدة الى الحفاظ على سلامة ايران الاقليمية ، فعلى الرغم من شماتة الولايات المتحدة بايران ، بسبب تصرفاتها في قضية الرهائن الاميركيين ، كانت تعارض انهيار ايران وترفض احتلال الاراضي بالقوة ، وقد اعربت الولايات المتحدة عن هذا الموقف بسلسلة من التصريحات العلنية .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، فقد بدا في وقت ما ان الحرب تخدم اهدافه ، فالاتحاد السوفياتي هو الدولة الوحيدة التي تقيم علاقات دبلوماسية منتظمة سواء مع ايران او العراق ، فمنذ عام ١٩٦٩ ، والاتحاد السوفياتي يشكل المصدر الرئيسي للاسلحة العراقية ويرتبط مع العراق بمعاهدة صداقة ، ويحتفظ في افغانستان بقوات عسكرية على استعداد للدخول في العمل ، في حالة نجاح حركة شيوعية ايرانية في القيام بانقلاب والاطاحة بنظام الخميني ، لكنه كان كلما طالت أيام الحرب ، اتضح بأنه لا يوجد احتمال للاتحاد السوفياتي بتحقيق مكاسب فورية ، لذلك فضل الحفاظ على مواقفه الحالية في ايران والعراق .

على الرغم من شكوك زعماء الكرملين بنوايا الرئيس صدام حسين ، ترددوا في تزويد ايران بالاسلحة بصورة مباشرة ، خشية انتقال العراق بصورة علنية الى المعسكر الغربي . فعلى الرغم من مطالب العراق المتكررة ، اكتفى الاتحاد السوفياتي بتزويد العراق بالاسلحة التي سبق ان تضمنتها اتفاقيات شراء الاسلحة الموقعة بين البلدين لكنه امتنع بنفس الوقت عن ارسال اسلحة وقطع غيار للجيش العراقي ، وبذلك حظي برضى طهران ، كما حظي تصرف الاتحاد السوفياتي هذا بموافقة علنية من جانب الولايات المتحدة، ففي مؤتمر صحفي عقد في ١٩ تشرين اول قال وزير الخارجية الاميركية السابق ادموند ماسكي : «قال الاتحاد السوفياتي لنا انه يتخذ موقفا محايدا في النزاع العراقي — الايراني ، وانه يتخذ بالفعل مثل هذا الموقف » ، بينما برر الاتحاد السوفياتي تصرفاته ، بالقول ان كل واحدمن الطرفين المتحاربين هو صديق لموسكو .

ان أهم تطور في الحرب العراقية — الايرانية هو بدون شك المتعلق بالنفط . فعلى الرغم من الاضرار التي لحقت بالمنشآت النفطية في كلتا الدولتين ، وعلى الرغم من وقف تصدير النفط منهما لا يوجد حاليا نقص نفطي في العالم ، سواء نتيجة لوجود مستودعات الطوارىء في الدول الصناعية ، او نتيجة لقيام السعودية ودول امارات الخليج العربي بزيادة انتاجها النفطي لتغطية احتياجات العالم الغربي . لهذا السبب لا تبذل جهود دولية حقيقية بهدف وضع حد للحرب . والشعور السائد في العالم هو ان استنزافا متبادلا بين العراق وايران لا يتعارض مع مصالح الدول العظمى ، ومع متطلبات الامن لدول الشرق الاوسط نفسه .

الفهرس

الكتب الصادرة عن دار الجليل

١ ـ **الموســاد ، جهاز المخابرات الاسرائيلية السري**
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
تأليف : دينيس ايزنبرغ
تأليف : ايلي لاندو
تأليف : اوري دان

٢ ـ **من مفكرة اســحاق رابــين**
(صدر بالتعاون مع منشورات فلسطين المحتلة)

٣ ـ **عمود النار ، الاسطورة التي قامت عليها اسرائيل**
ترجمة : غــازي الســعدي
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

٤ ـ **الاستيطان ، التطبيق العملي للصهيونية**
تأليف : المهندس الزراعي عبدالرحمن ابو عرفه
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

٥ ـ **حرب الجليل ، الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية تمــوز (١٩٨١)**
بدر عبدالحق وغازي السعدي
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

٦ ـ **الكتاب السنوي ١٩٨١**
توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة
هيئة الرصد والتحرير
غازي السعدي ، نواف الزرو ، غسان كمال
(صدر بالتعاون مع المؤسسة العربية للدراسات والنشر)

٧ ـ **الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبــنان (١)**
شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو
بدر عبدالحق وغازي السعدي

٨ — **الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبـــنان (٢)**
للصحفية مايكل جانسن
ترجمة محمود برهوم

٩ — **رؤى مستقبلية عربية للثمانينات**
الدكتور احمد صدقي الدجاني

١٠ — **الحرب الفلسطينية الاسرائيلية في لبـــنان (٣)**
وثيقـــة جـــرم وادانـــة
غـــازي الســـعدي

١١ — **المثلـــث الايرانـــي**
الصحفي شموئيل سيجف
ترجمة : **غازي السعدي**

١٢ — **هل يوجد حل للقضية الفلسطينية ؟**
(مواقف اسرائيلية)
تأليف : آلون هروبين
ترجمة : **غازي السعدي**

١٣ — **(تحت الطبع) من أبو عمـــار الى الجميع**
رسائل مـــن قلب الحصـــــار

رقـم الايـداع ١٩١ / ٣ / ١٩٨٣

دار البستاني للنشر والتوزيع
٢٩ ش الفجالة ١١٢٧١ القاهرة
ت ٩٠١٤١٣ ـ ب.ص/ ١٤-١٠٠١
م ص: ١٩١ ٢٤/١٦٦/٤/٥ مدينة نصر

شركة الشرق الأوسط للطباعة

تلفون ٩٤٩٤٠ ــ ٩٤٩٤١
عمان ــ ماركا الشمالية



شموئيل سيجف
مؤلف الكتاب

★ ولد عام ١٩٢٦، متزوج واب لولدين ويسكن في بلدة هرتسليا القريبة من تل ابيب. خدم في الجيش الاسرائيلي لمدة ٢٥ عاما وكان من النشيطين في منظمة هاغانا قبل حرب ١٩٤٨.

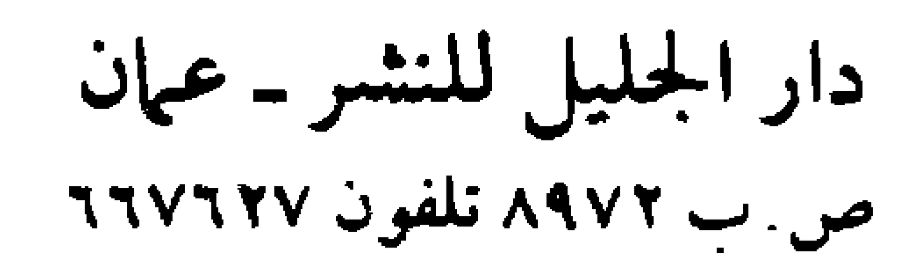
★ شغل سيجف مناصب عديدة منها المستشار الاعلامي لامبراطور الحبشة السابق هيلا سيلاسي. ثم عين مندوبا اعلاميا للوكالة اليهودية في اوروبا. وبعد ذلك عمل مراسلا لجريدة «معاريف» الاسرائيلية في واشنطن وباريس وقام بتغطية حرب التحرير الجزائرية والحرب الفيتنامية. وانقلاب الجنرالات في تركيا.

★ بعد اتفاقية كامب ديفيد. انتقل للعمل في مصر كمراسل لجريدة «معاريف» وفي الوقت ذاته كان يقوم بتغطية احداث ايران بعد عهد الشاه

★ يعمل حاليا محرر للشؤون العربية والشرق اوسطية في جريدة «معاريف». ومعلقا للشؤون الخارجية والامن.

★ درس سيجف مادة الشرق الاوسط والتاريخ العام في الجامعة العبرية في القدس. كما درس العلاقات الدولية في جامعة جورج واشنطن في الولايات المتحدة

★ من مؤلفاته حرب فيتنام ١٩٥٤، شؤون العدو ١٩٥٦، الحرب والسلام في الشرق الاوسط ١٩٦٩، السادات ـ الطريق للسلام ١٩٧٨، والمثلث الايراني ١٩٨١.



دار الجليل للنشر ـ عمان

ص. ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧

